

العدد العاشر . ربيع ثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٣٩٧ هـ
أبريل - مايو - يونيو - ١٩٧٧ م

مجلة



المسلم المعاصر

فصلية فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية

العدد العاشر . ربيع ثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٣٩٧ هـ

أبريل - مايو - يونيو - ١٩٧٧ م

صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسؤول

الدكتور جمال الدين عطية

العنوان

ص.ب. ١١٩٤٢٩ بيروت

سعر النسخة ٤٠٠ ق.ل

مؤقتاً: ص.ب. ٢٨٥٧ الكويت الاشتراك السنوي في لبنان: ١٥ ل.ل

محتويات العدد

صفحة

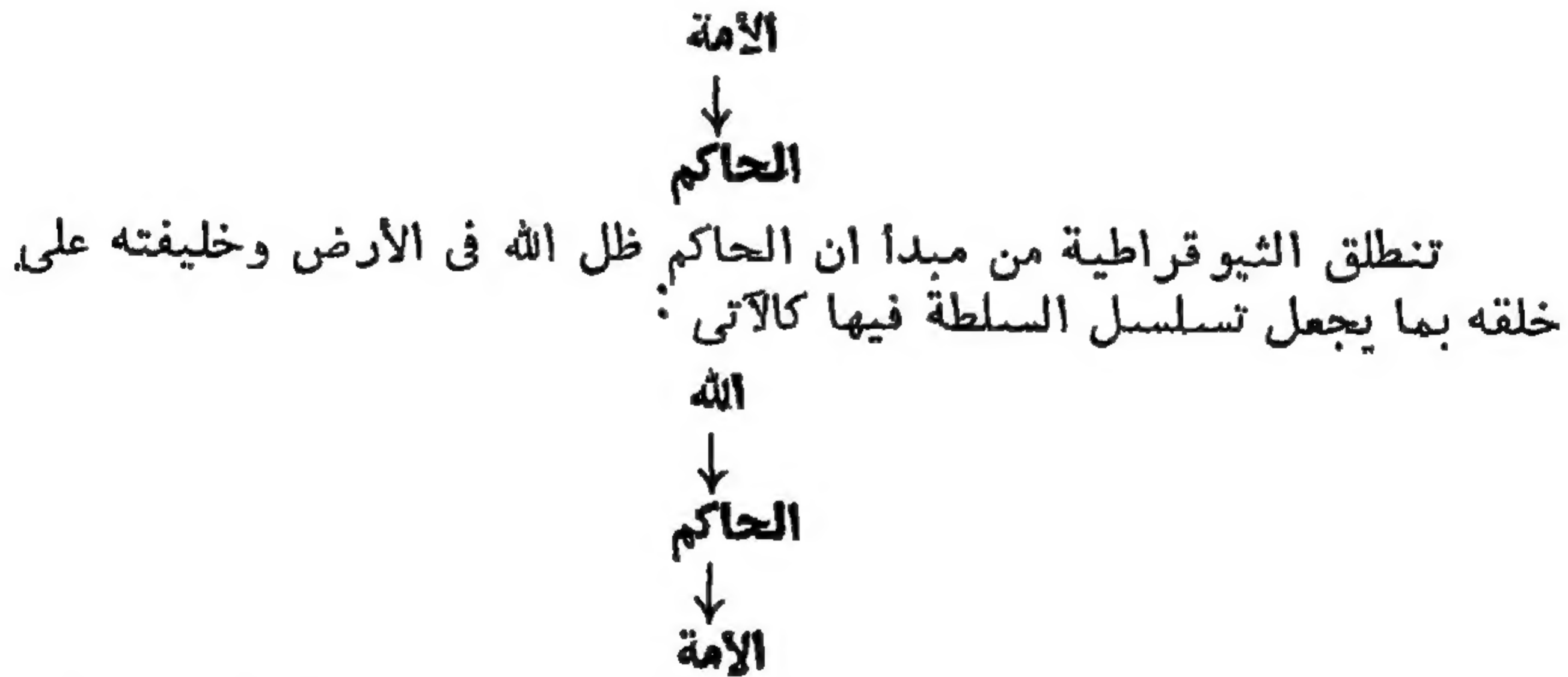
كلمة التحرير	٥
أبحاث :	
د. عون الشريف قاسم	١١
أبعاد العبادات في الاسلام	
د. اسماعيل راجي الفاروقي	٢٥
نحو نظرية اسلامية في الاعلام	
زين الدين الركابي	٣٩
الاعلام الاسلامي في ضوء نظرية النظم	
د. سعيد محمود عرقه	٧٧
القرآن الكريم والمسألة الاجتماعية	
د. عماد الدين خليل	٩٣
حوار :	
الفكرة الأخلاقية بين القانون والشرعية	
د. مصطفى كمال وصفي	١٢١
نقد الكتب :	
في النظام السياسي للدولة الاسلامية	
د. محمد سليم العوا	١٣٥
د. محمود أبو السعود	
مؤتمرات :	
المؤتمر العالمي للتعليم الاسلامي	١٤٩
أخبار	
بنك دبي الاسلامي	١٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة التحرير

- الحاكمية ودولة القانون .
 - أضواء على الاتجاه الاسلامي في جبهة اليسار .
 - نادى روما والنظام العالمي الجديد .
-

✳ ينفرد الاسلام في نظريته للحكم بتصوير خاص يميزه بوضوح عن كل من الديمقراطية والثيوقراطية ، فعلى حين تنطلق الديمقراطية من مبدأ ان الأمة مصدر السلطات بما يجعل تسلسل السلطة فيها كالاتى :



أما في الاسلام فالحكم أو السيادة أو الحاكمية (أو غير ذلك من المصطلحات التي تحتاج الى إعادة نظر وتحديد) أصلاً لله وأن الناس مستخلفون عن الله في عمارة الكون وإقامة شريعة الله ، وإن عليهم تنظيمها

لامورهم أن يتخذوا من بينهم أميرا أو خليفة عليهم ، بما يجعل تسلسل السلطة في نظر الاسلام كالآتي



وينتج عن هذا التصور المتميز انتفاء فكرة الحكم الديني والحق الالهي بمفهومه الغربي ، كما يتبين أن الاسلام هو وحده الذي أقام - منذ دولة المدينة التي أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم - دولة القانون State of Law حيث السلطة العليا فيها للشرعية فمنها يستمد كل من الأمة والحاكم سلطاته المحدودة ، واليها يرجع - عند الاختلاف - لمعرفة مدى تجاوز كل لسلطاته ، وعلى أساس هذا المفهوم يقوم مبدأ الشرعية ، ومبدأ سيادة القانون، ومبدأ الرقابة الدستورية العليا (حيث السيادة العليا للكتاب والسنة) على كافة السلطات بما في ذلك سلطة الأمة والحاكم والمجتهدين ، نتيجة تدرج القواعد بتدرج السلطات التي تصدر عنها Hierarchie des normes ورغم وضوح هذه النظرة الاسلامية يأبى البعض (١) إلا أن يشوش على الفكر السياسي الاسلامي محاولا تشويه بساطته ونقاؤه ، ولكن الله غالب على أمره ...

✽ يتردد منذ فترة اصطلاح اليسار الاسلامي ، وكانت مجلة « المسلم المعاصر » أول من تعرض لهذا الاصطلاح على لسان الأستاذ فتحى عثمان ومن تولى التعليق عليه من داخل المجلة ومن خارجها ، وما زال الباب مفتوحا لمناقشة هذا الموضوع الذي أرى شخصا انه لم يأخذ حقه من البحث ، اذ دارت معظم التعليقات على المصطلح دون المضمون، وان كان المضمون - دون تعرض للمصطلح - قد نال حظا من عناية د . عماد الدين خليل في مقالاته عن البعد الاجتماعى والعدل الاجتماعى والمسألة الاجتماعية .. والذي يعينى هنا هو الإشارة الى ظاهرة بدأت تتبلور خلال الأعوام القليلة الماضية هي اتجاه بعض الكتابات الاسلامية - خاصة في المجالات اليسارية - اتجاها

(١) راجع مقال د. محمد عمارة في عدد مارس ١٩٧٧ من مجلة العربى الكويتية .

يساريا ، واظن أن تفسير هذه الظاهرة يحتاج الى تصنيف رباعي :
الاول : أن يكون جانب من هذا الاتجاه جسرا تمده الحركة الاسلامية
لكسب بعض اليساريين « المتدينين » الى صفوف الحركة الاسلامية اذا
تبينوا ما في الاسلام من مبادئ اصلاحية تفنيهم عن المذاهب اليسارية
الوضعية .

الثاني : أن يكون جانب من هذا الاتجاه جسرا يمهده اليسار لكسب
بعض المسلمين الى صفوفه اذا اقتنعوا بان اليسار هو « مذهب اسلامي
جديد » .

الثالث : أن يكون جانب من هذا الاتجاه فكرا جديدا متميزا عن كل
من الاسلام واليسار وليس مجرد جسر يمهده أحدهما الى الآخر ...
الرابع : هذا فضلا عن الكتابات السطحية وغير الجادة التي حاول
بها « كتاب السلطان » رغبا ورهبا - التقريب بين الاسلام والاشتراكية خلال
السنوات العشرين الماضية

وأعود الى الأصناف الثلاثة الأولى :

فالصنف الأول يتطلب حركة اسلامية نشطة منظمة واعية تخصص -
ضمن اطار مخطط عام مدروس - احدى فصائلها لاداء هذا الدور الهام ..
وقادة الحركة ادرى ولا شك بقدرات حركتهم وترتيب الاولويات بين مختلف
نشاطاتها .

والصنف الثاني: ويعبر عنه هنا - كتاب معروفون - لاداعي لتسميتهم
ينفذ مخططا جديدا للماركسية العالمية تجاه الاسلام لمحاولة تحويله من
الداخل ، بعد أن فشل مخطط مصادمته من الخارج ، والظن عندي أن هذا
المخطط - كسابقه - محكوم عليه بالفشل ، لا بسبب الوعي الاسلامي
فحسب ، وانما كذلك لأنه - رضى أم أبى - قد احتكم الى الاسلام ، فمهما
تعسف في تفسيره وجذبه الى رأيه سينتهى أمره الى أن يحتويه الاسلام
ويستسلم لمنطقه وحكمه .

أما الصنف الثالث : فاني أشك في امكان قيام هذا الفكر المتميز ،
الا داخل اطار الفكر الاسلامي ، وبدعوى أنه الفهم الصحيح للاسلام ، اذ
مازالت الجبهة الاسلامية تتسع لكل فكر نابع من الاسلام ولم تتميز فيها
المدارس المعاصرة بدرجة تجعل من كل منها فكرا متميزا يزعم لنفسه أنه
الفهم الصحيح للاسلام ...

* خرج علينا « نادى روما » بتقريره الثالث Rla عن « اعادة صياغة النظام العالمى » Reshapiny the International Order والذي عرض تحليلًا وتشخيصًا للمشاكل العالم المعاصر واقتراحات لحلها فى صورة نظام عالمى جديد يدور حول المشاكل الآتية :

- سباق التسلح
- زيادة السكان
- الغذاء
- التركيز السكانى
- البيئة
- النظم النقدية والتجارية .
- الطاقة والموارد الطبيعية
- العلم والتكنولوجيا
- المحيطات
- الفضاء الخارجى
- المنظمات الدولية
- اعتماد الدول بعضها على بعض

ولا يتسع المجال لتلخيص التقرير الذى جاوز الثلاثمائة صفحة ، وانما ينبغى أن نشير الى أن الحلول التى يقترحها التقرير لحل مشاكل العالم المعاصر قد وضعت بذكاء لكى تتحمل الدول الغنية الجديدة (البترولية) نفقات تسكين آلام (ولا اقول انهاض وتقدم) الدول الفقيرة المتخلفة ، دون مساس بمكاسب الدول الصناعية (الاستعمارية سابقا) من الجولة السابقة والتي نتج عنها استنزاف ثروات تلك الدول بقوة الاستعمار لصالح هذه الدول ...

ولا ينسى التقرير الاشارة الى « العدالة » لا بمفهوم « اعادة الحق من مفتصبه الى صاحبه » ، وانما بمفهوم « توزيع الثروات ووسائل استقلالها فى المستقبل توزيعا عادلا »

والأهم من ذلك خلو تصور واضعى التقرير من الأسباب والمظاهر والحلول غير المادية للمشاكل العالمية المعاصرة ، ونأمل أن يحظى هذا الأمر بما يستحقه من توضيح فى المؤتمر الذى يقيمه المجلس الإسلامى الأوروبى عن « العالم الإسلامى والنظام العالمى الجديد » حتى يقدم تصور الإسلام للمشكلة العالمية والحل الإسلامى لها ...

جمال الدين عطية



شركة مساهمة مسجلة في إمارة لكتشتاين/سويسرا تقتصر ملكية أسهمها على العرب

أغراض الشركة

القيام بالاستثمارات بكافة أنواعها لحسابها ولحساب الغير ، وبالمساهمة في شركات قائمة أو إنشاء شركات جديدة ، وبإدارة الأملاك والأعمال لحساب الغير .
ويشمل ذلك على سبيل المثال لا الحصر النشاطات التالية :

النشاطات التي تعتزم الشركة القيام بها

أولاً : أعمال لحساب الشركة :

- ١ - إنشاء مشروعات جديدة لحسابها جزئياً أو كلياً في صورة شركات وليدة .
- ٢ - المساهمة في مشروعات قائمة بالمشاركة مباشرة أو بشراء أسهم مطروحة .
- ٣ - طرح الأوراق المالية للاكتتاب والترويج لها .
- ٤ - إقامة علاقات وثيقة مع الهيئات المماثلة والبنوك والمؤسسات المالية على الصعيد الدولي
- ٥ - تنشيط وتنظيم عملية استثمار المدخرات وفوائض رؤوس الأموال .

ثانياً : أعمال لحساب الغير :

- ٦ - تقديم الاستشارات في الأمور الاستثمارية .
 - ٧ - تقديم الاستشارات الإدارية والتنظيمية .
 - ٨ - أعمال الانابة والتوكيلات والوساطة بما في ذلك :
 - (أ) إدارة أملاك عقارية ومنقولة لحساب أصحابها .
 - (ب) تنظيم إدارة أعمال الغير من الناحية المالية والإدارية والقانونية .
 - (ج) الاستثمار لحساب الغير .
 - ٩ - ربط وتوطيد العلاقات بين الهيئات المتناظرة أو المتكاملة بما في ذلك :
 - (أ) العمل كحلقة تعارف وتنسيق بين العناصر اللازمة لإقامة المشروعات .
 - (ب) العمل كمكتب تمثيل للشركات العالمية الكبرى .
 - (ج) العمل كحلقة وصل في تمويل المشروعات .
 - ١٠ - إعداد الدراسات للمشروعات الجديدة .
- وكل ذلك في إطار المبادئ الإسلامية في المعاملات ، وعلى هدى القيم الإسلامية في الحياة .

ويجوز للشركة أن تكون لها مصلحة أو تشترك بأي وجه من الوجوه مع الهيئات التي تراول أعمالاً شبيهة بأعمالها ، أو التي قد تعاونها على تحقيق غرضها ، كما يجوز لها أن تندمج في الهيئات السالفة أو تشتريها أو تلحقها بها .

ابحاث

الجدور الفكرية للمجتمع المسلم

د. عون الشريف قاسم(*)

كان الاسلام بدعا في الرسالات لانه جاء معبرا عن المرحلة الأخيرة من تطور البشر، فأكمل رسالات السماء من قبله، وحوى جوهرها، واستوعب في اطاره خط السير الأمثل لتطور الانسان في مقبل الأيام. وكان في كل ذلك بحق خاتمة الرسالات، اذ حسم على مدى الزمان قضايا الانسان الكبرى في كل مجالاتها، المعنوية والمادية، بحيث أصبح منهجه القائم على تكامل قوى الانسان العقلية والروحية والجسدية، المرتكز على توازنها وانسجامها هو طريق المستقبل، لا للمسلمين وحدهم، بل لكل البشر. ومن هنا جاءت عالمية الاسلام، اذ انه لم يكن معبرا عن أوضاع العرب وحدهم بقدر ما كان معبرا عن وضع البشرية جمعاء، التي كانت تنتقل من مرحلة الرعى والزراعة البسيطة المرتكزة على القبيلة، الى مرحلة التجارة والصناعة المرتكزة على المدينة. كانت البشرية تنتقل من مرحلة البداوة والزراعة البسيطة والحياة القبلية القائمة على رابطة الدم الى مرحلة الحضارة وحياة المدينة، القائمة على رابطة المصلحة المشتركة. وكل ذلك كان يستتبع تحولات جذرية على المستوى الفكرى والاجتماعى. فلم يكن هذا الانتقال

* وزير الشؤون الدينية والاوقاف بجمهورية السودان الديمقراطية.

من مرحلة اجتماعية بسيطة الى مرحلة اجتماعية اشد تعقيدا بالأمر اليسير .
اذ كان يعنى فى المقام الاول اضمحلال قوة رابطة الدم واضعاف ما كان يرتكز عليها من نظام قبلى متماسك يحكمه العرف وينظمه قانون غير مكتوب ، وكل ذلك كان يشيع بين أفراد القبيلة ضربا من التعاون والتكاتف يجعل الخروج على الاعراف القائمة التى تحكم علاقات الأفراد وتؤلف بينهم خروجاً على القبيلة وحرباً عليها ، وكانت سلطة الجماعة هى ضمير هذا النظام ، وهى أيضاً قواه الرادعة . وفى المدينة التى لا يلتقى فيها الناس على أساس القرابة ورابطة الدم ، تنهار هذه السلطة الجماعية بانهيار رابطة الدم . فان التاجر الذى هو رمز المدينة وعنوان التحول الاجتماعى الجديد لا يتعامل مع الآخرين كأقرباء مثلما يفعل البدوى فى حياة القبيلة وإنما يتعامل معهم كزبائن . ففى المدينة تختلط الدماء وتتباين الألوان وتتعدد المهارات والحرف، وتنوع - بالتالى - المصالح وتتناقض، ولا بد من رابطة اجتماعية جديدة تقوم مقام رابطة علاقة الدم المنهارة وتعبر عن هذا الوضع الجديد . ورغم أن رابطة المصلحة المشتركة هى التى تجمع بين كل هذه العناصر المتعددة فى حياة المدينة ، الا أن الضغوط الاجتماعية التى يتعرض لها الناس فى هذه الحياة المعقدة تحدث من الاضطراب والفوضى فى علاقات الناس الاجتماعية، ما يجعل ميزان العدالة يختل اختلالاً يزعزع هذه المصلحة المشتركة بحيث يحتاج المجتمع الى قوة جديدة تحل محل سلطة الجماعة العرفية التى كانت تنظم حياتها البسيطة فى مجتمع البداوة ، ثم انهارت فى حياة المدينة . وكان لابد من نظام قانونى دقيق ينظم هذه المصلحة المشتركة بين الناس فى مجتمع المدينة ويقوم مقام العرف القديم . وما كان لدين يأتى فى هذه المرحلة المتأخرة من تطور البشر وتعقد حياتهم ، أن يففل هذا الجانب الاجتماعى الخطير من حياة الناس ، تاركاً ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر . ومن ثم كان الاسلام ديناً بالمعنى الغربى الضيق لكلمة الدين، ونظماً اجتماعياً وحضارياً بالمعنى الاسلامى الواسع لكلمة الدين . وكان الاسلام فى ذلك فتحة جديدة من ناحيتين : الناحية الأولى أنه اكمل رسالة موسى عليه السلام، التى حصرها اليهود فى اطار قومى ضيق، وشوهوها باقامتهم معيارين للسلوك : واحد ينظم العلاقات بين اليهود أنفسهم ، وآخر ينظم علاقاتهم بالآخرين ، وقد سعت المسيحية لاصلاح هذا الخلل بدعوتها الى المحبة بين كل البشر ، بصرف النظر عن اجناسهم ، ولكنها لم تتوسع فى تنظيم الحياة

الاجتماعية لأنها أتت في زمان كان القانون الرومانى ينظم تفصيلات حياة المجتمع ، فاكتفت بأن تترك ما لله ، وما لقيصر لقيصر . فجاء الاسلام معبرا عن هذا الوضع الأخير للانسانية التى تشابكت مصالحها واختلطت أنسابها وأحسابها وتعقدت علاقاتها فتوسع فى تنظيم علاقات الناس الاجتماعية والاقتصادية وكان القرآن المكى حربا مقدسة على صنوف الفساد والظلم الاجتماعى التى كانت سمة المجتمع التجارى بمكة ، حيث كان الأقوياء يتحكمون فى مصائر الضعفاء ويستعبدونهم بأموالهم وأحسابهم . وكانت مكة فى كل ذلك رمزا للعالم الحضرى ، وليد التجارة ثم الصناعة حيث تتكاثر الثروات وتتعدد ألوان المتع والملذات ، وتتطور حياة الناس المادية بمعدلات تفوق معدلات تطور حياتهم الروحية والوجدانية، ومن ثم يحدث الشد والجذب والتمزق بين واقع الحياة المعاش ، وبين عقول الناس وضمائرهم والناحية الثانية أن الاسلام لم يكتف بوضع الأسس لعلاقات اقتصادية واجتماعية سليمة لمعالجة هذا الاختلال الذى يحدثه تطور الحياة المادى من جراء ازدهار التجارة والصناعة مما برز بوضوح فى القرآن المدنى، الذى لم تكن أحكامه خاصة بالدولة الاسلامية فى عهدها الأول ، بل كانت عامة للبشرية فى مقبل أيامها . لم يكتف الاسلام بوضع الحلول القانونية لقضايا التطور الاجتماعى فى مرحلة التجارة والصناعة فحسب، بل ذهب خطوة أبعد من ذلك، بأن أدخل الدين فى حياة المجتمع بدرجة أزال تلك الازدواجية التى كانت قائمة بين ما هو دين وما هو دنيا . فان الدين كأمر خاص ينظم العلاقة بين الفرد وبين خالقه ، ولا يؤثر كثيرا على علاقات الأفراد العامة داخل المجتمع . قد يستقيم مع مرحلة بساطة الحياة التى يكتفى الناس فيها بالعرف وسلطة الجماعة فى تنظيم الحياة الاجتماعية . أما فى مرحلة التطور الحضارى التى يركز فيها سعى الانسان لتطوير حياته الاجتماعية والروحية والعقلية بخلق التلاؤم والتناسب بين معطيات حياته المادية ومعطيات ملكاته العقلية والروحية ، فان هذا الفصل الحاد بين دين ينظم العلاقة الخاصة بين الانسان وخالقه ، وبين نظام اجتماعى يحكم علاقاته العامة بمجتمعه ، لا ينجم عنه الا المزيد من التمزق بين قيم الناس وحياتهم ولا يؤدى الا الى تعميق الانقسام فى شخصية الانسان الذى يضاعف منه التطور المادى الذى يفوق التطور الروحى بالضرورة فى مجتمع الاستهلاك الجديد . وقد رأينا أن القانون يحل محل العرف وسلطة الجماعة فى تنظيم

حياة هذا المجتمع . ولكن القانون الذى يستند على قوة الردع الخارجية لا يستطيع تنظيم كل تفاصيل الحياة بالضرورة ، وسيظل اثره مرهونا بفعالية السلطة التى تنفذه ، فمتى ضعفت هذه السلطة أو انهارت تداعت - بالتالى - حياة الاجتماع . وفى ظل سلطة القانون تبرز وضوح الازدواجية التى تتمثل فى حياة خاصة لا ينظمها القانون الا بالقدر الذى يؤثر به على الحياة العامة ، ويقتصر القانون فيها على تنظيم العلاقات العامة تاركا أمر القيم والأخلاق وما إليها من حياة الناس الروحية والمعنوية خارج إطار سلطة القانون . فيكون هناك معياران : واحد يحكم علاقات الناس الخاصة وآخر يحكم علاقاتهم العامة ، وفى ذلك ما فيه من تجاهل لحقيقة : ان ما يفعله الانسان فى حياته الخاصة يؤثر بالضرورة على حياته العامة ، وأن إطلاق العنان لنزوات الأفراد وشهواتهم بدعوى حماية الحرية الفردية والشخصية، لاينجم عنه الا تدهور الحياة العامة ولايردع العابثين والمارقين الا خوفهم من القانون ، وكل ذلك يصيب شخصيات الأفراد بالتمزق والانقسام ويحدث فى حياة المجتمع الانقسام والتفكك مما نشهد آثاره فى كثير من المجتمعات المعاصرة . وجاء الاسلام ليعيد الى الشخصية الانسانية وحدتها وتكاملها بربطه بين القيم التى تحكم مسلكها الخاص وبين تلك التى تحكم مسلكها العام ، فليس هناك انفصال بين أخلاق خاصة وأخلاق عامة ، وإنما هناك مسلك بشرى واحد يتجلى فى حياة الناس الخاصة والعامة . وجاء - بالتالى - ليعيد الى المجتمع تماسكه وروحه الجماعية . وكان علاج الاسلام لهذه الازدواجية فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع والتى تبدو على أشدها فى مجتمع الاستهلاك ولید التجارة والصناعة أن نقل المجتمع الى داخل الفرد بأن جعل الفرد دولة داخل الدولة ، فان ادخال الدين فى حياة المجتمع الذى كان من أكبر منجزات الاسلام كان يستهدف فى المقام الأول صياغة شخصية الفرد البشرى ، صياغة يمتزج فيها الدينى بالدنيوى ، بحسبانها وجهين لعملة واحدة بحيث يصبح ضمير الفرد ضميرا اجتماعيا بالضرورة . ومن هنا كانت غاية العبادات فى الاسلام أن تؤثر فى حياة الأفراد التأثير الاجتماعى الذى يجعل من الحديث الشريف (الدين المعاملة) معيارا صادقا للحكم على فعالية العبادة . فبقدر ما تنعكس العبادة على سلوك الناس برا ورحمة وتكافلا اجتماعيا ، بقدر ما تكون عبادة فاعلة صادقة . فليست العبادة فى الاسلام عملا فرديا ، يخص الانسان فى علاقاته بربه فحسب وإنما هى وسيلة

الانسان لشحذ طاقاته الروحية وتفجير قدراته الكامنة لاثراء حياة المجتمع، وهو في تحقيقه لأهداف الحياة الاجتماعية الخيرة يحقق في نفس الوقت ما يرجوه في الآخرة لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، والطريق الى الآخرة لا يمر الا عن طريق الدنيا فمن صلحت دنياه صلحت آخرته ومن فسدت دنياه فسدت آخرته، بذلك أصبحت قيم الدين ومثله العليا أهدافا اجتماعيا ممكنة التحقيق في حياة البشر بل ان هذه القيم والمثل التي ترسبت خلال القرون في نفوس الأفراد عن طريق الممارسة للشعائر والمعاملات قد صاغت شخصيات الأفراد في المجتمع المسلم صياغة عملية جعلت من معظم تعاليم الدين وقيمه دستورا للمواطنة ، لا يقرؤه المسلم في الكتب ، بل يعيشه في حياته الخاصة سلوكا منضبطا ، وفي حياته العامة مسئولية اجتماعية ، تجعل من التكافل والتضامن والتعاون أمرا من أمور العادة الراسخة التي تصل بين الناس بالرحمة والمحبة مما يجعل من حياة المجتمع المسلم حياة مكثفة بذاتها تنمو وتزدهر ، وان سقطت الدولة وانهار الجهاز الاداري والسياسي لأن مازرعه الاسلام في النفوس من الروح الجماعية تجعل من كل فرد قيما على حياة المجتمع الذي ينتمى اليه ، فللفقير في ماله حق معلوم، وللضعيف النصرة وللأمة الولاء والنجدة ، ولعله لقوة هذه الروح الجماعية ، صمدت المجتمعات المسلمة في كل عصور الانهيار والظلام، ولعله لهذا السبب : لم يتوسع الاسلام في تفصيل نظام الحكومة فيه لأنه كان يسعى الى خلق الفرد القوي الذي يمتزج في ضميره الدين بالدنيا ، ليصبح في معاملاته الخاصة والعامة صورة للمجتمع في فرد ، فهو يحمل في أعماقه كل قيم المجتمع التي هي قيمه الشخصية ، وهو في محافظته عليها واحترامها لا يحافظ على شيء خارج عن ذاته ، فهو في حفاظه عليها يحافظ على ذاته ، وبذلك فهو يحافظ على قيم المجتمع بدافع من ضميره لا خوفا من قانون ، او رهبة من حاكم او مداراة للمجتمع ، لأنه يخشى الله الذي هو فوق كل رقيب وفوق كل رادع ومن هنا كانت قمة الدين وهي الاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . وبذلك كانت شخصية الفرد المسلم نسيجا حضاريا دقيق الصنع تمتزج فيه قيم الدين المترسبة عن العبادة بممارسات الحياة اليومية وترفد فيه المثل العليا يسعى الانسان الدائب لتحقيق ذاته في حياة المجتمع فيتم التكامل العضوي بين حياة الناس الخاصة وحياتهم العامة وتنمحي الازدواجية بين الايمان والعمل وبين الروح والجسد ويحدث

ذلك التوازن المتميز بين قوى الانسان المادية والمعنوية ، فتتكامل شخصية المسلم كفرد ، وتنعدم شخصيته في حياة المجتمع كمواطن وتلك هي احدى مظاهر الوسطية التي جاء ذكرها - والله أعلم - في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وذلك هو المثل الأعلى الذي تسعى الانسانية الى تحقيقه : بأن يتطابق القول والفعل ، وان تصبح الأهداف والمثل العليا جزءا معاشا من حياة الناس اليومية ، فتكون العدالة والتسامح والتعاون وما اليها من مقومات الاجتماع أمورا من أمور العادة، يفعلها الناس بالسليقة والعفوية لأنها أصبحت بالتربية والممارسة جزءا من الكيان النفسى للأفراد والكيان الاجتماعى للجماعات .

وبذلك صاغ الدين حياة الأفراد صياغة اجتماعية بالغة الدقة، ومنح المجتمع علاقته الثقافية والاجتماعية ، بحيث يصح ان نقول : أن الفرد المسلم في كثير من جوانب شخصيته هو التجسيد الفعلى لقيم الدين كما تهيأت للظروف البيئية والتاريخية التى عاش فيها أن نستوعبها كلنا في دخيلة أنفسنا صياغة عملية للاسلام وصورة من صوره الفاعلة . ولكن الاسلام روح قبل أن يكون شكلا أو مظهرا خارجيا . وكلنا يختزن في أعماق وجدانه هذه الروح وان لم نحس بأثرها في كثير من الأحيان في حياتنا وهذا الجمود والانفصام في حياة المسلمين بين روح الدين الكامنة في أعماقهم وبين واقع حياتهم ، انما يرجع الى ظروف التخلف وجهالات القرون التى غلفت هذه الروح في أعماقهم بالادران والشوائب، فحجبت ضوءها عن الاشعاع في حياة الناس المعاشة ومن ثم أصبح المسلمون يعيشون حياتهم جسدا بلا روح، فجسد الاسلام موجود في كثير من العبادات والمعاملات التى يمارسها المسلمون ولكنها ممارسة تعوزها الروح والايمان ، ولكن الاسلام رغم كل ذلك باق في النفوس لأنه ممتزج بالروح والكيان ولا يستطيع المسلم أن يتخلى عن اسلامه الا اذا استطاع أن يتخلى عن روحه . وتلك هي احدى مظاهر التجديد الذى جاء به الاسلام لمواجهة تحديات الحياة الحديثه التى تمزق النفوس وتحول بينها وتحقيق التوازن اللازم لسلامة الحياة وازدهار المجتمع . فان الدين لم يعد عبادة خاصة وانما أصبح أسلوب حياة وصياغة وجود وكيان مجتمع . فالاسلام بالنسبة للمسلم ليس دينا بالمفهوم الغربى يتركه ان شاء ويبقيه ان أراد ، وانما هو شخصية ومجتمع وحضارة وهو فوق كل ذلك

تكوين نفسى وانتماء قومى . فان أنت جردت المسلم من اسلامه فأنت لا تجرده من دين، ولما تجرده من كل مقومات وجوده الانسانية والاجتماعية والحضارية، لأن كل مرتكزات حياته الشخصية والاجتماعية قائمة على تراثه الدينى . ومن ثم كانت العلمانية بمعناها الأوروبى لا معنى لها ولا مدلول فى حياة المجتمع المسلم لأن هذا الفصل الحاد بين الدين والدولة من ناحية وبين الدين كعلاقة خاصة وبين المجتمع كنشاط عام من ناحية ، أمر خاص بالمجتمعات المسيحية التى لا يلعب الدين فى حياتها الا دورا خاصا ، أما بقية حياة المجتمع مستمد أسسها من التراث الاغريقى الرومانى وما اليه من موروثات الشعوب الأوروبية القديمة التى تأثرت بالتعاليم المسيحية .

والسؤال الكبير الذى يجبهنا بعد كل هذا الكلام هو : كيف نفسر تدهور الاسلام كحضارة وتدهور المسلمين الذين هم صياغة هذه الحضارة ؟ كيف تدهورت حضارة الاسلام ، وقد قلنا : ان ما جاء به هو خط السير الأمثل للبشرية فى تطورها خلال أزمنة عصور التجارة والصناعة وهو فى ذلك تعبير عن مرحلة تاريخية فاصلة انتقلت فيها البشرية بنقلتها الاقتصادية الى مرحلة نضوج العقل الانسانى فكان القرآن رمزا لهذا التحول فى مسار البشرية ، اذ انه دعوة العقل والفكر فى منهجه وأحكامه وقد كان فى كل ذلك معجزة عقلية اذ ان معجزات الرسل من قبله كانت كلها خوارق للطبيعة لتستقيم مع طبيعة العقول البشرية التى كانت تتحسس سبيلها عن طريق التلمس والمشاهدة ، الى مرحلة التجريد والتفكير المطلق ، فكانت معجزة الاسلام : كلمة موجهة الى العقل ، هى القرآن وكانت أول كلمة تنزل منه هى اقرأ . وكان القرآن منهج حياة ودستور سلوك فأقام حضارة وصنع بشرا من نوع جديد ، فكيف انقطع بكل ذلك السبيل ؟ وكيف أصبحنا فى هذا الزمان الذى اشتدت فيه حاجة الانسانية أكثر من أى وقت مضى الى منهج الاسلام فى تكامل قوى الانسان ، وربط الفرد بالمجتمع ربطا عضويا بحيث يكون الفرد دولة داخل الدولة ، وانصهار قيم الدين فى سلوك الأفراد وعلاقات الجماعات أصبحنا فى وقت الحاجة هذا نفتقد الاسلام ونفتقد المسلمين .

يقينى ان الاسلام مثلما كان نظاما فى الماضى والحاضر لمجموعات كبيرة من البشر لمدى أربعة عشر قرنا ، فهو نظام المستقبل للبشرية جمعاء ولا يقاس الاسلام فى ذلك بالمسلمين . فان الاسلام هو التحدى الكبير الذى لا يواجهه

المسلمين وحدهم، وإنما يواجه الناس جميعاً فيما يجب أن يكون عليه مستقبل الحياة على الأرض . الإسلام في حقيقته سعى موصول لخلق الإنسان الجدير بخلافة الله على الأرض بأحداث التوازن والتكامل داخل نفس الفرد من ناحية وداخل حياة المجتمع من ناحية أخرى ، فتلتقى الأرض بالسماء لتحقيق قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اذ العبادة هي الصورة المنجزة للحياة الفاضلة التي هي صورة الاسلام كما يجب أن يتحقق في دنيا الناس . والاسلام حركة نشطة ومجاهدة لا تفتقر ، وصراع دائم لتطويع النفس وتطويع الحياة لبلوغ ذلك التوازن الدقيق الذي يحقق وسطية الاسلام ، وهو توازن لا يستقر لحظة الا ليختل في اللحظة التالية، لان سنة الحياة التغير والتطور . ولا بد للناس أن يوالوا هذا التغير والتطور بمواصلة المجاهدة والاجتهاد، ليحيا الاسلام حياة عضوية متجددة تسمح لحركة المجتمع الدائبة أن تنطلق في اطار الاسلام العام دون أن تخرج على جوهره الذي يوجه هذه الحركة ولايشلها . والذين يظنون ان الاسلام نظام جاهز في عمومته وتفصيلاته، وما عليهم الا تطبيقه، واهمون حاملون اذ الاسلام حركة الحياة في تطورها وتغيرها ولن يقوى عليه وعلى معاشته الا الفاعلون المتطورون الذين يلاحقون حركة الحياة بفكرهم وعملهم، فيعيشون مشاكلها بعقولهم ووجدانهم ويستنبطون لها الحلول بوحى من ايمانهم ومن دينهم، ومن ثم ازدهر الاسلام في هذه الاول اذ عاشه الأوائل بقلوبهم وعقولهم وتفاعلوا معه في حياتهم اليومية ، فكانت حياتهم المعاشة صورة من صور النضال والجهاد لتطويع النفوس وتطويع الحياة لبلوغ المثل الأعلى الذي يهدف اليه الاسلام . وبفعل هذه المعاشة تطورت الحياة وازدهرت الثقافة وعاش الاسلام في قلوب الناس وحياتهم مسلماً ومعاملة وحضارة . فكانت الفلسفة وكان الفقه وكانت علوم الطبيعة وكانت الوحدة العضوية في الشخصية المسلمة ، وفي الحضارة وفي المجتمع ، وكانت تلك التجربة الفذة - التي لم تعش لأكثر من ثلاثة قرون - هي التي غيرت مجرى التاريخ البشرى وهي التي ظل يتردد صداها في نفوس المسلمين وعقولهم وحياتهم لأكثر من ألف عام تالية . فان ما رسخ في نفوس المسلمين وصاغ وجودهم وانطوت عليه صدورهم في كل عصور التخلف والجمود - حتى عصرنا هذا لهو قبس من تلك النار الخالدة التي اشتعلت في القلوب والعقول لفترة من الزمن فأحرقت الجهالات واضاءت ظلمات القرون ولم يزل وهجها باقياً في أعماق النفوس بعد خمود جذوتها بقرون طويلة .

كان الاسلام فى قرونه الأولى اسلاما فاعلا قويا لأنه كان اسلاما معاشا تنطلق منه الجهود وتنبتق التخصصات اذ كان هو الاستراتيجية الكبرى التى تتوجه منها حركة المجتمع فكان هناك تكامل فى حياة المجتمع وكان هناك بالتالى تكامل فى ثقافة المجتمع وفكره . كان الدين بمعناه الضيق جزءا فاعلا من حركة المجتمع فكان الفقه قانونا للتعامل ، وكان الكلام والفلسفة تعبيرا عن قضايا معاشة وكانت العلوم والفنون تعكس فى صدق هذا الزخم العقلى الذى فجره القرآن فى حياة المسلمين وعقولهم .

ثم توالى النكبات على المسلمين فأصيبت الدولة بالتشتت والتمزق وضاعت الجهود فى الصراع الداخلى فأنبى الأعداء من الخارج، من صليبيين وتار وصليبيين جدد، يقوضون ما بقى من البناء وانهارت الدولة المركزية واضمحلت الموارد الاقتصادية بارتباك التجارة وتدهور الزراعة وارتد معظم العالم الاسلامى الى ضرب من الاقتصاد البدائى المحدود فتقلص - بالتالى - الرخاء الاجتماعى وتقلص معه النشاط الفكرى الذى كان يعتمد عليه، فجمد الفقه وتوقف العلماء عن الاجتهاد بتوقف دولاب الحياة الاقتصادية والثقافية ، وجفت روافد الفلسفة وعلوم الطبيعة ، ولم يبق الا ذلك القدر المشترك من ثقافة المجتمع القائم على المعارف الدينية الصرف المبثورة عن روافدها التى تصلها بعقول الناس وحركة المجتمع . وبتقلص النشاط الاقتصادى والثقافى جمدت حركة المجتمع وضاعت حياة الناس وعقولهم ، فأصبحت كثير من المعارف والعلوم والفنون التى كانت تعبر عن فعالية المجتمع فى طور الازدهار والحركة، لا معنى لها ولا مدلول فى حياة الجمود التى انتهت اليها حياة المسلمين . وانحصرت بالتدريج كل العلوم التى تغذى عقول الناس وتكسب حياتهم القدرة على التطور الذاتى . وانحصرت المعارف فى ذلك القدر اللازم الذى لا بقاء للمجتمع بدونه . وما دامت حياة المسلمين قد جمدت واعترتها الرتابة فقد تقلص - بالتالى - الاسلام من نظام شامل لحركة الحياة فى كل ابعادها الى نظام دينى ضيق يتمسك الناس فيه بالحرفيات الجاهزة، ويخطئون الروح الفاعلة. وظل الناس يجترونها ما جادت به قرائح أسلافهم دون كبير تغيير ، حتى العصور الحديثة التى أصابت المجتمع المسلم بصدمة حضارية بالغة العنف ، هزت منه الكيان ، وحركت الوجدان ، فأقامه بعد طول سبات ليجد وجوده مهددا بالفناء، وما ظل يحافظ

عليه طوال القرون معرضا للأمحاء والزوال . لم يكن المجتمع المسلم حيا وانما كان يجتر الحياة خلفا عن سلف وبالتالي ذهبت حيوية الاسلام وأصبح رسما بعد عين وأصبح كل شيء في حياة المسلمين يجرى مجرى العادة وانفصلت صلتهم بروح تراثهم وجردتهم الهجمة الاستعمارية الأخيرة حتى من ذلك القدر اللازم لبقاء المجتمع المسلم الذي ظل المسلمون يجترونها ولكنه على أى حال مائل في وجودهم ، وان أخطأته الروح ، فتقلصت الشريعة التي كانت تمثل النظام القانوني للمجتمع وانحصرت في الأحوال الشخصية وحلت محلها في كل معاملات المجتمع الأخرى ، القوانين الأوروبية ، وحوصل نظام التعليم الاسلامي الذي كان يرفد شخصية المجتمع، وحل محله تعليم مدني يستمد أسسه وفلسفته من نظام التعليم الأوروبي ، وقل مثل ذلك في الزى ومظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية الأخرى . وقد تم كل ذلك والمجتمع المسلم في غياب عن ماضيه وحاضره يقضى الآخرون في أمره ، وهو لا يملك الا حيلة العاجز : التحسر السالب ، والرضى على مضض .

ولسنا هنا في مقام تحليل مظاهر الغزو الأوروبي الذي استهدف كيان الشخصية المسلمة وسعى الى بترها عن جذورها الفكرية والروحية لتصبح في نهاية المطاف نسخة مكرورة مشوهة للشخصية الغربية ، ولكن الذي يهمنا هنا هو أن مرحلة ما بعد الاستعمار تتطلب من شعوب العالم الثالث ومن بينها الشعوب الاسلامية نظرة جديدة الى ماضيها وحاضرها . فقد ذهب بذهاب التسلط الاستعماري ذلك الوهم الكبير الذي مكن له المستعمرون في عقول المتعلمين من أبناء شعوب العالم الثالث ، بخلطهم بين مظاهر الحضارة الغربية العامة التي لا وطن لها لأن العلم والتكنولوجيا لا وطن لها وهي حصيلة العقل البشري وهي - بالتالي - ملك لكل البشر، وبين مظاهر الثقافات القومية للشعوب الغربية. ويقتضى ذلك منها نظرة فاحصة شجاعة الى مرحلة الاستعمار نزيل بها كل ما علق بوجودنا من آثار فرضت علينا ونحن في غيبة عن وعينا وذلك كثير في مجال القوانين ومناهج التعليم ويقتضى ذلك منا فوق ذلك نظرة أكثر شجاعة الى مرحلة ما قبل الاستعمار ففيها يكمن كثير من الداء الذي لم يكن ما نشره الاستعمار الا امتدادا له . لقد جمد مجتمعنا آنذاك فجمد اسلامنا ، والآن - ومجتمعنا يستعيد قدرا من طاقته على الحركة - فلا بد أن ينشط اسلامنا ويستعيد كثيرا من الأراضي التي فقدناها في مرحلة

الضياع والجمود قبل الغزوات الاستعمارية ، ويستعيد أيضا الأراضي المستعمرة في خريطة حياتنا الاجتماعية والثقافية التي وضع فيها الاستعمار نظمه وأفكاره حين بدأت حياتنا تتحرك في العصور الأخيرة بتوجيه من الدول المحتلة . وكل ذلك يجب أن لا يفقدنا توازننا بحيث تكون رجعتنا الى الماضي انصرافا عن الحاضر والمستقبل ، بل لابد أن تكون عودتنا الى منابع والجذور عودة موجهة بزخم الحاضر ، مشبعة بقضايا الساعة ، موصولة الأسباب بروح العصر . ولا ينفع في ذلك التلفيق والاختيار والتوفيق بين المتناقضات . بل ان معركة الحاضر والمستقبل تتلخص في قدرتنا على استعادة أصالة شخصيتنا القومية التي هي كامنة في نفس كل منا وتنتظر لحظة الانطلاق لتشع على حياتنا قوة ومنعة وإبداعا .

ولا يكون ذلك باصلاحات جزئية لمناطق الخلل في المجتمع ، بل باستعادة المفهوم الاسلامي للدين في حياة المجتمع ، ونحن - اذ نستعيد هذا المفهوم - لا نأتي بشيء جديد غائب عن وجودنا كل الغيبة ، بل نعيد باستعادته اكتشاف حقيقة أنفسنا ، اذ أننا جميعا التجسيد الحي لهذا المفهوم كما يتجلى في سلوكنا وعلاقاتنا الاجتماعية التي هي وليدة الدين ، كحضارة ، كنظام اجتماعي وكأسلوب شامل للحياة . ونحن - اذ نكتشف أنفسنا بهذه الطريقة - نكتشف تفردنا القومي والحضاري في مواجهة كل التحديات القومية التي تسعى عن طريقها شعوب العالم الغربي لتجريد شعوب العالم الثالث من اكتشاف مصادر القوة والأصالة في حضاراتها وثقافتها القومية . الرجعة الى التراث بمعناه الانساني الواسع ، رجعة الى اصولنا القومية ، وتأكيد لدوائنا في عالم لا يتقدم فيه الا الاصلاء الفاعلون . وفي تجربة الجزائر المناضلة صورة صادقة من صور البعث القومي ، التي يتوجب على شعوب العالم الثالث معاناتها كمرحلة أولى من مراحل الانطلاق والانعتاق في عالم ما بعد الاستعمار .

وباستعادتنا لهذا المفهوم للثقافة القومية ، التي هي عصب الحياة للشخصية القومية ، تتداعى كل صنوف التهويل ، التي صاغت ابواق الدعاية الاستعمارية في سبيل وصل ماضي الناس يحاضرهم . فمتى اتخذ القوم من حضارتهم وقيمها ومنهجها مرتكزا لتطورهم الاجتماعي انصرف كل المجتمع اطفالا ورجالا ونساء ومؤسسات واجهزة الى التراث القومي يستمدون منه منطلقاتهم وتصوراتهم وهم - اذ يفعلون ذلك - يكونون معبرين بحق عما تكنه

ضماثرهم مستوحين شخصياتهم الحقيقية التى صاغها الاسلام على الزمن
ثم جمدت وتشوهت ونسيت خلال قرون الغربة والظلام والسلبية التى
حالت بين المسلمين وحقيقة أنفسهم . وبذلك وحده تمحى هذه الازدواجية
التى تمزق شخصية الفرد المسلم الذى يكتنز فى أعماقه الشخصية المسلمة
ولكنه يمارس فى واقع حياته ألوانا من السلوك والمعاملات مستمدة من
حضارة أخرى قد تخالف فى قيمها ومنطلقاتها كثيرا مما هو راسخ فى
النفس فتتمزق النفس بين باطن لا يجد سبيلا الى الحياة وبين ظاهر يستمد
وحيه من خارج النفس ، وقد فرض فى كثير من الأحوال بقوة الاستعمار .
والذين يفهمون هذه العودة الى حقيقة الشخصية القومية، كعودة الى مظاهر
بعينها غائبة عن حياة بعض المسلمين اليوم، كالحودود وما اليها يفهمون الاسلام
فهما سطحيا يؤكد المعنى الضيق للدين الذى هو المفهوم الغربى . فان هذه
الأحكام وما اليها لا تمثل الا الجوانب القصية من حياة المجتمع المسلم حيث
يلجأ الناس الى القضاء والمحاكم بعد أن تفشل كل السبل والأساليب التى
ابتدعها الاسلام لخلق المواطن الصالح الذى هو دولة داخل الدولة . . . ومضى
فهم الناس الاسلام كاسلوب حياة رفيع لخلق المواطن الانسان الذى وطنه
العالم تضاعل دور كل هذه الأحكام فى النظام الاجتماعى العام وأصبحت من
الضرورات التى لا يلجأ اليها الا فى نهاية المطاف لأن آخر الدواء الكى .
هكذا كان مكان هذه الأحكام فى حياة المسلمين الأوائل ، لأنهم حين عاشوا
حياة الاسلام العريضة عصموا أنفسهم عن الزنا وعن السرقة وما اليها
بدافع من الداخل لا خوفا من الحد ، بل واعترف منهم من ارتكبها وطلب
تطبيق الحد عليه كدليل ناصع على فعالية النظام الاجتماعى الذى يربى مثل
هذه النفوس الكاملة . ومن البديهييات التى غابت عن أذهان المسلمين لكثرة
ما ألفوا حياة الخمول والبحث عن تحقيق ذواتهم فى تقليد الآخرين بدل الانكفاء
على نفوسهم والصدور عنها ، فى كل ما يتعلق بتطوير حياتهم . أن اسلامهم
المفقود لا يقبع فى الماضى بقدر ما يقبع فى دخيلة كل فرد منهم ، ولكنه - كما
قلنا - اسلام مكرور ، فاقد للروح يمارسه الناس بحكم العادة والتقليد وقد
جهلوا كثيرا من أسسه الفلسفية والعقلية التى تمنحه جواز المرور لحياتهم
الفاعلة ، واتصال الناس بترائهم واجالة الذهن فيه لا يمنح الحياة لسلوك
المسلمين فحسب، بل يمنحه التبرير العقلى ، فلا يكون سلوكا تقليديا نترسم
فيه خطى الأوائل من باب الواجب أو البركة ، بل يكون سلوكا نابعا عن اقتناع

وتبرير ووعى . واستعادة الوعي لثقافتنا وشخصيتنا الحضارية هي القضية العاجلة . لأنه عن طريق ذلك وحده تتكامل حياتنا بتكامل ثقافتنا . اذ التراث ليس هو الصورة الفكرية لوجودنا فحسب بل هو المرشد العملي لحياتنا في نفس الوقت . ومنه تستمد الشخصية المسلمة مواضعها الفكرية الى جانب ممارساتها الفعلية . فالفقه - مثلاً - ليس مجرد احكام قانونية وثقافة عامة وانما هو الى - جانب ذلك - مجموعة القواعد التي يجب على المسلم تطبيقها ليصبح مواطناً انساناً اي مسلماً . فالمطلوب منه ليس حفظها واجترارها كعلم فحسب بل الأهم من ذلك معاشيتها والسير على هداها في حياته اليومية فهو دستور المواطنة التي تحدد مظاهر سلوكه الخاص وتبلور علاقات مجتمعه العامة . فباب الطهارة - مثلاً - ليس ثقافة فحسب، بل هو ارشادات عملية لتحقيق النظافة التي هي جزء لا يتجزأ من الايمان ، وقل مثل ذلك في كل أبواب الفقه من عبادات ومعاملات . وعن طريق المدارس والممارسة للتراث تصبح معظم المعارف الدينية قدراً مشتركاً بين كل أفراد المجتمع لا يتلقونه في المدرسة فحسب بل يعيشونه في كل جوانب مجتمعهم مثلما يتنفسون الهواء . فيكون التراث الاستراتيجية الكبرى التي تنطلق منها كل أوجه النشاط في المجتمع كحياة ، ومنه تنطلق كل التخصصات العلمية والعملية كثقافة ، فيكون الطبيب ويكون المهندس ويكون القاضي ومن اليهم الدين تشبعوا بثقافتهم القومية وتشربوا أسس المواطنة التي تمنحها هذه الثقافة وتشكل بها شخصية الفرد والجماعة ، وبذلك تستعيد الثقافة وحدتها كما استعاد المجتمع بالرجعة الى ذاته: وحدته وتكامله ولا يتطور التراث بالنظر العقلي وحده بل بالمعاشية وملاصقة الواقع واجراء التعديل في ميدان التجريب والممارسة . ان استعادة هذه الشخصية القومية بالارتكاز الواعي على موروثها الحضاري ووصلها بروح العصر لهو السبيل الوحيد المتاح للشعوب المسلمة لتلعب دورها أولاً في بعث حضارتها ولتجلبو للبشرية ثانياً صورة الاسلام الحي في عصر ما بعد الاستعمار لحل مشاكل البشرية في زمان فقد فيه العالم توازنه بتغليب جانب المادة على جانب الروح مثلما فعل الاسلام في القرن السابع الميلادي فأحدث معجزة التوازن الخلاق في حياة الأفراد وفي حياة الجماعات وظل على الزمن باقياً في النفوس رغم كل الظروف، ينتظر لحظة البعث ليعيد الى المسلمين أصالتهم والى البشرية توازنها .

من منشورات

دار البحوث العلمية

مكتبة القانون الاسلامي

مجلة الأحكام العدلية

مشروع موسوعة الفقه الإسلامي

هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي

* * *

مفاهيم اقتصادية

تفسير آيات الربا

الربا ودوره في استغلال ثروات الشعوب

بحوث في الربا

للقامين الأصل والبديل

وضع الربا في البناء الاقتصادي

* * *

مختصر شعب الإيمان

الحجج (بالانجليزية)

الحجج (بالتركية)

القرآن والقصة الحديثة

الفهرس الهجائي لكتاب المغني

الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي

البعد الخامس

دستور الأخلاق في القرآن

القوى الخفية التي تحكم العالم

أبجاء العبادات فى الإسلام

د . اسماعيل راجى الفاروقى (*)

تمهيد :

اصطلاح القول على تسمية الشعائر الإسلامية بالعبادات . الا ان هذا الاصطلاح خاطيء ومرفوض . فالعبادة فى الإسلام ليست الشغيرة فقط . ويمكن القول بان الشعائر كلها هى الحد الأدنى للتعبد الإسلامى . الإسلام لا يقسم الحياة الى دين ودنيا ، بل يجمعهما معا فى اطار واحد ، هو الإسلام ، فحراثة الأرض والانتاج فى المصنع أو المكتب عبادة ، والحمل وتربية النسل وعناية البيت عبادة ، والجهد المسلح والترفيه عن النفس المرهقة عبادة ، والتفقه فى الدين والكيمياء عبادة .

لنوسع اذا تفهمنا للعبادات فنرى فيها التعبذ الإسلامى ونأخذها نقطة انطلاق لبحث اعم واشمل . ولنعى انه لا يمكننا تحديد جميع الأبعاد بكاملها . ذلك ان التعبذ من أمر الله ولا يحيط احد بعلم الله وحكمته . فالممكن هو محاولة تبيان ما يتراءى لنا من فضائل التعبذ والاكتفاء بالأهم منها ، أى بما له مساس قوى بنهضتنا الحديثة ، لاسيما بما اخفقنا فى تحقيقه منها .

* جامعة تامبل ، فيلادلفيا ، الولايات المتحدة ورئيس رابطة العلماء الاجتماعيين المسلمين بأمريكا .

البعد الاقتصادي :

افهم بالبعد الاقتصادي للتعبد الاسلامي البعد المادي عموما ، المؤلف من جميع أنواع الخير المادي من بقاء وصحة وقوة علمية وتنظيمية ومادية للتغلب على المشاكل والأزمات والتخلص من آثارها . وأفهم أيضا بالبعد الاقتصادي رفاهية خلاقة تعاضد الروحانية وتساندها . فماذا يقدم لنا التعبد الاسلامي في هذا المضمار ؟

يقول لنا الاسلام أن الله تعالى خلق الانسان ليكون له خليفة في الأرض . وأن معنى هذه الخلافة هو تحويل المخلوقات كلها الى ما يطابق أمر الله وأرادته ، ويقول لنا أيضا أن الهدف المرغوب في التحويل هو أخلاقية الانسان وسعادته وجعل هذه الأرض جنة يجزى الانسان فيها قسطا من الجزاء الأكبر .

ويصر الاسلام : ان للانسان أن يصنع تاريخه بيده . فكل نفس بما عملت رهينة ، ولا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وان الانسان اذا عمل فسرى عمله الله ورسوله والمؤمنون ، أى أن لابد لعمله الجاد من أن يؤتى ثماره المرجوة . فالحياة ليست عبثا وليست الأرض شرا . بل وضع الله في الانسان من المواهب والمقدرة ما يضمن تحويل ما هو كائن الى ما يجب أن يكون . ويقول لنا الاسلام أيضا أن الصلاة تدفع الى المعروف وتمنع عن المنكر ، وان رمضان هو شهر البركات ، وان الزكاة خير محض مادي ومعنوي ، أى فلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه صلى .

اذا كان هذا هو البعد المادي العام للتعبد الاسلامي ، فما ينطوي عليه هذا التعبد من معان اقتصادية ؟ .

(١) العمل . خلق الانسان ليعمل ، وعمله هو تعبده . فلا فلاح ولا خير ولا نفع ولا تغيير لشر ومكروه الا بعمل . والعمل هو الكد والجهد والبدل والانتاج في كل حقل من حقول الحياة . فالذي لا يعمل يمكن أن يكون بوذا حكم على الخلق بأنه كله شر لا خير فيه ، أو مسيحيا أقعد نفسه انتظارا لمخلصه لينشله من الوجود الشرير الى غير رجعة ، أو لادينيا متهكما آمن بعث الوجود كله . ولكنه ، أى الذى لا يعمل ، لا يمكن أن يكون مسلما . ونحن المسلمون عموما مخفقون في طاعة أمر الله : بأن اعملوا . اذ لا نعمل بربع ما فينا من طاقة سواء كنا فلاحين أم حكاما . ولعل العمال الصناعيين هم الوحيدون بين المسلمين الذين يعملون الحد الأدنى كل يوم . وليس ذلك تطوعا منهم بل اجبرهم التنظيم الصناعى الذى يعملون فيه . وأسوأ المسلمين موظفو الحكومات . وما أحرى المسلم بأن يذكر بأنه بدون عمل لا يستقيم له سوى الفقر ، والفقر من وعد الشيطان .

(ب) **شرف المعاملة** . على المسلم أن يعمل بشرف ، أن يبيع ويشترى بشرف ، ويخدم وينتج بشرف ، ويستهلك ويستعمل بشرف . وهو ، أن آمن بأن الله يراه ، وأنه تعالى سيحاسبه عن كل ما يعمل ، ولو كان مثقال ذرة ، فإنه سيعمل بشرف . عندئذ لا حاجة للمفاصلة في البيع والشراء فمن الشرف أن يكون السعر علنيا وواحدا للجميع . عندئذ يحترس العامل على مال غيره أشد من احتراسه على ماله الخاص . عندئذ يكون تنفيذ العامل لخطة مديره كاملا لا يحتاج لتفتيش . عندئذ يكون استعمال الناس لمراقبتهم العامة من طرق وحدائق ووسائل مواصلات وغيرها أمينا لا تشوبه شائبة .

(ج) **الزكاة** : يكسب المسلم رزقه من عمل مشروع . فلا يجوز له أن يرتزق من تعاطى الخمر والفساد والسرقة بل من عمل ينفع الناس . فإن حصل على الربح اعتبره حراما عليه إلى أن يزكى ، إلى أن تزفع منه حصة الله . وهي حصة المجتمع . ففي هذه الزكاة يحقق المسلم معنى انتمائه للأمة . إذ لا إسلام بدون أمة ولا أمة بدون زكاة . وما أحلى أن يدفع المسلم بحصته من نفقات الأمة طوعا وتعبدا لله تعالى فيطيب خاطره وتشتغل همته بدل أن يدفعها قهرا كضريبة الزمته بها حكومة غائبة .

وللزكاة فضل اقتصادي عظيم ، هي أنها تستنزف المال الجامد . فهي لا تبقى عليه بل تستنزفه تماما على مدة أربعين عاما أي متوسط الجيل الواحد . . ولهذا هي تدفع صاحب المال إلى الإسهام به في عملية أو مشروع إنتاجي يجلب الرزق على العمال والموظفين ويزيد المال خيرا . وبالزكاة تتفوق على ضريبة الدخل المستجدة من الغرب . فالمال إن أديت عنه ضريبة الدخل يمكن له أن يتجمد إذ لا تفسد الضريبة مرتين . بينما الزكاة تفسد طالما أنه موجود . ولهذا كان من نتائجها الإيجابية إسهام مدخرات الناس كلها في الإنتاج القومي .

ولنفس الغرض ، حرم الإسلام كنز الذهب والفضة ، وحرم الاحتكار والتلاعب بالأسعار . فهو يريد للمال الحركة حتى تعم المنفعة على الجميع . وما أقرب الاقتصاد الحديث إلى الإسلام عندما يسمى الجمود بكلمة *arteris - sceleosis* المستعارة من الطب . فهي تعني تعثر المجارى الدموية . فالأمة ذات المجارى المالية العثرة لا تنتج ولا تستهلك ، والتي لا تنتج لا خير فيها . يريد التعبد الإسلامي المجتمع ذا الشرائع

المالية المفتوحة التى يجرى فيها المال بسرعة ونشاط . وهذا هو المجتمع الذى ينتج أكثر مما يستهلك ، ويستهلك كل ما يحتاجه كفاً دون تبذير ، تتوفر فيه الطيبات والزينة والخيال المظهمة والحلى لجميع الناس ، فضلاً عن ضروريات المعيشة .

لنسأل أنفسنا أين نحن من تحقيق هذا البعد الاقتصادى للتعبير الإسلامى ؟ نحن بعيدون كل البعد . لسنا خلائف الله فى الأرض بل المتخلفون فيها . وليس تخلفنا إلا لاختلافنا بواجبات الإسلام . ولو قمنا بما أمرنا الله به ، لكنا الأسبقين .

يقع معظم الحق فى تخلفنا على حكوماتنا ، فهى ضعيفة البصر والبصيرة . وكل حكومة غير جديرة بحكمها إذا لم تستطع تنظيم حياة ابنائها بشكل يضمن مصاريفهم فى الصغر والشيوخ بعائد انتاجهم فى ربيع حياتهم . فالإنسان يمكنه أن ينتج خلال خمسين سنة ويتعذر انتاجه فى الصغر والعجز بنصف مدة انتاجه . فالفقر فى يومنا هذا هو اخفاق الحكومة فى تنظيم الحياة ، فى عدم أعدادها للناس للمساهمة فى الانتاج الفعال . ولا عذر قط . لآية حكومة مهما قلت مواردها . أما انتاج الزيوت المعدنية ، فهو ليس انتاجاً فى عرفنا الحاضر . بل هو منحة قدف الله بها لنا ليمتحننا : فإن عملنا بما أمر نصرنا على أعدائنا وأيدنا بروح منه وكتب لنا الفلاح . وإن لم نعمل بدلنا بمن هو خير منا . نحن امام معركة وجود وعدم وجود .

البعد السياسى :

للبعد السياسى أربعة أركان : الوحدة والمساواة والعدل والتعبئة . أما الوحدة : فهى اتحاد المسلمين يقينا وعملا على أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وعلى إقامة الصلاة والجهاد صفاً واحداً وتحقيق البر والتقوى يداً واحدة ، والتآخى والتواصى كأنهم البنيان المرصوص . ليست الوحدة التى يريد الإسلام تجمهرها أو مظاهرة أو صيحة بل اجماعاً على مستويات ثلاثة : اجماع فكرى واجماع ارادى واجماع عملى :

(١) وحدة الاجماع : الاجماع الفكرى هو وعى المسلمين بأنهم أمة من دون الناس أراد الله لها أن تكون وسطاً فى البشر وهو اقرار كل فرد بهذا المبدأ وتفهمه لفحواه من توحيد وقيم تفهما واضحاً مسؤولاً . وليس هذا

الاجماع متوقفا جامدا يحقق مرة وإلى الأبد ، بل متحركا خلافا بتفاعل مع الزمن ويجدد أهميته لأطواره المتتالية . وهو اذ يتحرك لا يتحرك عفويا أو انفراديا بل ضمن تنظيمات ومدارس ومعاهد ومجامع وندوات ، يتفاعل فيها العلماء والاختصاصيون مع عامة الناس في أخذ وعطاء . ويكون له المنابر والصفحات المطبوعة الناطقة باسمه .

الاجماع الارادى : هو تصديق الرؤيا التى تضمنها الاجماع الفكرى والتقرير بالعزم على تحقيقها أو الموت فى سبيلها كما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه عمه أبو طالب التخلّى عن الاسلام .
الاجماع الارادى ليس تعسفيا محتكرا لأفراد قلائل : غضبت الأمة ان غضبوا وفرحت ان فرحوا . بل تكون له منظماته على جميع مستويات الأمة . فالأمة ان غضبت أو هللت فعلت ذلك عن فهم وادراك وعزم واصرار ضمن تنظيماتها .

الاجماع العملى : وهو العمل الجماعى من قبل الأمة قياما بما قررت قيادتها تنفيذه من خطط وأعمال . يعرف فيه كل فرد مكانه وواجبه ، وكل منظمة واجباتها والانجازات المتوقعة منها .

والتنظيم على هذه المستويات الثلاثة هو الذى يحرك الدولة ويمنحها قوتها واستقرارها وهو قوام عليها ، لا هى عليه . وهو ضمان نجاحها وان ترأسها مجنون أو ضعيف فهو الوازع العالم الحكيم ذو النظر البعيد . وهو المنسق لسياسة الدولة وان اختلف قادتها مع بعضهم البعض أو عن خلفهم أو سلفهم . والتنظيم هذا هو الفرق بين الجذ والهزل ، بين الارتجال العاطفى ونظر صانع التاريخ .

فالوحدة الاسلامية الكبرى التى نرجوها لا معنى لها سوى هذه الاجتماعات الثلاثة والتنظيمات المجسمة لها . فان قامت وحدتنا على غيرها فهى وحدة مصرية سورية لا تلبث ان تنقسم عراها ، أو وحدة هاشمية (بين عمان وبغداد سنة ١٩٥٨) لم تذكر بعد انعقادها لا بخير ولا بشر وكأنها لم تكن .

(ب) المساواة : وهى الركن الثانى للبعد السياسى . كان الاسلام - باقراره مساواة البشر - اصرح الأديان جميعا وأبعد الأيديولوجيات شمولاً .

فالمساواة من قيم الاسلام الكبرى ، وهى الجانب الانسانى لتوحيد الله سبحانه وتعالى . فالشهادة بأن لا اله الا الله ، تعنى : بأن كل ما هو دونه مخلوق يدين له بوجوده وحياته . والانسانية كلها سواء فى مخلوقيتها . وعليه : كل تفرقة بين الانسان والانسان لا تقوم على التقوى أو العلم أو العمل الصالح خرق لوحداية الله تعالى . ان تسوية صفوف المسلمين فى الصلاة وضمهم الكتف الى الكتف والساق الى الساق حتى لا ينفذ الشيطان من بينهم كما قال الحديث الشريف ، تعنى ان المسلمين سواسية كأسنان المشط ، كلهم ، مليارهم بكامله .

(ج) **العدل** : هو ركن من أركان التوحيد . ذلك لأن وجود الله ووحدانيته يتعارضان مع الظلم انى وقع . والعدل مفهوم النظام الكونى كما هو مفهوم نظام الأمة والجماعة . من الظلم أن يكون للعدالة سعر يدفع للحصول عليها . يجب أن يكون للعدالة هيبتها بحيث لا يطلبها الا المظلوم الحقيقى . لكن المظلوم يجب ان يطمئن الى ان العدالة معه ، اى انه كبير عندها الى ان يعادله حقه وان الظالم صغير عندها الى ان يعيد للمظلوم حقه ، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(د) **التعبئة** : وهى الاستعداد المستمر والعمل الدائب لتحقيق ارادة الله كما أجمعت على تفهمها الأمة وعزمت عليها . فالدول الحديثة تعبى شعوبها وجيوشها فى حالة الحرب للذود عن وطنها ثم ترحبها فى حالة السلام . أما الأمة الاسلامية فالحرب والسلام ثانويتان بالنسبة للحرب الدائمة التى تشنها فى سبيل تحقيق ارادة الله . اذ لا نهاية لهذا التحقيق وبالتالي لا تسريح لجهود الأمة قط . فالأمة مكلفة بالتحقيق ما بل بحر طوقا ، - بتشديد اللام بعد الباء وفتحهما - وذلك كى يبلونا الله فىرى أينما أحسن عملا . ولو تم - فرضا - لقسم من الأمة فى قرية أو بلد ما ، تحقيق ما يصبوا اليه لوجب على ذلك القسم الاستمرار فى التعبئة ليحقق لغيره من الأقسام ما حققه لنفسه .

والآن لنتساءل : أين نحن المسلمين اليوم من تحقيق البعد السياسى للتعبد الاسلامى بأركانه الأربعة ؟

الجواب على هذا السؤال مؤلم . فالعالم الاسلامى ممزق فى عقله وقلبه وسناعده وأنا لا أفهم رضى العالم الاسلامى بتمزيق المستعمر له بعد رجيله عنه . فالواقع أننا كنا متوحدين مجمعين تحت الاستعمار أكثر من

ثبث الاستقلال. فان دل ذلك على شيء فهو يدل على عدم قيام أوجه الاجماع بيننا . وليست الفرقة اختلاف حكام فمثلا تكونوا يولى عليكم . ليس الحاكم أصلح من محكوميه وان ميز نفسه عنه باللبسة والحرس والجاه . فحكمانا يعبدون كراسيهم . ولكل دولة اسلامية هيا العدو أكثر من عدوة من بين اخواتها الدول الاسلامية . هذا فضلا عن أعدائها في الداخل . فأين هي الدولة المسلمة التي لا يقوى العدو المستعمر على قهرها بواسطة اخواتها الدول المسلمة ، أو بالإيعاز الى العناصر الغير مؤلفة الكامنة فيها على أهبة الاستعداد لنسفها ؟ فهل نجحت حتى الآن أية دولة مسلمة بتأليف قلوب جميع أبنائها ؟ أو بتأليف الحكومات والدول المسلمة التي تحيط بها ؟ الحقيقة المرة الثانية هي أن لا مساواة عندنا . فقد تعلمنا درس العنصرية البغيض والقومية الجغرافية من أعدائنا فاتقناه أكثر منهم . ان جميع حدود الدول المسلمة خطوط مستقيمة تدل على أنها من وضع المستعمر في عاصمته . وما أبشع المسلم الذي يتغنى ببلده بحدودها المصطنعة ! وما أبشع أن نعلم أبناءنا وبناتنا هذه الخريطة التعيسة لوطننا ! فبينما تتوحد أوروبا وتفرق فوارقها في منافعها المشتركة يتفنن المسلمون في التفريق بين بعضهم البعض . ولو كلف الشيطان الرجيم بوضع قوانين الجنسية في كل بلد اسلامي لما أفلح كما أفلح المسلمون . في أشد بلاد العالم عنصرية تمنح الجنسية لابن الأجنبي الذي يولد فيها . بل وتمنح لمن يقيم فيها ويعمل لها عددا من السنين . وان ظالت - اما بلاد الاسلام ، يبقى مولودا لأجنبي اجنبيا الى ما شاء الله . وليس لاقامة الأجنبي أو عمله أو خدماته أي حساب في منحه جنسية البلد المقيم فيه . فنحن بهذه القوانين اثبتنا انحطاطنا أمام العالم ، بما فيه اسرائيل عدوتنا ، التي ضربت مثلا يحتذى بفتحها أبوابها لكل يهودي أنى جاء . ويزيد الطين بلة أن معظم أرجاء الوطن الاسلامي قليلة السكان ، بل منها ما هو شبه خاو . فبينما تتماذى حكومات البلاد قليلة السكان بعنصريتها ، تدعو حكومات الدول كثيفة السكان الى تقليل النسل . فهل من منطق أغرب من هذا ؟

اما التنظيم الحزبي السياسى القائم على العقيدة لا على الشخصيات ولا على المحسوبية ولا على أمر الحكومة وتوجيهها ، فغير موجود حاليا في العالم الاسلامي، اللهم الا اذا استثنينا الأحزاب الصهيونية، في اسرائيل وحزب الكتائب المسيحية في لبنان .

ومن الأسف أن العالم الاسلامى اليوم يخلو من أى تنظيم سياسى
يمكن لنا بشرف أن نطلق عليه اسم حزب الله .

وما أبعد عالمنا الاسلامى اليوم من أن يؤلف جسما عضويا اذا أصيب
عضو فيه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . فالمسلمون يقتلون فى
بلد ويسلبون حقوقهم ويششتون فيجتمع وزراؤنا ويقررون الصراخ
والاحتجاج الى مجلس الأمن المؤلف من أعدائهم الذين لا يبيتون لهم
الا الهلاك .

البعد الاجتماعى :

قال الله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » . تعنى هذه الآية الكريمة
أن على المسلمين أن يتحابوا ويتآخوا فى الله، وأن يريد الواحد للآخر سعادته
واطمئنانه وفلاحه وأن يعمل جادا على تحقيقها له .

وان كانت الصدقات قديمة قدم الانسان ، الا أن الاسلام هذبها
وجعلها قانونا اجباريا فأصبحت الزكاة ثم أوصى بالصدقات تطوعا واختيارا
فوق الزكاة . وكذلك فى الخدمة الاجتماعية ، جعلها الاسلام حسبة ودعمها
بالقوانين . فالمسلم مكلف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تجاه الجميع .
وهو مكلف باعالة ذوى القربى الى أبعد درجات القرابة طالما أن القريب
محتاج ولا أقرب اليه من المسلم المكلف . فكانت العائلة الاسلامية عائلة
كبيرة تتسع لعشرات من الناس ، كلهم ذوى قربى . وكان البيت الاسلامى
بيتا كبيرا يلقى فيه كل فرد - صبيا كان أم شيخا - من يبادل له الحديث الجاد
والاهتمام أو الفكاهة ، من يشاركه حزنه أو فرحه ، من يتتبع مزاجه
ويشاركه فيه كل لحظة من النهار والليل . عاش هؤلاء جميعهم فى بيت
واحد وأكلوا من مطبخ واحد فقلت كلفتهم واشتدت سعادتهم . فقل من
جراء ذلك المرض النفسانى والتوحد والانعزال وما تجره هذه على الانسان
والمجتمع من عقد نفسية .

واقام الاسلام علاقة الرجل بالمرأة على المحبة والمعروف بعد أن أبرأها
مما نسبته اليها المسيحية ظلما من جرم ونجاسة واعترف لها بشخصية
قانونية كاملة وأعطاهها حرية اختيار زوجها والتعاقد معه فى الزواج على
ما تبتغيه من شروط وسبل عيش . ثم فرض عليها ما فرضه على الرجل

من واجبات دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية مضيّفاً — على ذلك كله —
ان لها على الرجل حق النفقة على أساس من المعروف واللباس والسكينة .
جعل الاسلام الصيام في رمضان وسيلة للشعور مع الجائعين
والمعوزين . فالشعور معهم والعطف عليهم وإيتاؤهم الصدقات محبة .
وجعل الاسلام اطعامهم في رمضان والباسهم حلية يوم العيد زكاة صيام
المسلم وكفارة لعدم صيامه . وهذا محبة .

وجعل الاسلام الصلاة بصفوفها المستقيمة انزالاً لنفس المسلم من
كبريائها الى التساوى بالمسلمين المصلين . والشعور بالتساوى محبة .
والمسلم ، اذا فرغ من صلاته صافح أخوانه من حوله وتمنى لهم حسن
القبول . وهذا محبة .

وفرض الاسلام حج بيت الله كي يتجمع المسلمون من أنحاء الأرض .
فيتشاورون في أمورهم ويتعارفون ويتآخون ويتعاونون على البر والتقوى
لأنفسهم وللمسلمين في بلادهم . وهذه محبة .

وان كانت المحبة صعبة التحقيق بين الغربيين ، فقد اعترف الاسلام
بعبادات ومراسم الحياة لكل فريق من المسلمين واعتبرها مصدراً للشرعية
شرطاً عدم تعارضها مع ما أنزله الله . والتسامح مع الغريب واحترامه في
غربيته محبة .

وتعدى تسامح الاسلام ورفقه الى الاعتراف بالأديان الأخرى
وشرائعها لا موافقة على مناقضتها له بل طمعا في تأليف قلوب أصحابها
ودفعهم الى الاستماع الى دعوة الله ورسوله في جو يسوده الاحترام
والتقدير . وهذه محبة .

ودعم الاسلام كل هذه المبادئ الاجتماعية بالقوانين حتى لا تكون
مجرد نصائح تسمع أو لا تسمع . فأصبحت نظام حياة فعلى . وما من
دين ولا أيديولوجيا ، لا قديما ولا حديثا ، استطاع ان يقدم ما قدمه
الاسلام . وقد قيل — بحق — أن الاسلام هو الدين الأمتى ، اعترافا بخلقه
الأمة . وجعلها كيانا اجتماعيا حيا ، منفتحة على البشر أجمع ، عزيزة
بعروتها الوثقى .

البعد الحضارى .

رفعت حضارة الاغريق من شأن الانسان ، الا انها رفعت كالة

لا كانسان . ويتأليهه ، ألهمت الطيب والخبيث معا دون تمييز . وبهذا حاولوا استنباط الحكم على الطبيعة من الطبيعة نفسها . لكن دون جدوى . فالأؤكد والمعارض يعتمدان الطبيعة الواقعة مرجعا لحكيمهما المتضادين . فمزقهم التضاد بين عناصر الطبيعة . لهذا ناقض الآلهة بعضهم بعضا وكادوا كيدا شنيعا دون حل . فجاءت كارثتهم وهى كارثة الانسان لانهم هو . فالمأساة ، وهى ارقى ما وصل اليه الفكر الدينى الأغريقى نظرة كئيبة الى الحياة . ترى فيها العظمة والبطولة ولكن لا الى هدف . الحياة عندهم كلها زبد وحزن وتفه فلا غرابة ان جاءت الفلسفة فى عصر الانحطاط تلك اسس هذه الحضارة البالية . ولم تتمخض حضارة الاغريق عن شىء سوى المأسى الشعرية المسرحية ونحت التماثيل التى تمثل أدوار المسرحية فى أنواع البشر كآلهة وشىء من فن العمارة التى تمثل تغلب الانسان الاله على بعض قوى الطبيعة المعادية .

أما الدين اليهودى فهو - أبدا - لم يستعأ أن ينشئ حضارة، بل عاش اليهود فى جميع أطوار تاريخهم الطويل عالة على حضارات جيرانهم ، لا يختلفون عنهم الا بارادة التميز التعسفية ، أى بالعنصرية . ولم تكن رسالتهم التوحيد - كما يدعون - لأن التوحيد لم يتأصل فى نفوسهم ولم يوجد الا بين الانبياء وعدد ضئيل من اتباعهم مما أوجب إعادة الدرس عليهم مرارا وتكرارا . وعندما جاء الاغريق والرومان ، وجدوا اليهود مقوقعين فى عنصريتهم ومنعزلين فحاولوا فرض الانفتاح عليهم بالقوة . وبقيت العنصرية تتحكم فيهم الى اليوم . والعنصرية ليست حضارة .

وجاء عيسى بن مريم عليه السلام يدعو لازالة العنصرية وفك الأغلال التى قيدهم بها ربابنتهم . فكانت ثورته ضد العنصرية والانغلاق . آمن برسالته عدد ضئيل من اليهود وحكمت عليه الاكثريه بالجرم والاعدام . وجاء بولس اليهودى الروحى الناهل من الدين الاغريقى ، فأول بتشديد الواو المفتوحة وفتح اللام بعدها - رسالة المسيح وجعله الها القى بنفسه الى الذبح ليخلص البشر تماما كقصة ميثراس فى الدين الفارسى المنيكر السائد وقصة أدونيس فى أديان الجاليات اليونانية فى آسيا الصغرى .

ليست المسيحية ديناً واحداً ، بل أديانا يجمعها : أنها جعلت المسيح محور تفكيرها ، ثم اختلفت اختلاف الليل من النهار . فمنها من قال فى

المسيح كما قال الله تعالى في القرآن الكريم . ومنهم من قال انه اله محض ومنهم من قال بأنه جمع اللاهوت والناسوت . ولم يتفوق الراى الآخر الا بدعم السلطة السياسية له لا بفضل حجته . اذ كان راى الأقلية الى القرن الخامس . ذلك أنه كما سماه صاحبه بولس : « سكاندلون » أى « ما يشمئز منه العقل ويأباه » .

يقول هذا الدين المسيحى ان الانسان مخلوق ساقط وسبب سقوطه اجرامه فى الجنة ، وذلك بدفع من حواء لمعصية الله . ويقول أيضا : ان أثر هذا السقوط فى جبلة الانسان فأصبح معدوم القدرة على فعل الخير بالطبيعة ، مجبولا على الشر والرذيلة بالضرورة . وعليه بعث الله بابنه (تعالى الله عما يصفون) شخصية الثالوث الثانية ، الى الأرض لكى يتعذب ويموت فدية للبشر على اجرامهم . اذ لا خلاص لهم الا بفدية هائلة لا يقوى عليها الا اله .

لم ينشئ هذا الدين حضارة . بل عمت على أصحابه ما يسمونه بالعصور السوداء أو القائمة وهى العصور التى لم تعرف أوروبا خلالها سوى المسيحية . لمدة ألف سنة بقى المسيحيون بدون حضارة وبدون نور . الانسان محطم المعنويات والجو ملئ بالخرافات ورجال الدين مشعوذون . ولا علم ولا فن . الى أن جاء نور الاسلام الى أوروبا فأخذ يوقظها من سباتها العميق . وسرعان ما أتت النهضة ضد المسيحية ومن داخل الكنيسة المسيطرة فأخذ جدار المسيحية يتصدع . وقد كاد ينهار تماما فى يومنا هذا . أما ما وضعته النهضة مكان المسيحية فهو الطبيعة المستمدة من التراث الأغريقى دون الهتها .

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله وسراجا منيرا فنزل الوحي عليه ، ليعيد الحق الى نصابه ، وليشيد الحضارة من جديد . فقال الاسلام ان الانسان خليفة الله فى الأرض ، جعل كفؤا لما خلق له ، قادرا على الخير والشر مكلفا . فان فعل الخير فهو فى جنة راضية فى الأرض كما فى السماء . وان لم يفعل فأثمه هاوية ، كذلك فى الدنيا والآخرة . وجعل الاسلام الانسان جسرا كونيا تعبر ارادة الله الخلقية من خلاله ، فتصبح تاريخا . فرفع من شأنه وكرمه أجمل تكريم بأن جعله وزير القدرة الالهية المنفذ لبعدها الأخلاقى الذى يتطلب تحقيقه حرية الانسان الشخصية

ومسؤوليته . فأقدم الانسان على الزمان والمكان يطوعهما لمقتضيات الأخلاق، كالسيد المعتر بقوته الواعى لمقامه والوزير المسؤول المطيع لأوامر الله سبحانه . فقبض على ناصية الوجود وأخذ يوجهه التوجيه المحقق لارادة الله . فكانت الحضارة الاسلامية . وهى ليست الا اعادة بناء الخلق بموجب التخطيط الخلقى الالهى .

مجد الاسلام العلم والحكمة أجمل تمجيد ولم يوازه فى موقفه هذا نى دين أو أية ثقافة فى تاريخ البشر كافة . فجعل العلم مفتاح التقوى والفلاح . فزادت الحضارة فعالية وتقدما بما اكتشفه المسلم من سنن الله فى خلقه التى لا تبدل لها .

وجعل الاسلام الأخلاق فوق القانون بل أيد القانون بها . فجعل المسؤول مسؤولا أمام الله وأمام القانون . وجعل القانون سنداً للأخلاق وحارسا . ولعل هذا الجمع بين القانون والأخلاق هو أعظم عناصر الحضارة اطلاقا .

لننظر الى الانسان الغربى الحديث الذى تقلده نحن المسلمين دون ادراك لموقفه من الحضارة . هذا الرجل نبذ المسيحية وراء ظهره واعتمد العلمانية أو الطبيعة . الا أن الطبيعة كما وجد الأغريق القدماء - لا تقدم حلا للمتناقضات الكامنة فيها . فكل موقف يجوز نقضه من الموقف المغاير له وكلا الموقفين فى الطبيعة ومنها . فالحل ان جاء لا يمكن ان يأتى من الطبيعة ، بل من الفرد . فالحل لكل مشكلة حل عرفى ، اما فردى أو جماعى، لكن لا علاقة له بالأخلاق الا اذا عرفت : بأنها ما يفعله الفرد أو الجماعة ابتغاء المصلحة أو اللذة . ومن هنا نشأ مبدأ الغرب منذ ماكيافيلى : بأن الحق للقوة المتفوقة . وهذا هو الانكار الكامل للأخلاق كما نفهمها ، أى التحكم بالطبيعة من خارجها ، أى عن مصدر خارج عن الطبيعة . كما فى الاسلام . فحكم الله فى الطبيعة هو : ان لا تتخطى الحدود الأخلاقية دون انكار للطبيعة ذاتها . لقد بارك الله لنا فى غرائزنا ومشاعرنا وفى طعمانا ودينانا وفى نفس الوقت حذرنا من أن نسمح للدنيا بالسيطرة على الحياة وخرق الأخلاق . وهذه هى الروحانية الصحيحة والحضارة معا .

وللاسلام هنا الفضل الاكبر بتمكين التحكم فى الطبيعة والتفضيل بين عناصرها المتناقضة وحل ما يشكل منها بالمقتضى الخلقى الصادر عن الله

تعالى خارج الطبيعة والمادة . ولهذا ضمن لنا الاسلام سعادة الدارين ، أى طبيعة ومادة مزدهرة ، وروحانية مبنية على إرادة الله وطاعة أمره . فبالاسلام يمكن للمسلم أن يحقق ما حققه الغربى آلاف المرات فى العمران والحضارة المادية والعلوم دون افساد العملية . وذلك لتوفير الوازع الخارجى .

وليست المشاكل التى تعانيها الحضارة الغربية اليوم الا ما عجزت عن حله لأن ليس لديها مصدر خارج الطبيعة تعتمد عليه . فرجل الصناعة الذى يلوث النهر او البحيرة بأوساخه الكيماوية لا يريد تدبر اوساخه بطريقة أخرى لأن ذلك يكلفه وهو يريد أن يربح . والمعارض له ، سواء كأن رجلا صناعيا آخر أم مدينة ، يستطيع أن يطهر الماء قبل استعماله . ولكنه هو أيضا يريد أن يربح ولا يتكلف . فاذا اتفقنا أن إرادة الربح طبيعة وان كل ما فى الطبيعة متساوى الحقوق لوجوده فى الطبيعة ، أين الحل ؟ ولم ينكر الربح ولا ينكر لعمرو ؟ فاما القوة واما المنفعة ، ولكن اذا تضاربت المنفعة بمنفعة أخرى ؟ فالحق يرجع نهائيا للقوة . وهذه هى اللاحضارة .

هذه هى مأساة الحضارة الغربية الحديثة وهى نفس المأساة التى خاضها الأغريق وقضوا نجهم بها . هى التى تفصل تمام الفصل بين الأخلاق التى تراها فردية نسبية الا ما اتفق مع منفعة الأكثرية وهذه أيضا نسبية ، وبين التجارة والسياسة والعلاقات الدولية . وهى التى تبعد القانون والعدالة القانونية أى إبعاد فى علاقة الإنسان بنفسه وبالطبيعة من حوله ، فى علاقة الزوج بزوجه والأب بابنه وبنته والمعلم بتلميذه والمتصدق بالتصدق عليه . فالأخلاق للفرد يتصرف فيها كيف يشاء والمجال العام للقوة .

فمن الأسف أن نرى شبابنا وحكامنا يسعون وراء هذه اللاحضارة سعيا . أما اسلامنا ، والحضارة العظيمة التى أنشأها ، وقوته الحضارية القادرة على أن تنشئ أكبر الانجازات الاسلامية فنحن مشفقون منه لجهلنا به . وهو لا ينقصه بعث ، فهو مبعوث حتى لا يموت فهو دين الله الذى لا يموت . انما نحن الأموات المحتاجون الى البعث . فالاسلام بحاجة اليوم الى من يعيشه ويحياه دينا ودنيا ، قانونا وأخلاقا ، فنا وثقافة ،

علما وهدى . فعسى أن يتحرك الدم الاسلامى فى عروقنا فيبعثنا كما كنا
فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وجودنا يسبق فعلنا ، وفعلنا يسبق
قولنا .

ولا قول لنا الا : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فذلك
نعم القول ونعم الثقافة ونعم الحضارة .

نحو نظرية إسلامية في الإعلام

زين العابدين الركابي(*)

(عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، كلا
سيعلمون ثم كلا سيعلمون) (١) •

صدق الله العظيم

المقدمة : مثل متخيل :

عام ألفين استطاعت نخبة اسلامية متخصصة في مجالات علوم
الاجتماع والاعلام والنفوس والعقائد والعلاقات الانسانية والطب و « الجهاز
العصبي بالذات » ان تحدث تغييرا شاملا في مدينتين : احدهما في افريقيا
- المجتمع الواقف على ابواب التصنيع - والاخرى في امريكا الشمالية ، -
مجتمع ما بعد التصنيع - وان تنقل الناس الى حياة جديدة في التصور
والافكار والبواعث والعادات والعلاقات العامة بين الافراد والأسر والمؤسسات
التجارية وفي علاقات الانتاج والفن وأهداف الحياة وغاياتها .

وكان مجلس الشورى الفنية - وهو أحد أجهزة مجلس الشورى
المركزي في الدولة الاسلامية - قد انتدب هذه النخبة للقيام بهذه التجربة .
استجابة للنداء الانساني الذي ناشد فيه أمين عام هيئة التنسيق الدولي
رئيس الدولة الاسلامية أن يبذل جهوده للمساهمة في حماية المجتمع

* مدير تحرير مجلة المجتمع الكويتية ، وقد قدم هذا البحث الى اللقاء الثالث
للندوة العالمية للشباب الاسلامي (الرياض : شوال ١٣٩٦ - اكتوبر ١٩٧٦) •
(١) اول سورة النبأ

الانسانى من ثلاث مشكلات تنذر بتقويض البناء الحضارى كله وهى :
التدهور المتلاحق فى الانتاج ، فقد سجل الخط البيانى لحركة
التنمية فى معظم دول العالم انخفاضا مخيفا فى الانتاج العالمى . ففى السنوات
الخمس الماضية كان التدهور فى الانتاج - وفق الترتيب الزمنى - ١٢ ٪
١٤ ٪ ١٨ ٪ ٢٣ ٪ ٢٨ ٪ .

المشكلة الثانية هى : الانحطاط الأخلاقى والنفسى المتلاحق كذلك .
ويرد كثير من خبراء التنمية ازمة الانتاج الى المشكلة الأنفة : الانحطاط
الأخلاقى والنفسى . من جهة اخرى يخشى علماء التربية ونفر من المفكرين
العالميين أن يقضى هذا التدنى المتتابع فى الأخلاق على البقية الباقية من القيم
التي تمسك الانسانية أن تزول .

وثالث المشكلات : تلوث الجو . ليس تلوث الهواء . وانما تلوث الجو
الثقافى والفكرى والتربوى والفنى .

فأجهزة الاعلام - الصحافة والسينما والتلفزيون والاذاعة والمسرح
والمصقات والكتاب - تصبح الناس وتمسيهم بالردىء من الأفكار .
وبالشريير من الآراء . وبالهابط من الاهتمامات .

ولقد اغرى الربح تجار الانتاج الاعلامى وجمهرة الكتاب والمخرجين
والصحفيين ومعدى البرامج بوضع خطة جديدة تزيد الجو تلوثا .

واخذ الناس فى غدوهم ورواحهم . فى بيوتهم ودور الثقيف والترفيه
يستنشقون هذا الجو الملوث .

فى هذه الظروف المحشوة والمكسوة بالكآبة استطاعت النخبة الاسلامية
المتخصصة أن تنجح فى تجربتها وتحدث تغيرا شاملا فى مدينتين كاملتين هما
الآن دليان ناطقان على أن السمو أمر ممكن .
كيف وقع هذا التحول ؟

فى المؤتمر الصحفى الذى نقلته الأقمار الصناعية لخصى قائد الفريق
الاسلامى المنتدب لاجراء التجربة . الجواب فى نقطتين فقال :

استخدمنا - أولا - قانون التحكم والاتصال في السيطرة على حياة الناس اليومية . وهو قانون يعد من أهم دعائم الاعلام الحديث .

« فعلى مستوى هندسة الاتصال أصبح واضحاً - كما يقول (فينز) أحد رواد هذا العلم - أن مسائل هندسة التحكم وهندسة الاتصال غير منفصلة عن بعضها البعض وأنها لا تتركز حول تكتيك الهندسة الكهربائية وأنها حول الفكرة الأساسية بدرجة أكبر وهي فكرة « الرسالة » سواء نقلت بوسائل كهربية أو ميكانيكية أو عصبية » .

ومعنى الاتصال : بث المعلومات وتلقيها وهضمها ومعنى التحكم : استعمال هذه المعلومات في تغيير مجرى التفكير ودفع الاتجاه النفسى الى وجهة مقصودة .

وطبقنا - ثانياً - المبدأ الصحى فى حماية البيئة من تلوثات الهواء والماء . فسخرنا التلفزيون والسينما والمحاضرة والملصقات وقصص الأطفال والمسرح والمدياع والمسجد والمناظرة . والصحافة ومناسبات الأعياد . وأعراف الزيارات . ابتغاء تهيئة مناخ صحى . وتوفير جو نقى يعينان على الاستقامة والاستواء وفى مدى زمنى طوله ثمانية أشهر طفق الناس فى المدينتين يجدون معانى الايمان والفضيلة والسمو والمسئولية ورعاية حقوق الآخرين . واحسان الأعمال والابداع فيها . مصاغة بعناية وجمال فى مسلسلات عن الاسرة وافلام ملونة عن غبطة الركض نحو الله . ومسرحيات تصور مفهوم علاقات الانتاج فى مسارده السليم ومستواه الراقى . وتحقيقات صحفية تبشر بفسوخ دعائم الامن النفسى والاجتماعى والوطنى والانسانى . وافلام كرتونية تمحو العادات والمفاهيم الرجعية التى غرسها الأباء فى نفوس الأطفال وتبعث فيهم قيما جديدة تجلو فطرهم وتؤيد براءتهم باخلاص الدين ونقائه .

وانهى قائد الفريق الاسلامى مؤتمره الصحفى - وقد بدأ عليه السرور - بقوله « وهكذا نجحت التجربة . والله الحمد من قبل ومن بعد » .

هذا مثل متخيل قضت باثباته فى مطلع البحث اعتبارات خمسة :

١ - تطبيق المبدأ الاعلامى الذى يلح على ضرورة البداية المثيرة للانتباه .

٢ - التوكيد على أن الاعلام انما هو علم الافعال والتحكم وهو بالتالى وسيلة التغيير والتوجيه والصعود بالناس الى أعلى أو الهبوط بهم الى القاع .

٣ - بعث الاحساس بأهمية الاعلام وانه وسيلة جديدة لتوسيع نطاق البلاغ المبين وتنويع فرص الصدع بالحق بين العالمين .

٤ - المبتغى - اسلاميا - ليس انتقالا جاهلا من مرحلة الى مرحلة . ولا انقلابا أميا لا يقرأ ولا يكتب . انما المبتغى فيضة مبصرة تتجه رأسا الى قلوب الناس ونفوسهم وافكارهم وتدير الصراع الحقيقى فى هذه المناطق الطبيعية للصراع .

ووسائل الاعلام هى أدوات هذا الصراع وأسلحته الثقيلة والخفيفة .

٥ - من حق الانسان أن يحلم فى نطاق الخيال الممكن التحقيق . ان أمة بلا خيال هى أمة بلا طموح . لأنها لا تملك قوة الأبصار الممتدة الى امام ولا شفافية التطلع الى الكمال المتاح .

من حق المسلم - كإنسان من الناس - أن يحلم بالمساء العظيم أو بالصبح الجميل الذى يذهب الروح ويجيىء بالبشرى . فلقد حلم ماركس بدولة الشيوعية، وحلم هرتزل بدولة اليهود، وعبرا عن حلميهما فى وسائل اعلامية هى الكتب والبيانات ومن حق المسلم - بصفته - أن يوقن بمستقبل مفعم بالاحتمالات الحسنة . بل بالانجازات المباركة . فالقرآن العظيم بشر المسلمين فى مكة - وهم يومئذ قلة تواجه واقعا عصيبا - بمستقبل يحمل الفتح والنصر والتمكين .

وفتح نوافذ الأمل ومد البصر خارج أسوار الواقع عزائم نفسية وفكرية مدغومة فى جوهر خصائص النظرية الاسلامية الاعلامية .

وسياتلق المعنى فى مقطع قادم تحت عنوان : « ابعد من الواقع : الفرصة المفتوحة » .

ومن الحقائق المقررة : ان ارتياد الآفاق الجديدة واستشفاف المستقبل من وظائف الاعلام ، ومن أهدافه الثابتة .

سطور في المنهج

لئن كان الاعلام - أمس واليوم وغدا - في هذه المرتبة العليا من الجدوى والنفوذ والتأثير فلماذا أهمله الفكر الاسلامي من الناحيتين : النظرية والتطبيقية ؟

فيمكن التقرير - بهدوء وعدالة - : انه ليس لدى الأمة بحوث نظرية متخصصة في هذا المجال . ولا رجال متخصصون يتغلغلون في أجهزة الاعلام المتنوعة فيخدمون قيمهم . ويلمعون من خلال كفاءاتهم الحقلية وأدائهم المبدع .

هنا تبتدىء معضلة منهجية تتمثل في :

(أ) المدخل . .

(ب) الوسيلة .

المدخل الى الناس . والتكيف السريع مع وسائل العصر وتسخيرها لخدمة الحقيقة .

فلم يقم الفكر الاسلامي بما ينبغي أن يقوم به تجاه المدخل والوسيلة . وهما من دعائم المنهج الاسلامي في التغيير والتحول . والاتصال بالناس وما يكتنفهم من هم وحاجة .

وكان من نتائج هذا التقصير المنهجي ما يرى اليوم من نقص في الثمرات أو تعثر في الخطوات . ومن غياب عن الصراع الاعلامي العالمي . وانه لعجز غير معلل ثقافيا . وغير مسبب منطقيا .

فالقرآن - وهو المصدر الأول لثقافة المسلمين - تناول مسألة المدخل في حديثه عن مشكلات الناس وهمومهم . وفي حديثه عن العقل كمدخل الى التوحيد والايمان وأمر المسلمين بأن يبتغوا الى الله الوسيلة .

وبالمنطق البشري العرفي : ما كان ينبغي أن يقصر الفكر الاسلامي عن هاتين القضيتين، وذلك أن البشر باجتهاداتهم الذاتية ، وبحكم الضرورة والحاجة - توسلوا الى غاياتهم بوسائل ابتدعوها ونفذوا الى الناس من مداخل شتى .

ويتعين - وفق قاعدة جلب المصالح - الانتفاع بما ينتفع به سائر الناس . ولو لم يكن هناك نص هاد ، أو قاعدة مرشدة .

بيد أن للاسلام نظرية كاملة في الاعلام والعلاقات الانسانية ، لها مضمونها الكلي ، وخصائصها المفصلة .

المضمون الكلى

بانتهاى الطور السرى للدعوة الاسلاميه فى مكة - وهو طور قصير واستثنائى - بدأت مسيرة الاسلام الاعلامية والاعلانية .

فالعلن هو منهج الوحى واسلوبه فى خطاب الناس . ونشر الحقائق .. فالوحى هو النبأ العظيم .

« عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون » .

« قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون » .

والنبأ لا يكون خفية ولا سرا لان طبيعته الظهور والعلانية .

والأنباء - أى الاعلام بكلام الله - هو وظيفة الأنبياء والرسل .

- « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » .

- « ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر » .

- « وأتل عليهم نبأ ابراهيم » .

- « وأتل عليهم نبأ نوح » .

- « وأوحينا اليه لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

وكما بدأت رحلة الانسان بالأنباء « أنبئهم بأسمائهم » ستنتهى بالأنباء

كذلك « ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر » .

وقرأ الحجازيون : النبىء والنبىئون .. من الأنباء والأخبار عن

الله تعالى .

ويتفق خبراء الاعلام على أن الاعلام انما هو « رسالة » بما ينطوى

عليه هذا التعبير من شعب مترابطة :

جهة البث والارسال .

وجهة التلقى والاستقبال .

وموضوع البث أو محتوى الرسالة .

وحامل الرسالة .

والاسلام - بطبيعته - وبمقياس هذا المفهوم المتفق عليه - رسالة

بالمعنى العلمى للتعبير .

فالله سبحانه هو المرسل : « انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » .

والناس هم جهة التلقى والارسال « وما ارسلناك الا كافة للناس

بشيرا ونذيرا » .

والحق هو مضمون الرسالة « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .
وحامل الرسالة هو رسول الله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » وينتظم في هذا المفهوم الاعلامى الاسلامى واجب أداء البلاغ المبين .
تبليغ الناس كافة دعوة الاسلام . . ومن شروط البلاغ أن يكون مبيناً . أن يقدم الاسلام في أجمل أسلوب . وأحسن وسيلة . وأدق وأوضح بيان .
فلا يجوز أن يصاغ المعنى العظيم في شكل دميم ولا أن تقدم الحقيقة في إطار يطفئ بهاءها والاعتبار العصرى أو الظرفى له وزنه الراجح في تحديد أساليب التبليغ .

كان موسى - عليه السلام - يؤدي أمانة البلاغ المبين وهو يلقي عصاه ويجابه فتنة السحرة .

« قالوا يا موسى أما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين . قال ألقوا . فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . وأوحينا إلى موسى أن ألق بعضاك فإذا هي تلقف ما يأفكون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين » .

أن سجود السحرة وإيمانهم بالله من نتائج البلاغ المبين الذى نجح فيه موسى . واختار موسى أن يكون هذا الصراع في حشد من الناس . أو في تجمع اعلامى عام : « قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشركم الناس ضحى » .

وسحر عصرنا هذا هو الاعلام بوسائله التقنية وفنونه المختلفة وسرعة بثه . وقوة تأثيره وبراعته في تزيين ما يريد تزيينه .

وبما أن خبر السماء قد انقطع عن الأرض بانتقال الرسول الى الرفيق الأعلى وترتب عن ذلك انقضاء زمن معجزات الدعوة . فليس أمام المسلمين غير اتقان فنون الاعلام . أداء لواجب البلاغ المبين . وإبطالا لصنع السحرة المعاصرين . والبلاغ المبين بمقوماته الثلاثة : التوصيل - والتعريف - والاقناع . يستغرق ثلاث قواعد أساسية في الاعلام المعاصر هي : الاتصال والتحكم . وبث المعلومات . والحجة المنطقية .

ويدخل في دائرة المضمون الكلى للاعلام الاسلامى : مبادئ البشارة والندارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق .

فالتبشير اعلام بالخير .
والانذار اعلام بالخطر .
والصدق بالحق . اعلام للناس بالحق الذى ينبغى ان يلتزموا به .
واعلام بالباطل الذى ينبغى ان يفارقوه .
حين نزلت الآية « وانذر عشيرتك الاقربين » صعد النبى صلى
الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى .
فلما اجتمعوا أعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما بعث به .
والشواهد التى تؤكد وتوضح المضمون الكلى للاعلام الاسلامى ..
جهة متعاضدة منها :

قل :

- قل يا ايها الكافرون .
- قل يا اهل الكتاب .
- قل هو الله احد .
- قل لعبادى الذين آمنوا .
- قل ان هدى الله هو الهدى .
- قل امر ربي بالقسط .
- قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا .
- قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا .
- قل انما الآيات عند الله .

(قل هذه) اداة اعلامية ذات ثلاثة عناصر متحدة : القول والقائل
والمخاطب . وصياغتها فى فعل امر الزام من الله للمسلم بأن يقول الحقيقة
ولا يكتمها . والتزام من المسلم بأن ينطق ولا يصمت . ويعلن ولا يسر .

ومنها :

ان الله امر ابراهيم — عليه السلام — ان يؤذن فى الناس بالحج .
والأذان — لغة — هو الاعلام .

وبراءة الله ورسوله من المشركين كانت أذاناً يوم الحج الأكبر .
وفى كل صلاة أذانان : اذان الاعلام بالوقت واذان اقامة الصلاة .
ومنها :

ان الراغب في الاسلام يبدأ الدخول فيه بموقف اعلامي مشهود :
اشهد الا اله الا الله ، وشهد ان محمدا رسول الله .

ومنها :

رفع الصوت بالتلبية في الحج فذلك اعلام فردى وجماعى تالاقامة
على طاعة الله والتزام امره وليس لله حاجة في أن يرفع المؤمنون أصواتهم
بالتلبية . فهو سميع عليم . يعلم الهمس ويعلم السر وأخفى .

لكن الاعلام بذلك ينبثق من طبيعة الاسلام الاعلامية . وجمعه المعجز
بين الاخلاص الخفى والمظهر العلنى .

والاهتمام بالحدث، والتعبير المناسب عن هذا الاهتمام، شرطان علميان
بنى عليهما الاعلام المعاص فرص نجاحه حين كانت المعركة دائرة بين الفرس
والروم ودارت الدائرة على الروم تابع المسلمون هذه المعركة واهتموا بأنبيائها.
واحداثها .

ثم تنزل القرآن الكريم ينبئ المسلمين بما وقع في ادنى الارض .
وببشرهم بنذ افضل :

« ألم . غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلون في
بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون .
بنصر الله » .

وحين يطرا على القمر او الشمس خسوف او كسوف يسارع
المسلمون لأداء الصلاة جماعية معلومة .

ذاك ارتباط يحدث بشرى مقرون بالتعبير الاعلامى المناسب عنه .
وهذا ارتباط يحدث كونى مقرون بالتعبير الاعلامى الملائم له .

فاذا علم هذا ينبغى عدم حصر معانى صلاة الكسوف والخسوف في
هذا الاطار وحده . فموضع الشاهد هنا امران :

الارتباط بالحدث .

التعبير الظاهرى الاعلامى .

بعد تقرير المضمون الكلى للنظرية الاسلامية في الاعلام تأتى مرحلة
الدخول في التفاصيل .

خصائص النظرية .. تفصيلا

أولا : الوسيلة :

ما يظنه الناس صعوبة في طريق تطبيق الاسلام انما هو المهاد عينه .
والتي سير ذاته . فالاعلام المعاصر مجموعة أجهزة ووسائل تختصر مساحات
المكان ومسافات الزمان . وتخطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت
مممكن .

في حجة الوداع حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعون
ألفا من المسلمين . وهو أكبر حشد إسلامي في ذلك العصر . ولقد بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحشود وصايا النبوة بواسطة رجال هم
أقرب اليه من غيرهم ينقلون كلامه الى من فصلت الحشود بينهم وبين
الرسول صلى الله عليه وسلم .

ليس التلفزيون وسيلة تعين على توصيل كلام الله وكلام النبي الى
ملايين الناس .

فبلد عدد سكانه مليون انسان . متوسط الدخل والثقافة يشاهد
التلفزيون ربع مليون مشاهد من سكانه .

والصورة والصوت . والحركة واللون الأبيض والأسود أو الألوان
المتعددة . جواذب تشد الناس الى الجلوس امام هذه الشاشة الصغيرة .
الشيخ سحنون سافر من المغرب قاصدا المدينة المنورة لتلقى العلم
عن الامام مالك . فطال سفره وأدركه الموت في الطريق .

المبايع كان يغنيه عن ذلك اذ ينقل علم مالك - بصوته - الى
المغرب . لكن المذيع لم يكن من وسائل ذلك العصر .

ينبغي ابتداء أن يحدد الموقف بوضوح وصدق من الوسيلة
الجديدة .

والمواقف ثلاثة :

هدم الوسيلة الجديدة وتحطيمها .

مقاطعتها والاعراض عنها .

أو تحويلها وتسخيرها لخدمة الحق والخير .

والموقف الثالث هو اللائق بأمة راشدة تملك معيار الاختيار والانتقاء ..

الاسلام لم يخترع السيف ولا الخيل ولا اللغة العربية . ولا الخطبة .
ولا النطق . ولكنه استخدم هذه الوسائل في سبيل أهدافه وغاياته . بعد
ان منحها المضمون الحق . والضابط الأخلاقى .

الوسيلة الاعلامية عن الركن الثانى من اركان الاسلام ترك اختيارها
لاجتهاد المسلمين . فاقترحوا بوقا . واقترحوا ناقوسا ولكنهم عدلوا عن
الوسيلتين ثم رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة النداء للصلاة فى النوم فأخبر
النبي فأقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوسيلة . التى رآها فى النوم
- كذلك - عمر بن الخطاب .

الجيل الاسلامى المعاصر والأجيال القادمة حظها عظيم فى الوسائل
ان هى اقبلت عليها اقبال من يتحرى التقرب الى الله بكل وسيلة متاحة .
وتكيفت معها تكيف من يأخذ من قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم » فقها يترجمه الى قاعدة ناطقة بشعار متجدد
دوما : كل مسلم مكلف بمخاطبة جيله بلسان عصره .

الجيل الذى نضج فى الستينات او السبعينات ليس مسؤولا عن
وسائل عصور نسخ الكتب باليد أو نقل البريد بالابل . انه مسئول عن
موقفه من وسائل عصره اتقن . أم أهمل .

السينما : وسيلة اعلامية ذات تأثير عميق فى حياة الناس وأفكارهم
ومشاعرهم وآرائهم المذهبية والسياسية .

ولم يكن ممكنا - مثلا - حجب السينما عن مصر ولكن كان من
الممكن أن تبدأ الحركة السينمائية بداية أفضل عن طريق الاحساس
المبكر - لدى الاسلاميين - بجدوى هذه الوسيلة .

خطب لينين فى مؤتمر شيوعى فقال « السينما هى مدخلنا الثقافى
والفننى الى الجماهير وعشرة سينمائيين مهرة يدعمون الحزب فى حقلهم
يرجعون بعملهم هذا تأثير مليون كتاب » وصناعة السينما فى الولايات
المتحدة الأمريكية تطورت حتى أصبحت سلطة نافذة وجسرا تعبر فوقه
الحياة الأمريكية الى العالم كله .

بعد أن ينهى هذا اللقاء أعماله سيقوم الكيان الصهيونى فى فلسطين
المحتلة - وفى القدس بالتحديد - مهرجانا باسم المهرجان اليهودى الدولى
للسينما والتلفزيون . يمول هذا المهرجان عدد من رجال الأعمال اليهود .

وسيعرض في المهرجان أكثر من ٣٠٠ فيلم عن اليهود تم انتاجها في الدول الغربية في عامي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م .

في المهرجان ندوة خاصة موضوعها : « صورة اليهود في وسائل الاعلام » ويعلم المطلعون على شئون السينما ان بلايين الدولارات اليهودية موظفة في صناعة السينما وان مدارسهم الفكرية والفنية تعنى بتخريج كتاب قصة ، ومخرجين وممثلين عالميين .

ولعل للمقارنة مكان هنا .

كان ذلك مثل اليهود في السينما . اما مثل بعض المسلمين في الهند فقد اختلف .

اشتغل قطاع من مسلمي الهند بالسينما . فما خدموا مبادئهم ولا دعموا وجودهم الثقافي والفكري في شبه القارة .

سبب ذلك ان هؤلاء لم يبرعوا في فن كتابة القصة . ولم يعزوا اتجاههم الفني بمؤسسات مالية للانتاج السينمائي . وقبل ذلك لم يحددوا لانفسهم قضية ولم يرقوا وعيهم السياسي .

وهذه المقارنة جزء من المقارنة العامة بين وزن الاقلية اليهودية في امريكا . ووزن الاقلية المسلمة في الهند .

وقبل الانتقال الى وسيلة اخرى : من اللازم ضبط الكلمات لكي لا توضع على غير مواضعها .

الحديث عن السينما وصفى لا حكمي ، وتصويري لا تقريرى . فليس من شأن هذه الدراسة الدخول في جدل متسائل : السينما اهي حرام ام حلال ؟ خير من ذلك كله واجدى : العمل الجاد على دفع الشباب الاسلامي الى النبوغ في هذا المجال . فالحكم ينصب على المستوى والمحتوى .

وحين توجد النخبة الاسلامية المتمازة في هذا الحقل . ينتهى الاشكال عفوا .

التلفزيون :

اقتحم التلفزيون الجدار والأسوار واتصل بالناس وهم في بيوتهم . تستطيع الأسرة ان تستمع الى محاضرة او تشاهد فيلما او تطلع على حدث عالمي او تتابع مناظرة فكرية . دون ان تنتقل من مكانها .

وهذا تيسير ثقافى لم يحدث فى التاريخ البشرى المكتوب وغير المكتوب .

وفى التيسير التلفزيونى توفير للوقت واختصار للمتعب . والغناء للامتيازات الثقافية التى كان الكهان والنبلاء يحتكرونها . وتعميم للمعرفة . التلفزيون ينقل نفرة الحجيج من عرفة أو ينقل لقطات من بدائع الله فى الكون من خلال رحلات الفضاء فيشارك المشاهدين فى نعمة الدين ونعمة الإعجاب بما خلق الله من شىء .

وينقل الجريمة والعنف والشخصيات المشوهة نفسيا وأخلاقيا فينقل التخلف ويصيب المجتمع بهذه البوائق .

أدراك هذا الواقع يوقد فى العزم رغبة تحويل التلفزيون الى أداة تساهم فى تمكين الدين فى الأرض وتحسين مستوى الانسان .

ومما يزيد هذه الرغبة توهجا العلم بأن أثر التلفزيون يتعمق ويمتد أكثر فى طائفتين من الناس .

الأميين .

والأطفال .

وأسباب التأثير مشتركة بين الطائفتين تقريبا وهى : الانبهار وفقدان الحصافة الثقافية . وعدم القدرة على الانتقاء والاختيار .

والأمة الاسلامية تنتمى كلها - بلا استثناء - الى العالم المختلف : فاذا أخذ الوطن العربى كمثال من العالم الاسلامى . تبين مدى أثر التلفزيون فى أمييه وأطفاله . تتراوح نسبة الأمية بين ٧٠ و ٧٥٪ فى معظم الأقطار العربية وترتفع هذه النسبة حتى تصل الى ٩٥٪ فى بعض البلاد العربية .

عام ١٩٨٠ سيكون عدد الأطفال الذين هم بين الخامسة والرابعة عشر سنة ٤٣ مليون طفلا .

فالمسارعة الى تحويل التلفزيون الى وسيلة خير وهىدى تحمى هذه الجموع من التأثير السيئ . بل تجعل التلفزيون جهاز تعليم ناجع يمحو الأمية ويعجل بانضاج الأطفال نفسيا وفكريا . ويحرر العقل العربى - الاسلامى من قيود الخرافات مثلا . وفى احدى البلدان العربية أثبت

استفتاء طبق على القادة الثقافيين - وفيهم رجال اعلام - أن ٦٨٪ منهم يعتقدون بوجوب زيارة الأضرحة وتقديم النذور لأصحابها مجموعة من التمثيليات التلفزيونية الناجحة تستطيع تحرير هذه العقول من هذه الخرافات اذ تضع الخرافى القبورى فى صورة شخصية تعيسة . مختلفة المعيار والتصور ينفر منها كل مشاهد ويدعو الله أن يعصمه من الوقوع فى مثل هذا الضلال .

الإذاعة :

فى العصور الماضية كانت درجات الصوت تتفاوت بين الخفيض والمتوسط والجهورى وهى درجات محكومة بقوة الصوت المحدودة . اما اليوم فقد تغير الحال .

تضاعف مدى الصوت بلايين المرات ، وامتد حتى اخترق القارات ونفذ الى سكانها . هذا التمديد العلمى لوظائف الحواس يقدم للدعاة وسائل جديدة تعينهم على اداء رسالتهم ، كان الطفاة والكهنة والخائفون من الحقيقة يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله الى الناس فجاء المدياع لينهى هذه الوصاية ويثب فوق الحجب والموانع .

الذين لم تبلغهم الدعوة فى العالم : يمكن أن تبلغهم من خلال الارسال الاذاعى القوى المبثوث بمختلف اللغات واللهجات . او - على الأقل - تبث فيهم فطرة البحث عن الحقيقة فتكون وظيفة الدعاة - من ثم - تثبيت الاقتناع والدخول فى تفاصيل العبادة والسلوك .

لا شك فى أن هذا العمل الايجابى يفيد الاسلام ويحفظ طاقة المسلمين من أن تضيع فى جدل : موجزة : ما مصير الذين لم تبلغهم الدعوة . أهم هالكون أم ناجون ؟ فى هذه اللحظة يموت خلق كثير من بنى آدم .

وفى كل يوم . وكل ساعة . وكل ثانية . يموت كثير من الناس - الا من رحم الله - على سوء الخاتمة وعلى الكفر والضلال .

ومن الرحمة بالبشر انقاذهم من هذا المصير . وسرعة الانقاذ توجب سرعة الوسيلة ، أى استخدام الإذاعة فى خطة الهداية .

المؤذن يثاب بمدى صوته . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شىء . الا شهد له يوم القيامة » .

كذلك الداعية يثاب بمدى صوته . وبعد بلاغه ودعوته .

وكالة الأنباء :

من الملاحظات غير السارة ان أمة النبأ العظيم والأنباء ليس لديها وكالة أنباء عالمية في مستوى رويتر الانجليزية والوكالة المتحدة الأمريكية . وتاس السوفيتية ووكالة الأنباء برس الفرنسية .

وهى ملاحظة شبيهة بملاحظة انتشار الأمية في أمة كانت « اقرا » أول كلمة في أول سطر من قرآنها الكريم .

فأنباء العالم الاسلامى وأحداثه وقضاياها يطلع عليها العالم . بل المسلمون أنفسهم في البرقيات والتقارير الاخبارية التى تذيعها الوكالات الأجنبية .

وأصبحت وظيفة الصحافة والاذاعة والتلفزيون - خبرا وتعليقا - في العالم الاسلامى محصورة في اعادة نشر تقارير الوكالات الأجنبية باللغة العربية او باللغات الأخرى المحلية . نتيجة لهذا الغياب الاخبارى : طمست قضايا المسلمين في الفلبين وعفر وتلايلاند وجزر القمر والبانيا . وغير ذلك . كما شوهدت صورة العربى النفطى . وحقيقة الصراع بين هذه الأمة ويهود . وهو غياب يعبر عن ضعف الاحساس العام بمكانة الاعلام وتأثيره . فلم يعبأ المسلمون بالبحث عن الخبر ولا بفن صياغته وتقديمه وفن توقيت اذاعته .

الصحافة :

ما تزال الصحافة تحتفظ بمركزها بين وسائل الاعلام لكن بعد أن طورت نفسها وببدلت وسائلها . في الطباعة والتحرير والاخراج والتوزيع . وانتفعت بالأقمار الصناعية في نقل الكلمات والصور .

لقد بلغ عدد النسخ الصحفية المطبوعة في العالم ٤٠٠ مليون نسخة يوميا . وهذا العدد يوزع على ثلثى سكان هذا الكوكب تقريبا فهناك مليار ونصف مليار انسان لا تصل الصحف اليهم بسبب الأمية وتدنى الدخل وتخلف المواصلات .

غزا الناس - من غير المسلمين - هذا المجال - كذلك - وتمكنوا فيه . لدى اليهود ٢٤٤ صحيفة في الولايات المتحدة وحدها منها ١٥٨ دورية . ولديهم ٣٠ ثلاثون دورية في كندا . ولهم ١١٨ صحيفة في أمريكا

اللاتينية . وفى أوربا ٣٤٨ دورية . ولهم فى العالم كله صحف ومجلات ودوريات يبلغ عددها ٧٦٠ صحيفة ومجلة دورية . فى الولايات المتحدة وكندا تصدر ١٨٦١ صحيفة يومية .

ونص دستور الاتحاد السوفيتى على انشاء شبكة صحفية هدفها تدعيم النظام الشيوعى وخطت منظمة الصحافة العالمية التى تضم ١٣٠ بلدا لاقامة مركز علمى للأبحاث الصحفية يشرف على هذا المركز ويديره أكثر من ألف عالم وفنى . فكم نسبة المسلمين بين هؤلاء العلماء والفنيين ؟ فى الظروف الطبيعية ينبغى أن يكون الخمس هو نصيب المسلمين فى تأسيس هذا المشروع وإدارته - اذ بين كل خمسة من سكان الأرض نجد مسلما - بينما الواقع لا يعطى المسلمين أكثر من ١٪ كتعبير عن التخلف الصحفى فى العالم الإسلامى .

الكتاب :

حفظ ابن تيمية مسند الامام أحمد كله .
ويسر باحث غير مسلم هو - الدكتور أ . ي . ونشك بالاشتراك مع لفيف من المستشرقين - الاطلاع على السنة . وسهل على الباحثين والمحدثين وطلبة العلم الحصول على ما يبتغون من العلم النبوى . اذ رتب احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - فى سبعة مجلدات - ترتيبا مكتبيا علميا يستخرج الحديث من أوله أو وسطه أو آخره . فقول الرسول لأبى بكر وعمر « لو اجتمعتم على رأى ما خالفكما » تجده فى : لو وجمع وعلى ورأى وما وخلف . . تجده فى أصل الكلمة وفى التصريف والاشتقاق . . ومع الحديث ذكر مصدره .

والمقصود من هذين المثلين ابراز الفرق الكبير بين عصر ابن تيمية الذى يلزم العالم بجعل ذاكراته كمبيوتر أو مكتبة فوق العنق والكتفين وبين عصرنا الذى يسر العلم وأدنى قطوفه بوسائل الطباعة الحديثة وبفنون التنسيق والترتيب والتنظيم . وهى وسائل لم ينتفع بها المسلمون - كما ينبغى - فى نشر دينهم وعرض أفكارهم وثقافتهم .

منذ أن ابرق عمر بن عبد العزيز الى الآفاق - فى مطلع العمام الهجرى الثانى - وقال للعلماء وأهل الرواية : « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوه » وحتى الآن لم يبدل مجهود علمي

يمائل أو يقارب مجهود هذا الباحث الهولندي . ولئن وجدت معاذير شتى للأقدمين . فان المحدثين لا عذر لهم ، ولو القوا معاذيرهم . فهؤلاء وجدوا في عصر زاخر بإمكانات الترتيب الفني .

الكتاب الاسلامى يحتاج الى مراجعة فى شأنه كله القديم الموثق يحتاج الى ترتيب واخراج جديدين ، والقديم غير الموثق يحتاج الى توثيق وضبط وتنظيم جديد أيضا .

وما برح احترام الدين والعقل يلح على ذوى الفكر الاسلامى الخالص . بأن يتحملوا مسئولية نفضة ثقافية شاملة فى تراث المسلمين الثقافى . لأنه من الاهانة للكتاب أن يجعل ناقل خرافات .

يواجه الكتاب الاسلامى الحديث عددا من العوائق المتداخلة : بعضها ذاتى وبعضها خارجى .

فمن العوائق الذاتية : الأفكار المتطابقة فى المؤلفات الحديثة ، ولا يعيب الناس أن تكون بينهم وحدة فكرية . انما الخطأ فى انعدام التنوع والابداع . وهو خطأ إشاع روح التقليد والمحاكاة . فمعظم المؤلفات الحديثة يبدأ بالضوابط والقيود والكوابح . فى أمة قهرتها القيود والضغط .

البدايات الصحيحة فى عالم هذا واقعه : الدعوة الى التحرر والانطلاق فى اطار التصور والمعيار الاسلاميين . وهذه قضية منهجية يصعب على الفكر الاسلامى أن يتقدم قبل أن يعالجها .

ومن العوائق الخارجية : أن الكتاب الاسلامى يعيش اليوم فى عصر التلفزيون والاذاعة والصحافة . وهذه اجهزة تنافس الكتاب منافسة قوية حادة . ولا يستطيع الكاتب الاسلامى أن يعيش بين هذه الاجهزة الا اذا كان عميقا قويا متجددا . يقدم للناس - للصفوة على الأقل - مالا تجده فى تلك الأجهزة .

ومن العدل تقرير ما قدمه الكتاب الاسلامى الحديث من فكر أصيل فأبطل شبهة . ورسخ حقيقة . وما المأخذ التى ذكرت الا تحديد لنقص قوم قادرين على التمام .

وسائل أخرى :

لقد أرجىء الحديث عن خطبة الجمعة - كوسيلة اعلامية - لسببين

الأول : ان العمل بهذه الوسيلة يتحقق كل أسبوع . والسبب الثانى ان خطبة الجمعة سترد فى فقرة تالية من هذا البحث .

وهناك المسرح . والمعرض . والبريد . والدوريات . والكاسيت . وكلها مما يجب الانتفاع به . لم تذكر مفردة . لأن اتقان العمل بالوسائل الآتفة يحتويها ويستغرقها .

ولا يكون استخدام هذه الوسائل سليما الا بشرطين :

الكفاءة التقنية .

القضية المختارة بعناية .

فى الكفاءة لابد من التخصص الفنى بمعناه العلمى والجمالى . لقد تطورت الطباعة وأصبح الحرف ينضد الكترونيا . وأوشك الخبراء أن يفرغوا من تصميم عقل صناعى اسمه « الجامعة العالمية » . يخزن هذا العقل فى ذاكرته جميع المعلومات الانسانية منذ بدء الخليقة الى اليوم وغدا . ويوضع هذا العقل فى صاروخ يدور حول الكرة الأرضية دورات غير منقطعة . ويستطيع أى انسان أن يتصل به من الأرض بواسطة قلم الكترونى يعمل بأشعة ليزر .

وتقدم فن التصوير السريع والبطيء ففتح آفاقا جديدة فى هذا المجال . بهرت الناس وسحرت أعينهم فى السينما والتلفزيون والصحافة الملونة .

يضاف الى ذلك . كتابة النص بأسلوب فنى . والمهارة فى السنايرو والمونتاج والاخراج والتمثيل .

والتلازم فى القصد والعمل يقضى بالتعاون المنظم بين المال والفكر والكفاءة الفنية وفن القضية . تدور المحاولات الاسلامية فى الانتاج الفنى - السينمائى أو المسرحى - حول التراث . ولا ضير فى تجديد التاريخ . لكن الاسراف فى هذا الجانب يقطع صلة المسلمين بعصرهم وقضاياهم الحاضرة . قضايا التخلف العلمى ، والعقم الإدارى ، والمعايير المضطربة فى الرفض والقبول وتقدير الرجال وتأخيرهم ، وعلاقات الانتاج ، والتطفيف فى المكيال والميزان ، والصراع بين الإسلام ويهود ، والأسرة وما تتعرض

له من نزاع ضار منه ما يجرها الى التقاليد المتهرئة بدون عقل أو منطق
ومنه ما يقدفها في الواقع الضال بلا عقل أو منطق .
لقد تغير الحال . وتغيرت المشكلات وأدوات الصراع .

كانت الحضارات — في الماضي — تنتقل من بلد الى بلد مع المشاة
وفرسان الخيول . أما اليوم فانها قد اتخذت من التلفزيون والاذاعة
والصحافة والسينما ووكالات الأنباء وسائل للانتقال والاقتحام . والتمكن .

ثانيا المدخل :

وهو شعبتان :

١ — الشعبة الأولى : الجاذبية والجمال :

جذب الانتباه واثارته وتحريك الاحساس الجمالى . مداخل الى
نفوس الناس ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم .
كيف تثير الانتباه ؟

هذا السؤال موضع اتفاق بين علماء الاعلام . والعلاقات الانسانية
والاعلان . من أجل ذلك نبغ في فن الشعار السياسى والتجارى والاعلانى
أناس كثيرون اذ أن الشعار الجيد مثير للانتباه .

والمصقات . واللافتات . والضوء . هذه أيضا وضعت في خدمة
هذا المدخل والبدايات الملفتة . فى الكتاب . والتحقيق الصحفى . والفيلم
استحضار للوعى . وجذب للانتباه .

أحد وجوه الإعجاز القرآنى . جذب الانتباه الانسانى . وتحريك
وعيه بالبدايات الملفتة . كثير من سور القرآن كانت بداياته توقظ في
العربى — بقوة وعمق — احساسه اللغوى ووعيه العقلى .

« ألم . ذلك الكتاب . لا ريب فيه » .

« ن . والقلم وما يسطرون » .

« ص . والقرآن ذى الذكر » .

« الر . تلك آيات الكتاب المبين » .

« الهاكم التكاثر » .

« والذاريات ذروا » .

« ق . والقرآن المجيد » .

« حم . تنزيل من الرحمن الرحيم » .
« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا » .
« طس . تلك آيات القرآن وكتاب مبين » .
« الحاقة ما الحاقة . وما أدريك ما الحاقة » .
« لا أقسم بيوم القيامة » .

الحروف عربية مما يألفه الناس ويحركون السنتهم به . لكن
الاعجاز في التركيب وفي البداية المحركة للانتباه الموقظة للحس اللغوي
والعقل الملفتة لهذا الكتاب المبين .
هذا معنى واحد من معاني البدايات القرآنية التي هي وجه واحد
من وجوه اعجازه التي لا تنقضي .

يعرف الفرنسيون الاعلام بأنه : « اعطاء الشكل » أو « الوضع
في الشكل » ان الاحساس بالجمال فطرة في الانسان ، وتحريك هذا
الاحساس مدخل الى عمقه النفسي والفطري ، ويتم التحريك بطرق
متعددة : منها تقديم الحقائق والمعاني والقيم في وعاء جميل وشكل جذاب
وكساء انيق ، يبت الاعلام المعاصر من الباطل اكثر مما يبت من الحق ،
وهو يخدع الناس بهذا الباطل ، اذ يرينه لهم بالصورة واللون والحركة
والاخراج والمكياج والبسمة والتظرف .

الشیطان ذاته يفعل نفس الشيء فهو يزين لأوليائه أعمالهم
ويجملها .

« واذا زين لهم الشيطان أعمالهم » .
« فزين لهم الشيطان أعمالهم » .
« قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين » .
حكاية عن ممثلة تخرج في برنامج تلفزيوني ملون ، يحف بها ديكور
انيق ، ويقدمها مديع لبق ، بينما يعرض الايمان في كتاب ذي ورق
ردىء ، وتنفيذ مضطرب ، وفهارس متعبة ، وتغليف قبيح ، وعنوان باهت ،
أو يعرض الايمان في خطبة تفتقر الى قوة المعنى وجمال الاداء .
وليس هكذا منهج القرآن .

فالنص القرآني فصل في جمال لغوى معجز . وتائق هذا الجمال
في الآيات التي تحدثت عن الكون مثلا .

« ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » .

ويعرض القرآن الكريم « الاخراج » الرباني للكون في صورة
بديعة : « وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء
فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان
دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة . انظروا
الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » .

كما يعرض الاخراج الرباني للبشر خلقة وخلقاً :

« والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم
السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله » .

والحسن والسرور به . مداخل قرآنية الى نفوس الناس :

« والأرض مددناها وألقينا فيها من كل زوج بهيج » .

« وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » .

والبهجة الحسن . والابتهاج : السرور .

٢ - الشعبة الثانية من المدخل : الهم والمشكلة :

مشاركة الناس همومهم والتعاطف مع مشكلاتهم : مداخل الى
نفوسهم وأبواب لشخصياتهم . ويستطيع كل انسان أن يجرب ذلك
ويلمس آثاره بيده حين يحدث انسانا آخر - ويترك انطبعا في نفسه -
في ما يهمه من أمر أسرته وفي المشكلات التي تضايقه في وظيفته أو في
مستقبله الاقتصادي . أو في أمور الزواج والحب ان كان شابا .

غرائز الانسان وحاجاته ينبغي أن تكون مدخلا اعلاميا اسلاميا
الى أعماق الانسان . لقد اتقن الاعلام المعاصر هذا العمل : حيث خاطب
الانسان واتصل به من خلال غرائز التملك والطموح والمحافظة على الصحة .
وغرائز الأبوة والأمومة . وتوكيد الذات . والخوف . وحواس النظر

واللمس والشم والدوق والسمع . وربط الاعلام خطاب هذه الفرائز
والحواس بما يريد ان يقوله للناس . اقتصاديا واجتماعيا وفلسفيا
وسياسيا . فكان التأثير ، وكان التفاعل ، وكانت الاستجابة .

الاعلام الروسى والصينى يشترق من المجاعات . والتفاوت الطبقي .
والبؤس العام مادة يدندنون حولها .

والاعلام الأمريكى جعل فكرة « الرخص نحو السعادة المادية »
بمفهومها المالى والجنسى والترفيهى مساهمة لنشاطه .

والاعلام التجارى استمد فلسفته من رغبة الناس فى الاستهلاك
وتلبية حاجات غرائزهم ، ولا ينجح الاعلام الاسلامى الا اذا جعل هذه
الفرائز والحاجات والهموم أحد مداخله الى الناس . فالتجريد الفكرى
— والفكر طاقة الاعلام — ليس من منهج الاسلام ولا أساليبه فى الدعوة
وكسب الناس .

وليقن للاعلام الاسلامى ما وقع لطائفة المعطلة فى التاريخ المذهبى
لهذه الأمة . فان هؤلاء القوم زاغوا فكريا فعطلوا صفات الله سبحانه .
ومع حسابان الفارق بين المستويين فان معطلة اليوم يجردون قيم
الاسلام ويسكتون نبضها ، وذلك بعزلها عن هموم البشر وبلائهم ومشكلاتهم
وهو اتجاه يباعد بين الدعوة والناس .

كانت الهموم والمشكلات أحد مداخل آيات القرآن المكى الى نفوس
الناس وحياتهم الشخصية والاجتماعية .

وصل القرآن حركة السوق والمظالم التى تكتنفها بقضية الايمان
بالبعث « ويل للمطففين . الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون . واذا
كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم .
يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

ووصل مشكلة دع اليتيم . وعدم الحض على طعام المسكين
بالتكذيب بيوم الدين « أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين » .

وانه لاقتحام العقبة الكبرى : ان تحرر الرقاب ويطعم السائغون
واليتامى والمساكين « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة .

أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة » . وهى هموم ومشكلات كانت تعنت العرب . وتشقى وفى وحدة موضوعية اتسق الحديث عن عبادة الله مع الحديث عن الأسفار التجارية والجوع والخوف « لا يلاف قريش . ايلافهم . رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

آيات القرآن المدنى فصلت التشريع فى مشكلات الربا والخمر والسرقة والطلاق . وغير ذلك .

الهم الفردى كان سببا فى نزول آيات بينات :

فى مكة : « عبس وتولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » .

فى المدينة : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله . والله يسمع تحاوركما » .

ومنهج ربط قضايا الناس بالتوحيد والدعوة وتقوى الله . وبالدار الآخرة انما هو منهج الأنبياء جميعا .

مثلا : فى سورة الشعراء :

هود وصالح ولوط وشعيب — عليهم السلام — دعوا الى توحيد الله من خلال المشكلات الاجتماعية التى تموج بها مجتمعاتهم . وهى مشكلات صناعية وزراعية وخرقية وتجارية . الاعلام النازى استغل العقد النفسى فى ترويج أفكاره . والاعلام اليهودى استغل هذه العقد كذلك فى كسب الراى العام العالمى للفكرة الصهيونية .

فلماذا لا يستغل الاعلام الإسلامى الدوافع الفطرية الطبيعية لدى الإنسان فى ضم أكبر عدد ممكن من البشر الى صف الإسلام .

ثالثا : الاتصال :

إذا صحت الوسيلة . وصح المدخل . صح الاتصال الإعلامى .
فما هو الاتصال ؟

هو جهد انسانى هدفه انشاء صلة بالناس أو تحسين صلة أو تغيير صلة . على أساس عقائدى أو مهنى أو مصلحى .

والاتصال نمطان : فردى وجماعى . ولقد امتدت خيوطه فى تسبيح التاريخ الانسانى كله . ثم جاءت المواصلات الحديثة واجهزة الاعلام الجديدة فنشطته ووسعت مداه . فالؤتمرات الدولية العلمية السياسية والثقافية . والتلفزيون والاذاعة والطائرة والاقمار الصناعية والتليفون والصحافة . جسور جديدة للاتصال بالناس .

ويعد خبراء الاعلام حسن الاتصال من اقوى وانجح الخطط الاعلامية . من خصائص النظرية الاسلامية الاعلامية : فن الاتصال بالناس .

الانبياء والرسل - عليهم السلام - كانوا يحرصون على الاتصال ببني آدم . وكان الطفلة يخشون هذا الاتصال ، ويعملون على تقطيع خطوطه : بالتضييق على الانبياء مرة ، وبعزل الناس عن الرسل مرة اخرى .

كل رسول مكلف بأن يوصل كلمات الله الى البشر : « ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » .

الانسان هو موضوع الدين . والاتصال به يعبر عن الوظيفة الجوهرية للدين . وبعد أن يتلقى رسل الله الوحي يتوجهون كفاحا الى الاتصال بالناس ابتغاء هدايتهم .

مشاركوا مكة وكفارها اقترحوا على ابي طالب ان يمنع ابن اخيه - محمدا رسول الله - من الاتصال بمن يخافون عليهم الفتنة من الدعوة الجديدة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك مكانا يتجمع او يمر به الناس الا ذهب اليه ووصل للقوم رسالة الاسلام .

فى دائرة المسلمين تكاثرت اواصر الاتصال وتوطدت . فى الصلاة والحج . . حتى العطسة يعطسها المسلم فتكون مناسبة للاتصال المتمثل فى الحمد والتشميت . فى المجال الانسانى العام يقرر القرآن ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل من أجل التعارف . الأمم المتحدة بمنبرها العام وبمنظمتها الفرعية الثقافية والصحية والغذائية والقضائية والزراعية . والحوار العربى - الاوروبى . ومنظمة الوحدة الافريقية . وتبادل البرامج والخبرات العلمية فى الجماعات ومراكز البحوث . واللقاء العابر فى الطائرة والمهرجانات الرياضية . هذه فرص قد هيئت للتعارف والاتصال انهادف .

رابعاً : الظهور الاعلامى ؛

الظهور . أحد الاركان الثلاثة للدعاية :

تعريفه : أن يتفوق شعار تجارى أو سياسى على شعار آخر منافس له فى عالم الأفكار والعقائد ، يسعى كل صاحب مذهب وفكر على ظهور مذهبه أو فكره . ويقوم ظهور الاعلام الاسلامى على حقيقة كلية أساسية نزل بها قرآن محكم .

« هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . . والنص ذاته جاء فى سور ثلاث هى : التوبة والفتح والصف . والظهور على الدين كله يتضمن الظهور على الفكر كله . والثقافة كلها . والاعلام كله .

ما هو هدف الدولة الاسلامية ؟

ما هو هدف الجهاد الاسلامى ؟

ما هو هدف الانتصار العسكرى ؟

اما جواب القرآن فهو : « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الدين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا » . . وأما جواب الرسول فهو : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . فغاية نشاط المسلمين : اعلاء كلمة الله . ولو أن مسلمين انتصروا فى كفاح عسكرى أو مالى أو سياسى ثم عجزوا أو استخفوا بقضية الظهور الاعلامى لدينهم . فانهم بعملهم الناقص هذا يهزمون غايتهم الكبرى .

قضى الله أن يكون القرآن مهيمنا على ما سبقه من كتب سماوية . ينبثق من هذه الحقيقة : معنى هيمنة الثقافة الاسلامية على ثقافات أهل الكتب السماوية . وعلى ثقافات الوضعيين . واجهزة الاعلام الحديثة هى منابر الظهور والهيمنة والتفوق .

ولقد ضاق الجاهليون بالظهور الاعلامى للاسلام، فلجأوا الى التشويش الاذاعى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

خامساً : اذاعة الحقيقة في ابانها :

الحالة النفسية المهيأة . وظروف الزمان والمكان المواتية مناح
اعلامى لبث الآراء والمعلومات والأفكار . وترويج السلع .

رجل الاعلام الناجح هو الذى يدرس اللحظة وينظمها فى سياق
التأثير والاقناع ، لا تتقدم ولا تتأخر ، بل تحرى الوقت الملائم لاذاعة
الحقيقة . كما يفعل المؤذن وهو يتحرى وقت الصلاة . فاذا حان رفع
صوته بالأذان .

الأوقات التى تعقب الغداء أو العشاء . لا تلائم الاعلان من الأطعمة
لأن الشهية تكون فاترة أو مغلقة .

التلفزيون يجرى استفتاءات لمعرفة انسب الأوقات . لبث البرامج
ومراعاة الظروف الزمنية للمشاهدين . ومن المعروف أن أسعار الاعلانات
فى التلفزيون تختلف باختلاف الأوقات .

فى السياسة يوصف الشاعر بأنه « علم اللحظة الراهنة » .
القرآن الكريم تنزيل منجماً على الحوادث – والنجم الوقت
المضروب كما فى مختار الصحاح – وهناك فرع ذو بال من علومه لا يستطيع
المفسر أن يتجاهله أو يتجاوزها وهو « أسباب النزول » .

اذاعة الحقيقة فى ابانها فى الاعلام الاسلامى تستمد من اسباب
النزول معناها وعمقها : ففى الوقت المناسب كان القرآن يتنزل فيتصل
الآى بالحدث الذى تشكل اللحظة الراهنة وعاءه الزمنى – فيقرر الحقائق
ويعالج المشكلات ويجيب على الأسئلة .

سورة « عبس وتولى » لم تتقدم حادث ابن ام مكتوم ، ولم تتأخر
عنه ، وانها نزلت فى الوقت المناسب .

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع . . . الى آخر السورة » حقيقة اذيعت فى وقتها
حين أثر رجال التجارة واللهو على خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى ظهر جمعة .

« قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » .
حقيقة اذيعت فى ابانها : لحظة أن نقول أهل مكة على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له .

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » . . حقيقة أذيعت في إبانها . حين تمارى صحابيان – بين يدي رسول الله – في شأن تامير القعقاع بن معبد والأقرع بن حابس .

« قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . . » حقيقة أذيعت في إبانها حين أتت خولة بنت ثعلبة تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات .

« لا اكراه في الدين » حقيقة أذيعت في إبانها حين هم نفر من الأنصار باكره ابنائهم على الدخول في الاسلام ، وكان هؤلاء الأبناء قد هودتهم أمهاتهم ليعيشوا . . وتلك خرافة جاهلية .

« وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » حقيقة أذيعت في وقتها حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا .
والحقيقة المنزلة فعلا يمكن أن تداع في سياق زمنى مناسب .
كما فعل أبو بكر رضى الله عنه يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .
وعندما صعق عمر رضى الله عنه لحظة سماع النبأ . لقد تلا أبو بكر :
« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ؟ . . تلاها وكان الحادث سبب ثان من أسباب النزول .
أهل الباطل يجتهدون في تحرى الوقت المناسب كذلك .

في ٣ مارس عام ١٩٢٤ ألفى كمال اتاتورك نظام الخلافة وطوى رايات الاسلام .

أول أبريل ١٩٢٥ أصدر على عبد الرازق كتابه المعروف « الاسلام وأصول الحكم » وهو تأصيل فكرى لاجراءات الردة في تركيا .

انتهر كاتب شيوعى وقتنا اتسم بحلول سياسية معينة فأصدر كتابه « بعد أن تسكت المدافع » والكتاب دعوة صريحة الى التعاون الحضارى بين الوطن العربى والكيان الصهيونى .

منذ أن قام هذا الكيان الاحتلالى . والشيوخيون يؤيدونه سرا . فلما رأوا وقتا مناسباً جهرُوا بآرائهم .

سادسا : أبعد من الواقع الفرصة المفتوحة :

أفاد الاعلام المعاصر من الدراسات المستقبلية عن الاقتصاد والسكان والصحة ونوع التعليم ومواطن الغد . وأقام صلة بين حاضر الناس ومستقبلهم .

فمن مهام الاعلام فتح آفاق جديدة أمام عقل الانسان ونفسه وطموحه .

ومن خصائص الاعلام الاسلامى مخاطبة السلوك الانسانى على أساس « الفرصة المفتوحة » التيسيس والقرارات المطلقة والأحكام النهائية . والطرق المسدودة . اتجاهات لا يقرها الاعلام الاسلامى . لأنها تحجر ما وسعه الله ، وتحبس الناس فى سجن الواقع ، وتخيب آمالهم .

من الحق أن تقرر الأحكام وترسى القواعد . لكن لكل قاعدة استثناء . أى فرصة مفتوحة والقرآن مفعم بالاستثناءات .

« الا الذين تابوا » .

« الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

« الا عابرى سبيل » .

« الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق » .

« الا أن تتقوا منهم تقاة » .

« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

والفرصة المفتوحة — على المستوى الفردى — أمل فى مستقبل نفسى وخلقى وسلوكى أفضل والتوبة فى الاسلام أعظم أمل يطمح اليه انسان . فمهما كان الواقع سيئا وخائفا فان التوبة نشأة جديدة وحياة غضة .

فما انحرف منحرف الا بعد فقدان الأمل ، واحساسه بأنه يحاصر من كل جانب ، وانه يغريق فلا يضره البلل — أو هكذا تبدو معظم الانحرافات . أما التوبة فهى أمل مبشر واحساس قوى بقدوم الضوء .

والفرصة المفتوحة — على المستوى الجماعى — أمل فى كسب العالم . وهنا تتبدد النظرية الخاطئة التى . . يعتنقها كثير من المسلمين وهى :

العالم كله ضدنا أمس واليوم وغدا . وهذه النظرية سبب الانسحاب الاعلامى الاسلامى من الكرة الأرضية .

« ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » هذا احتمال قائم بالنسبة للكافرين . وهناك احتمالات أقوى بالنسبة لمئات الملايين من الناس الذين يريدون الهدى ولا يعرفون طريقه .

والفرصة المفتوحة - على المستوى الجماعى - أمل فى تغيير الواقع وتبديله وتحسينه . وينبغى أن يهتدى الاعلام الاسلامى بالقرآن الكريم . فهذا الكتاب بشر المسلمين فى مكة بمستقبل ينتصر فيه الاسلام . والأمل فى المستقبل من أقوى الدوافع الى الكفاح والحركة فى الحاضر .

سابعها : الاستخدام الأرقى للوسائل المتقدمة :

الأردا بضاعة كانوا هم الأسرع الى التكيف مع وسائل الاعلام الحديثة . فمنهم من كتب القصة ومنهم من تعلم الاخراج والتمثيل والتقديم التلفزيونى والتحقيق الصحفى وصناعة الكتاب .

وانحصر الخيار فى المفاضلة بين الأردا والاقل رداءة .

الأجهزة الاعلامية القوية المؤثرة سخرت لخدمة الاكاذيب السياسية والجناسوسية والجنس . وافساد الذوق العام . ونشر اللغو .

لقد امر الله المؤمنين بالقول السديد : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » .

والقول السديد نتيجة للتفكير السديد . لأن القول تعبير عن التفكير . والانسان يحاسب على مدى النطق العادى « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » والحساب يشتد ويتضاعف اذا مدت الحواس الطبيعية بوسائل اعلامية تغطى القارات .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم « رأيت الليلة رجلين أتياى قالا لى : الذى رأيت يشق شذقه فكذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا الى يوم القيامة » .

وليس الكذب وحده هو الذى يعيب الكلام أو المادة الاعلامية فقد يكون الكلام غير كاذب ولكنه قليل الجدوى والنفع .

وهنا يأتي دور النخبة الاسلامية ذات العطاء الفكرى الراقى .
يتعين على هذه النخبة أن تتقدم وتأخذ مكانها الطليعى فى قيادة
الرأى العام . كما يتعين عليها أن تزاخم طبقات الفنانين والصحافيين ومعدى
البرامج ومصممى الشعارات الذين يزعمون أنهم قادة الرأى العام .

تزاخم هؤلاء حتى يخلص لها لواء القيادة الاعلامية .
ما لم تقم النخبة بهذا الدور فى الاستخدام الأرقى لوسائل الاعلام
الحديثة فان أثرها سيضعف . وصوتها سينخفض .

السلطة بعد اليوم قد لا تطرد المفكرين ولا تمنعهم من التفكير والتعبير
ولكنها ترضى بمنافستهم فى حوار غير متكافئ بين الكتاب والمحاضرة من
جهة . والتلفزيون والاذاعة وسائر وسائل الاعلام من جهة اخرى .
ويتعين على النخبة الاسلامية أن تنظر من جديد فى شأن خطبة
الجمعة .

تؤدى صلاة الجمعة فى أكثر من ١٠٠ الف مسجد فى العالم
الاسلامى . بيد أن ثمار هذه الخطبة ونتائجها لا تعدل ذلك العدد الضخم
من المساجد والمصلين . وهو واقع يستنفر النخبة الاسلامية المفكرة ويدعوها
الى الاضطلاع بمسئولية خطبة الجمعة .

ثامنا : العلاقات الانسانية :

أدمغت العلاقات الانسانية وانساب معناها فيما تقدم من خصائص .
ولما كانت هذه العلاقات علما له شروطه وقواعده افردت له هذه السطور .
كيف تعامل الناس ؟

كيف تبتسم فى وجوه الآخرين ؟

كيف تقدم التحية وتستقبلها ؟

كيف ترحب بالضيوف ؟

كيف تتكلم وكيف تنتبه لمحدثك ؟

كيف تدير المناقشة بلباقة ؟

كيف تفصل بين النقد الموضوعى والتحامل الشخصى فى مواقفك

تجاه الناس ؟

كيف تعاتب وكيف تغضى ؟

هذه أسئلة انتشر الجواب عليها في الأدب الاسلامى . ولم تلم هذه النشرات في خيط واحد ينتفع به الدعاة والاعلام الاسلامى .

في وزارات الخارجية . وشركات الطيران . والجامعات . والمؤسسات الصحفية . والفنادق والكنائس . والمعارض الموسمية والدائمة . بل في كل مؤسسة حديثة أنشئت أقسام وظيفتها العلاقات الانسانية .

من شروط توظيف البائع في مؤسسة تجارية للملابس أو موظف بيع التذاكر في شركة طيران أن يكون اجتماعيا لبقا في تكوين الأصدقاء وأن يكون متعاوننا وذا قدرة على التحمل وأن يكون بشوشا وذا مظهر حسن . أو ليس هذا من أساليب الدعوة الاسلامية ؟

الإدارة الحديثة قسمان :

قسم التعامل مع الأشياء : الورق والكمبيوتر . والمكتب . وقسم التعامل مع الناس وهو ما يسمى بالعلاقات العامة أو العلاقات الانسانية . ونجاح المؤسسة رهين بنجاح القسم الأخير . في فن التعامل مع الموظفين داخل المؤسسة . وإقامة علاقات انسانية دافئة مع من يريد القسم جذبهم من خارج المؤسسة .

ولقد نجحت الفنادق وشركات الطيران في وضع قواعد رقيقة للتعامل مع الناس وهى قواعد تعتبر من أساليب الدعوة الاسلامية بعد اسقاط عنصرين منها :

الجفاف التجارى .

والتكلف .

وباسقاط هذين العيبين تكون الجاذبية أقوى نظرا لصدقها ودفئها . ما منعنا أن نشبع هذه الخصائص بالبحث والترشيح وما منعنا أن نضيف اليها الخصائص الباقية الا الخشية من الطول .

ولعل الله يأذن باخراج النظرية كاملة في كتاب . وله الحمد من قبل ومن بعد .

صيغة التطبيق

لا يتم تمام النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية حتى تصاغ في خطة تطبيقية تجعل خصائصها وحقائقها عملا منظما في الاعداد

البشرى الاعلامى وفي المادة الاعلامية . وفي احسان التعامل مع الوسيلة الاعلامية الجديدة .

ان اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى . ايمانا بجدوى الاعلام وعمق اثره . واقتناعا بأن للاسلام نظريته الاعلامية المتميزة . والتزاما بالمنهج الاسلامى فى الجمع بين النظرية والتطبيق . . يوصى بـ :
١ - انشاء كليات اعلامية مستقلة فى جامعات العالم الاسلامى تؤسس على قواعد اسلامية فى الاعلام والعلاقات الانسانية . وان تدرس العلاقات الانسانية فى كليات الطب والزراعة والادارة . . الخ حيث ان هذه الخدمات قد اصبحت مداخل انسانية تنفذ منها الدعوة الى نفوس الناس .

٢ - انشاء اقسام للاعلام الاسلامى فى جميع كليات الجامعات الآسلامية . فاللغة - بفنون تعبيراتها - ذات صلة وثقى بالتعبير الاعلامى - نطقا وكتابة وآدابا - حيث ان اللغة هى كسوة المعانى والقيم ووعاء اخراجها واداة خطاب الناس . وتدرس اللغات الحية اليوم وتعلم بوسائل اعلامية فى الاذاعة والتلفزيون وعلى الاسطوانات وبالنغم . ولقد نجحت البرامج اللغوية التعليمية المصورة التى تخرج كل حرف فى ومضة ضوئية . وكل نبر مصحوبا بالنغمة الموسيقية . والصلة العضوية والمعنوية قائمة بين اساليب كليات الدعوة ووسائل الاعلام .

وللشريعة وجهها الاعلامى الذى يوجب على كليات الشريعة اخراج الفقه الاسلامى فى شكل اعلامى جديد : « وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » .

او أن تقر النظرية الاسلامية الاعلامية مادة اصلية فى كليات الدعوة والشريعة واللغة . وفى الجامعات الاسلامية التى تضم كليات فى الطب والزراعة والتجارة . . الخ ينبغى تدريس العلوم الانسانية لنفس السبب الذى ورد فى آخر الفقرة الاولى .

٣ - أن يقترن تدريس الاعلام بتدريس العلوم الانسانية لما بين المجالين من اتساق موضوعى . فالداعية اولى من البائعين فى المؤسسات التجارية ومن المضيفين فى الطائرات باحسان فن التعامل مع الناس .

٤ - تنظيم دورات تدريبية - لا تقل عن ١٢ شهرا - لخريجي الجامعات الاسلامية تزودهم بوسائل جديدة في الدعوة وتبوءهم مرتبة الصدارة في قيادة الراى العام .

٥ - توجيه الشباب الاسلامى وتشجيعه على أن ينصر الدين فى ثفرة الاعلام .

ويتحقق التشجيع بعزائم ثلاث :

(أ) ترسيخ الاقتناع بأن الاخراج التلفزيونى أو التحرير الاذاعى والصحفى هو لسان عصرنا وأن من فقه الدعوة خطاب الناس بلسان عصرهم . ووسائل زمانهم وأن أجهزة الاعلام الحديثة تيسر جديد أمام التطبيق الاسلامى اذا احسن الدعاة التكيف معها وتطويعها للاسلام .

(ب) فى التخطيط التعليمى - العالى وما بعد الثانوى - يوجه شباب اسلامى الى دراسة الاعلام فى الخارج وأن يكون هذا الأمر برنامجا ثابتا فى نظام الابتعاث .

(ج) كفالة توظيف هذا الشباب - بعد التخرج - فى أجهزة الاعلام الرسمية . تماما كما هو الحال بالنسبة لخريجي الفيزياء والادارة واللفات .

٦ - أن تكون التخصصات الاعلامية الاسلامية متكاملة فى التحرير . والاخراج . والتمثيل . والتصوير . وفنون كتابة النص واعداد البرامج والادارة الاعلامية باقسامها المختلفة . العمل المكتبى والعلاقات العامة . والتوزيع .

فقد يفلح المسلم فى كتابة قصة . ولكن كاتب السيناريو يشوهها فاذا افلح الاثنان يجيء المخرج فيحرف النص ويغير الهدف . ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى ب :

٧ - توظيف مالى اسلامى ضخيم فى :

(أ) صناعة الطباعة بأنواعها المتعددة : الورق والحبر وأجهزة التنفيذ والمونتاج والمطابع والهندسة والادارة . وأن تكون هذه الصناعة متقدمة تتخطى طريقة صف الحرف باليد أو المونوتيب واللينوتيب وتدخل عصر الطباعة الباردة أو الجمع بالتصوير وما يتبعه من تطورات اخرى .

(ب) صناعة انتاج الافلام التلفزيونية والسينمائية . صناعة تغطي العالم الاسلامى وتلبى حاجته . وتصدر ألوف الافلام الى العالمين المتقدم والمتخلف .

(ج) صناعة الصحافة . بتحريرها واخراجها ومراكزها التى تتولى تدريب الشباب الاسلامى صحفيا وتربى قيادات صحفية .
وتلحق بالصناعة الصحفية دور نشر كبرى تنقى التراث وتعيد نشره فى أشكال جذابة وترجمه الى اللغات العالمية والاقليمية وتجذب عددا من المفكرين الاسلاميين فتفرغهم لاجراء البحوث فى القضايا المعاصرة الاسلامية والعالمية وتتولى هى طباعة وتوزيع تلك البحوث .
وهى صناعات تربح مرتين :

تربح المال . فالاستثمار فى صناعة الصحافة - مثلا - خلال الأعوام العشرة الماضية زاد بنسبة ١٠٠٪ بينما أقصى زيادة فى نسبة الاستثمار فى الصناعات الأخرى وقفت عند حدود ٢٨٪ . وهذا التوسع الاستثمارى الصحافى مبنى على أساس الربح الأوفر .

وتربح ما عند الله عز وجل اذ تتقرب اليه بتوسيع نطاق البلاغ المبين بين العالمين . وتتوسل الى رضاه بالعمل الصالح .
ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى ب :
٨ - استخدام الكاسيت فى تبليغ الدعوة :

تسجيلات صوتية جميلة بنطق فصيح فى لغات مختلفة . تحكى هذه التسجيلات :

قصة انسان يبحث عن الحق بعد ان اعنته الضلال « تفاصيل حياة الخمر والزنا والاستهتار وعدم الانتاج والاساءة الى الزوج والوالدين » .
يسأل عن الاسلام وهو فى طريق البحث عن الحق .
يرغب فى الدخول فى الاسلام .
يحكى موقفه وهو ينقل خطوطه الأولى نحو الاسلام ثم يدخل فيه ويعبر عن غبطته بانتقاله الى حياة جديدة .

أسلم فواجهته مشكلات جديدة فى بيئته نتيجة لاسلامه . الحلال والحرام من الطعام . علاقته بأبويه . الصلاة فى العمل . الحب والزواج .

ارتباطاته السابقة في المال ومجالس الشراب .
وفي الكاسيت نفسه : لكل سؤال جواب .

توزع هذه الكاسيتات على أوسع نطاق . ولا يجوز أن يسجلها من لا يعرف ظروف ومشكلات المخاطبين في السويد وأمريكا وكينيا وروسيا والمانيا واليابان لأن معرفة أحوال البلقين شرط جوهري من شروط البلاغ المبين .

٩ - استخدام التصوير البطيء في تعليم الوضوء والصلاة والحج والأداء الإداري الجيد .

١ - استخدام البريد - كوسيلة من وسائل الاعلام - في الدعوة والهداية .
حتى الآن لا يزال البريد يستغل في الأمور الشخصية أو الأعمال التجارية والوظيفية ويستغل في توزيع الصور العارية وملخصات الانجيل .
ينبغي استخدام البريد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي الإصلاح بين الناس وتقديم النصيحة . والخدمات العامة اليهم . ومشاركتهم همومهم وأفراحهم .
مشاركة من لا نعرف من الناس .

ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامي بـ :

١١ - تكوين اتحاد اسلامي اعلامي عالمي تتشكل خليته الاولى من الاسلاميين العاملين الآن في مجال الاعلام . يضم هذا الاتحاد نقابات ينبغي أن يشكلها بمجرد تكوينه :

نقابة الصحفيين الاسلاميين .
نقابة التلفزيونيين الاسلاميين .
نقابة السينمائيين الاسلاميين .
نقابات رجال الطباعة ودور النشر الاسلاميين .
نقابة الكتاب الاسلاميين .

نقابة أئمة المساجد والوعاظ - بالتعاون مع المجلس العالمي الأعلى لرسالة المسجد - يتبع ذلك أن يقوم الاتحاد الاسلامي العالمي للاعلام بتكوين :

جمعية « الدفاع عن كرامة الانسان » وهي جمعية مؤلفة من مفكرين اسلاميين أساسا ضمنت اليها نفرا من المثقفين - غير المسلمين - ذوي

الاحساس الانسانى العام . الذين لهم جهود معروفة فى مقاومة المظالم
بشتى صنوفها .

تكافح هذه الجمعية : التعصب العنصرى . واستغلال المرأة فى
الاعلان وتجارة الرقيق الأبيض . والتفاوت الطبقي بين الدول الصناعية .
والدول المصابة بسوء التغذية وفقر الدم والمجاعات . وغير ذلك من القضايا
الانسانية . فالتجاوب مع هم الانسان ورد الظلم عنه مداخل الى شخصيته
وقرب نفسى من أعماقه . والقرب النفسى فرصة للدعوة الى الله .

جمعيات الصداقة التى ينبغى ان يشكلها الاتحاد كذلك . اما على
اساس جغرافى عالمى . اى ان يكون التمثيل فيها قاريا شاملا . واما على
اساس التخصص الفنى : فى الهندسة والطب والفيزياء والتجارة والعلوم
الانسانية . وسائر التخصصات الأخرى .

ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى ب :

١٢- تسخير وسائل الاعلام للتنمية : تغيير عادات تضييع الوقت والكسل

وضعف الاحساس بالأخذ بالاسباب . الى جانب تنظيم برامج
طويلة الأجل للتثقيف الصحى والعلمى والادارى والزراعى والصناعى
تبث فى المدائن والقرى مع التركيز على الاذاعات والصحافة
الريفية .

المراجع
القرآن الكريم
البخارى ومسلم

وسائل الاعلام	ولبر شرام
والتنمية القومية	
صحافة القد	هـ . توفيق بحرى
النبا العظيم	د . عبد الله دراز
فن الدعاية الاسرائيلية	د . حامد عبد الله ربيع
العمليات النفسية الدعائية	المقدم محمد حجار
الجمالية عبر العصور	اتيان سوريو
الادارة الفندقية الحديثة	جيرالد لانين
تاريخ الولايات المتحدة	الن نيفنز
	هنرى ستيل كوماجر
تقنية الصحافة	فايب غيار
اصول الحديث	د . محمد عجاج الخطيب
العلاقات العامة الناجحة	جمعية تعليم الكبار الامريكية
انتشار الديمقراطية	كلودجوليان
مجلة «قضايا معاصرة» العدد «٤»	د . عبد الله عبد الدائم
الامية فى الوطن العربى	فؤاد دواره
« قضايا معاصرة » العدد « ٣ »	
الاسس العلمية لنظريات الاعلام	د . جيهان احمد رشتى
اسباب النزول	ابو الحسن الواحدى النيسابورى
اسس العلاقات العامة	جلال عبد الوهاب
الاعلان	د . حسن عبد الله ابو ركية
صناعة الكتاب	راتيس سميث
التخطيط الاعلامى السياسى	د . انور السباعى
السبر نتيك واصل الاعلام	ريمون رويه

بسم الله الرحمن الرحيم



العووق

صوت الحق والقوة والحرية
صحيفة إسلامية جامعة
تصدر شهريًا مؤقتًا

٨ ميدان السيدة زينب - القاهرة - ص.ب ١٦٣٦ - ٩٣١٩٦١

ثمن النسخة

لبنان : ١٧٥ فل	عمان : ٣٣٠ فل
سوريا : ١٧٥ فل	الخليج العربي : ٤٥٠ فل
العراق : ٢٢٥ فل	عمان : ٤٠ فل
السعودية : ٣ ريال	الكويت : ٤٠ فل
ليبيا : ١٦٠ دها	الجزائر : ٤٠ فل
المغرب : ٤٠ فل	البحرين : ١٥٠ فل
الأردن : ١٧٥ فل	الصومال : ١٨ فل
تونس : ٤٠ فل	البحرين : ١٨ فل
السودان : ١٣٠ فل	صفاق : ٣٣٠ فل

• الاشتراكات داخلية

جمهورية مصر العربية

• أوروبا وأمريكا وباقي بلاد العالم

دولار ونصف للعدد وثمانية عشر دولارًا

للسنة خالصة البريد الجوي المجلد

• الدول العربية والإفريقية

ثمن السنة خالصة البريد

• المطبوعات باسم :

الاستاذ / عمر عبد الفتاح التماساني

ترسل قيمة الاشتراكات (بشكل صرفي) فقط مع رجاؤ عدم إرسال كوبونات بريد .

يديرها ويشرف عليها : عمر عبد الفتاح التماساني

الإعلام الإسلامى

فى ضوء نظرية النظم

د . سعيد محمود عرفة *
كلية التجارة - جامعة القاهرة

مقدمة :

الإسلام نظام متكامل ، يقوم على مبادئ ثابتة محدودة بوضوح يفهمها العامة ، ويجد المتخصصون فيها مجالات لا نهائية للتعلم والتأمل . . وبناء على هذه المبادئ تتحدد الأهداف بالنسبة للفرد ، ثم بالنسبة لمجموعات الأفراد التى تتدرج من الأسرة الى الجيرة الى المجتمع المسلم الى المجتمع الدولى (الذى يضم دولة الاسلام والدول غير الاسلامية) ثم الى البشرية كلها كوحدة واحدة ولا بد من وجود وسائل لتحقيق هذه الأهداف ، وقد حدد الاسلام بعض هذه الوسائل على وجه التخصيص ، وترك البعض الآخر لاختيار الأفراد والمجتمعات من بين بدائل تختلف باختلاف المكان والزمان .

والمبدأ الهام هنا هو مراعاة الترابط بين المبادئ الاسلامية المقررة فى القرآن والسنة ، وبين الأهداف المطلوب تحقيقها ، وبين الوسائل المختارة .

* وقد قدم هذا البحث الى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامى
(الرياض شوال ١٣٩٦ - أكتوبر ١٩٧٦)

فاذا تأكدنا من ربط الأهداف بالمبادئ المقررة ، أصبحت القضية تتلخص في اختيار الوسائل التي تحقق الأهداف بأحسن درجة ممكنة .

والناس كأفراد يولدون على الفطرة وتولد معهم نزعات الخير والشر ، وقد سلّحهم ربهم بالعقل الذي يهديهم الى الخير . ولو عاش الفرد وحده لاخترع من الوسائل ما يشبع حاجاته ثم هدته فطرته الى الله . وعندما يعيش الفرد مع جماعة ، أصبح من الضروري تنظيم عملية اشباع الحاجات للأفراد في ظل الجماعة ، ويتطلب ذلك ان يضحى كل فرد ببعض درجات الاشباع من اجل الجماعة ، ويدفعه ذلك الى السيطرة على شهواته . ولكن بعض افراد المجتمع قد لا يستطيع ان يحمل نفسه على الجهد المطاوب للتضحية من اجل الجماعة ، ويحاول اشباع شهواته على حساب الآخرين ، مما يهيئ الاصطدام بالآخرين من اجل هذه الغاية المادية . لذلك كان لابد من وجود نظام يحدد لكل فرد حقوقه وواجباته ، وقوة تحمي هذا النظام وتضمن تطبيقه وتقوم الشاذين عنه .

الا ان القوة وحدها لا تجدى اذا لم يعنها جهاز لتوعية يعرف كل فرد حقوقه وواجباته ، ويشرح له الأهداف والوسائل التي تعارف المجتمع عليها لكي يعيش المجتمع - والافراد بالتبعية - في سعادة ووثام ، بل ويدربه على تحقيق الأهداف واستخدام الوسائل . والنقطة الأخيرة يهملها كثير من النظم الاعلامية ، فالاعلام ليس جهازا لتبليغ رسائل شفوية فقط ، وانما يجب ان تمتد وظيفته الى تأكيد هذه الوسائل بالتطبيق العملي ، وتوفير الجو المناسب للتطبيق .

كما ان الاعلام الاسلامي عملية مستمرة وليست مرحلية ، فهي اذن تواكب وتصاحب التغيرات الاجتماعية ، ومن أهم هذه التغيرات انتقال افراد المجتمع من مرحلة من مراحل العمر الى مرحلة أخرى ، او بعبارة أخرى التجديد المستمر لخلايا المجتمع التي تتمثل في افراده (ارحام تدفع ، وقبور تملأ) ، لذلك كان على جهاز الاعلام ان يكيف وسائله لتعليم النشء بما يتناسب مع الظروف والتغيرات في نواحي المجتمع ، ويتسابع ذلك بوسائل تتدرج مع مراحل العمر المختلفة ، اى يتخذ من المعلومات التي يبلغها الى النشء مرتكزا للمعلومات التي يوفرها للأعمار الأخرى او أساسا يبنى عليه .

وهذا البحث في تقريره للمبادئ السابقة يستخدم اطارا نظريا مشتقا من النظرية العامة للنظم Systems theory approach التى تحدد مفهوم النظام ومقوماته ، وعلاقة النظم الرئيسية (الاكبر) بالنظم الفرعية (الأصغر) ومدى تأثير النظم الفرعية بالبيئة الخارجية لها التى تحكم النظام الاكبر ، ويستخلص من تحليل نظرية النظم مدلولات لتكوين اطار نظرى للاعلام الاسلامى على انه نظام فرعى للنظام الاسلامى العام ، محكوم بأهدافه ومبادئه ويتم اختيار وسائل الاعلام الاسلامى فى ضوء هذا التصور .

مفهوم نظرية النظم ، وأهميتها فى دراسة نظام الاعلام فى الاسلام :

ظهرت فى الأوساط العلمية الادارية والاقتصادية نظرية جديدة تسمى نظرية النظم systems theory ، ورغم انها نظرية ناشئة لم تكتمل بعد من جوانبها المختلفة ، الا انها لاقت اهتمام العلماء والمختصين حيث وجدت تطبيقات هامة فى النواحي الادارية والاقتصادية ، وفى مجال نظم المعلومات ونظم الاتصال . ولا تقتصر النظرية على المجالات الادارية والاقتصادية ولكن جذورها تمتد الى مختلف العلوم بل ان هدف النظرية تكوين اطار علمى عام يتخذ أساسا للعلوم التى عرفها الانسان على اختلاف مجالاتها وتخصصاتها ، ويؤمل ان يحقق العلماء ، نتيجة لذلك ، الترابط والتعاون بين العلوم المختلفة بحيث تستفيد منه ولو من حيث طرق البحث — من بعضها البعض خاصة بعد أن ظهرت فروع جديدة من العلم نتيجة تكامل البحوث بين فرعين قائمين من فروع العلم ، مثل نشأة علم النفس الاجتماعى social psychology نتيجة تزاوج البحوث فى علم النفس . وعلم الاجتماع ، وكذلك علم النفس الصناعى نتيجة البحث فى كل من علم النفس وعلم الادارة الصناعية . ومن ذلك ايضا تطبيقات نظرية الآلة فى العلوم الهندسية فى البقاء الضوء على مفهوم نظم المعلومات الادارية: management Information systems

واهتمامنا فى هذا البحث بنظرية النظم ينبع — كما سنرى بمشيئة الله — من انها تساعد على القاء الضوء على صفة التكامل فى هذا النظام العجيب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الاسلام . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تساعدنا على فهم دور الاعلام فى النظام الاسلامى ، وتوجيهه الوجهة التى تحقق الأهداف المرجوة منه .

كما ان النتائج التى توصل اليها العلماء من وحى النظرية تتفق مع

المبادئ التى نادى بها الاسلام من اربعة عشر قرنا . بل ان اللبنة الأساسية للنظرية ، وهى ما يمكن أن تسميه النظرة الكلية للأمور collective view ليست ببعيدة عن فكر الامام أبو حامد الغزالي فى الاحياء .

وسنسوق فى السطور القليلة القادمة باختصار الفروض والاستنتاجات الأساسية لنظرية النظم وايحاءاتها بالنسبة للاعلام الاسلامى .

يمكن تعريف « النظام » بأنه مجموعة من الأجزاء أو العناصر يرتبط بعضها مع البعض لتحقيق هدف معين ، ويتضح من التعريف عدة حقائق :

أولاً : يتكون النظام من عدة أجزاء أو عناصر ، ويمكن اعتبار كل جزء أو عنصر نظاماً فرعياً فى حد ذاته . وبالتالي يضم النظام الواحد عدة نظم متداخلة . فالإنسان نظام (ربما كان من أعقد النظم وأبدعها تكويناً) ، فمن الناحية الفسيولوجية يتكون الإنسان من عدة أجهزة يعد كل منها نظاماً فرعياً له أهدافه ووظيفته ، وله جزئياته ، مثل الجهاز الهضمى ، والجهاز العصبى والجهاز التناسلى .. وهكذا ، فضلاً عن أن النظام الفسيولوجى فى مجموعه مرتبط بنظام نفسى ومعنوى معقد . ومن الملاحظ فى كثير من



شكل (١)
مستويات النظم

النظم أن النظم الفرعية تكون مستويات متداخلة كما يتضح من شكل (١) . فالمجتمع نظام يتكون من عدة نظم فرعية ، الفرد فيها هو المستوى الأول من تلك النظم (رغم أنه يمكن تقسيمه الى نظم فرعية أصغر كما قدمنا ، ويتوقف التفصيل من المستويات الأصغر من النظم على طبيعة النظام موضع الدراسة) والأسرة ، والمسجد والمنشأة التجارية والصناعية ، والنادى ، والهيئة الحكومية ... الخ تقع فى المستوى الثانى اذ تضم عدة أفراداً ، والمجتمع ككل يقع فى المستوى الثالث اذ يضم هذه النظم جميعاً .

وطبقا لهذا التقسيم يسمى النظام الذى يضم عدة نظم فرعية بالنظام الأكبر ويمثل النظام الأكبر البيئة الخارجية environment لكل من النظم الفرعية .

ثانيا : ترتبط الأجزاء أو العناصر أو النظم الفرعية مع بعضها البعض طبقا لنظام اتصال محدد . وهذا الارتباط هو الذى يعطى النظام صفة التكامل والتماسك . فاذا حدث خلل فى نظام الاتصال انفرط عقد النظام ولم يحقق أهدافه ، وقد يتلاشى ، كما أن هذا الارتباط هو الذى يعطى للنظام قيمة أعلى من مجموع قيم أجزائه وفروعه .

ثالثا : النظام يعمل لتحقيق هدف معين يحكم نشاطه ، ويحدد العلاقات بين أجزائه ، بل هو سبب وجود النظام أصلا . وأهداف النظم الفرعية يجب أن تؤدي إلى تحقيق الهدف أو الأهداف العامة للنظام والحدث انقسام وتشقق فى بناء النظام ويمكن اعتبار أهداف النظم الفرعية وسائل لتحقيق الهدف ، والأهداف العامة للنظام فى مجموعة . ومن ناحية أخرى يمكن اعتبار الأهداف العامة للنظام قيودا على أهداف النظم الفرعية .

هذه بعض عموميات نظرية النظم التى تهمنى فى البحث . ويجب الآن أن نتأمل فى النظام الإسلامى على ضوء هذه العموميات .

طبيعة النظام الإسلامى وفقا لنظرية النظم :

أولا : يتكون النظام الإسلامى من نظامين فرعيين : الأول نظام فكرى . والثانى نظام تطبيقى ، أو بعبارة أخرى : يتكون النظام الإسلامى من عقيدة وشريعة . والنظام الفكرى أو العقائدى فى حد ذاته نظام متكامل متناسق تتفق نتائجه مع مقدماته ، ويتأسس على التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنظام التطبيقى أو التشريعى يحدد العلاقات بين الأفراد والجماعات بما يحقق الأهداف العامة للنظام ، وبما يتفق مع المبادئ التى يقررها النظام الفكرى العقائدى .

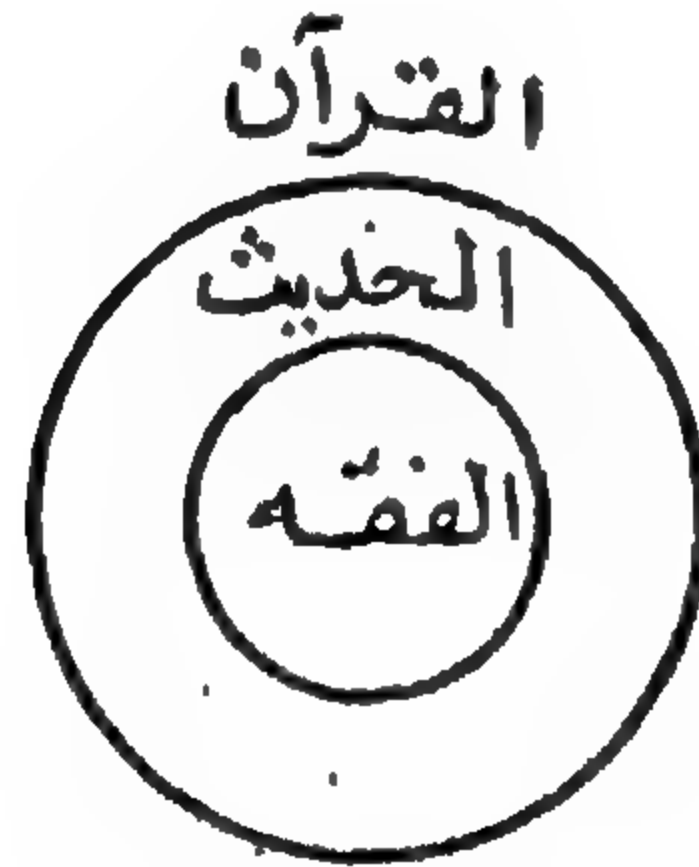
ثانيا : هناك ترابط وثيق بين النظام الفكرى العقائدى والنظام التطبيقى التشريعى ويمكن اعتبار النظام الفكرى نظاما أكبر والنظام التطبيقى نظاما أصغر . وبالتالي فإن النظام الفكرى يمثل البيئة الخارجية للنظام التطبيقى بحيث يكون النظام التطبيقى محكوما بمبادئ النظام الفكرى . وشكل (٢) يوضح هذه العلاقة .



شكل (٢)
العلاقة بين النظامين

الفكرى والتطبيقي في النظام الاسلامي

والنظام الفكري في ذاته يتكون من مبادئ وعقائد كلية ثابتة بالنص القرآني أو نص الحديث ، وهذه المبادئ تمثل النظام الأكبر لنظريات واجتهادات جزئية يستنبطها العلماء عن طريق القياس والمنطق ، وهذه لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، وتتأثر بما وصل اليه علماء العصر من العلم والمعرفة وبناء على ذلك يمكننا تصور تركيب النظام الفكري في الاسلام كما يتضح من شكل (٣) :



شكل (٣)
تركيب النظام الفكري في الاسلام

فبالقرآن هو المصدر الأساسي للفكر الاسلامي ، ويلاحظ انه لم يوضع في دائرة في شكل (٣) اشارة الى انه ليس محددا بأي نظام فكري اعلى منه ، انما هو مستمد من الله الذي ينتهي اليه العلم (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ، ولذلك يعتبر القرآن « النظام الفكري

الأكبر في الاسلام وليس هناك ما هو أكبر منه ، اذ يستمد عظمته من خالق
الأكوان العليم الخبير . وان للقرآن لأسرار . لا نهائية ، لا يدرك منها البشر
على مر الزمان الا ما شاء الله لهم أن يدركوا ، فالقرآن - كالكون - مجال
للدراسة والبحث ليكتشف الانسان من أسرارهِ ما يستطيع . وليس في
ذلك التشابه بين الكون والقرآن غرابة فمصدرهما واحد : هو الواحد
وان الفلاسفة يسمون مجالات البحث في الغيبيات التي لا تتجاوز المحسوسات
باصطلاح « ما وراء الكون » ، ويعتبرون « ما وراء الكون » النظام الأكبر
الذي يحكم كل فروع العلم البشرى ، وقد هدتهم عقولهم وهداهم
منطقهم الى أن ما وراء الكون بلا شك نظام ، وقد حاولوا اكتشاف قوانين
هذا النظام فضلوا واضلوا (ومالهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن وان
الظن لا يغنى من الحق شيئا) . ونحن نرى ان حقيقة ما وراء الكون التي
يبحثون عنها هي في القرآن المستمد من الحق الأكبر ، مصدر الحقائق
جميعا : من الله .

واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تقرير وتفسير وتفصيل لما
جاء في القرآن ، فالرسول هو الرابطة بين الله والبشر . والفقه هو نتاج
التفكير البشرى : نتيجة البحث والدراسة ، وهو نوعان :

١ - فقه في القرآن والحديث وما ينتج عنهما عن طريق القياس أو
الاستنباط أو الاستنتاج . وهو - بالاضافة الى انه يعمق فهمنا
للقرآن والحديث - يضع الأحكام بالنسبة للأمور التي تجد، والتي
يحتاج فيها المسلمون الى الرأي ، والتي تتغير بتغير العصر .

٢ - فقه في القوانين الكونية والقواعد المهنية وهو مجال البحث والدراسة
في العلوم الكونية على اختلاف مجالاتها .

وهذا التصور للنظام الفكري في الاسلام يجعلنا ندرك مغزى قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا
بعدي أبدا : كتاب الله وسنتي » . فاذا تعارض الفقه مع هذين ضل
واضل ، وهذا ما نلمسه من دراسة تاريخ الفكر الغربى والشرقى .
وامتدادا لهذا التصور الذى ناقشناه ، فانه يمكننا النظر الى النظام
التطبيقي في الاسلام على انه يتكون من مستويين :

الأول : السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وهى ما قرره من قواعد وأوضاع وإجراءات بالتنفيذ العملى (مثلا فى الزواج والطلاق والشراء والبيع والحروب والعقود والمعاهدات .. الخ) .

الثانى : القواعد والاجراءات التى يضعها قادة المسلمين ، والتى تسترشد بالسنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم تستحدث من وسائل التطبيق ما يتفق مع احتياجات العصر والظروف المحيطة بالتطبيق .

والخلاصة اذن : ان العلاقة بين النظام الفكرى والنظام التطبيقى فى الاسلام تتمثل فى : ان النظام الفكرى قاعدة يبنى عليها النظام التطبيقى كما يقام المبنى على أساس صلب . والعبادات التى فرضها الله على المسلمين من صلاة وصيام وزكاة وحج تساعد على توثيق صلتهم بخالق النظم جميعا ، بالله الواحد القهار ، ويساعدهم ذلك بالتالى على صيانة نظمهم الفكرية والتطبيقية من الانحراف . ويلقى هذا التصور ضوءا على الحكمة من استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لكلمة « بنى » فى حديثه الشريف : « بنى الاسلام على خمس . » . الحديث . فالاسلام اذن بناء فكرى وتطبيقى أساسه عبادة الله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

ثالثا : هدف النظام الاسلامى : سعادة الفرد المسلم فى الدنيا والآخرة . ويتضح ذلك من الآية الكريمة « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك الفوز العظيم » . وقد عبر الله فى الآية عن السعادة « بالبشرى » اشارة الى انها سعادة مستقبلية متجددة يتطلع اليها المؤمن فى حاضره عندما يفكر فى مستقبله . وقد نفى الله فى الآية الخوف والحزن عن أولياء الله حيث انهما العاملان الرئيسيان اللذان يفسدان السعادة ، فمن يطمئن الى الله لا يخاف مخلوقا ولا يحزن على شىء فاته فى الدنيا . ونلفت النظر الى قول الله فى الآية « لا تبديل لكلمات الله » وفى ذلك تأكيد انه ليس هناك سلطة أعلى من الله ، وهذه قوانينه وسننه لها صفة الثبات والتكرار تماما كالقوانين الكونية المحسوسة للانسان مثل تعاقب الليل والنهار . وهذه القوانين تحكم النظام الاسلامى بمعنى انها تحدد اهدافه ووسائله . وقوله تعالى « ذلك الفوز العظيم » اشارة الى ان

البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، منتهى ما يهدف اليه المؤمن ، وليس هناك فوز أعظم من ذلك .

من هذا التحليل نخلص الى أن الاسلام نظام متكامل له مقوماته النظرية والعملية الصالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان .

ونريد أن نقرر هنا - بناء على ما سبق - أن الاعلام الاسلامى جزء من النظام الفكرى الاسلامى ، لا بد أن يكون له صداه فى النظام التطبيقى وهذه رسالتنا فى بقية هذا البحث .

مقومات نظام الاعلام الاسلامى :

إذا سلمنا أن الاعلام الاسلامى نظام قائم بذاته وجزء من النظام الاسلامى فان ذلك يقودنا الى التسليم بأن مقومات النظام الاعلامى الاسلامى طبقا لنظرية النظم - خمسة :

- ١ - أهداف .
- ٢ - أجهزة .
- ٣ - نظام اتصال بين الأجهزة .
- ٤ - قواعد واجراءات التطبيق .
- ٥ - نظام للرقابة على التطبيق .

والأهداف : أساس وجود النظام أصلا ، ولا بد أن تكون هذه الأهداف محددة تحديدا دقيقا إذ أن أى خطأ فى تحديدها يؤدي الى أخطاء فى تصميم بقية مقومات النظام . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا بد أن تكون الأهداف مؤدية الى أهداف النظام الأكبر، وهو النظام الفكرى الاسلامى كما تصورنا سابقا . ولأهمية الأهداف لنظام الاعلام الاسلامى خصصنا لها مبحثا مستقلا فيما بعد .

والأجهزة : هى أجزاء النظام وعناصره الرئيسية ، وتمثل - كما قدمنا - فى حد ذاتها نظاما فرميا لها مقوماتها الخاصة بها والمتفرعة عن النظام الأكبر . ويراعى فى تصميم الأجهزة أن تكون محققة لأهداف النظام فى مجموعه . ويتوقف تصميم الأجهزة على الوسائل الاعلامية المتاحة والمختارة لتحقيق الأهداف .

ولابد أن تكون اختصاصات كل جهاز محددة ومعروفة وتتحدد كذلك العلاقة بينه وبين الأجهزة الأخرى حتى يتم التنسيق والتكامل بينهما ، وحتى لا يغلب تحقيق الأهداف الفرعية لكل جهاز على تحقيق الأهداف العامة للنظام الاعلامى ككل . ونظام الاتصال بين الأجهزة يربطها جميعا بجهاز ادارى أعلى يشرف على تحقيق الأهداف العامة .

وفى داخل كل جهاز لابد من تحديد قواعد واجراءات التطبيق به ، والقواعد تمثل ترجمة لسياسات عامة لكل جهاز بحيث ترسم القرار المختار فى حالة توافر ظروف معينة ، حيث تكون القاعدة فى شكل « اذا حدث كذا افعل كذا » . واجراءات التطبيق ترسم الطرق والوسائل التفصيلية المنتظمة لتنفيذ القواعد المذكورة . ولابد أن تكون قواعد اجراءات التطبيق مرتبطة بالنظام التطبيقى العام للاسلام . وينتج عن تنفيذ القواعد والاجراءات برامج محددة تفصيلية لكل جهاز توضع مقدما بوقت كاف قبل التنفيذ .

وفى زحمة التفاصيل اثناء التنفيذ ، قد تغيب الأهداف العامة للنظام والأهداف الفرعية المحددة لكل جهاز عن الأذهان ، وبالتالي ينحرف التنفيذ عن الخط المحدد له فى البرامج ، فلا بد اذن من وجود نظام يراقب عملية التنفيذ بصفة دورية منتظمة فيسجل الخطوات التنفيذية التى تتم أولا بأول ، ثم يقارنها فى كل مرحلة (كل شهر مثلا) بما كان محددا فى البرامج ويحدد الانحرافات بالزيادة أو النقص فى التنفيذ الفعلى عن البرامج الموضوعة مقدما ، واثر هذه الانحرافات على تحقيق الأهداف . وبالتالي ينبه القائمين على ادارة كل جهاز والادارة العليا للأجهزة الى الانحرافات التى تؤثر على الأهداف تأثيرا ملموسا (تحدد قواعد الرقابة متى يكون الانحراف ملموسا ، وبناء على ذلك يتقرر تضمينه تقرير الرقابة من عدمه) وقد يكون هذا التأثير موجبا (أى يعمل على تنفيذ الأهداف بصورة احسن من المتوقع) أو سالبا (وهو الأعم - أى يعمل على اعاقه تحقيق الأهداف بالصورة المتوقعة والمحددة بالبرامج) . ويجب أن تعمل الادارة العليا للأجهزة على مراقبة نظام الرقابة نفسه ، بمعنى أن تتأكد من وقت لآخر أن نظام الرقابة يسير وفقا للتصور الذى وضع له من قبل ، وأنه فعال ، بمعنى أنه يحقق الأهداف المتوقعة منه ، فأى خلل فى جهاز الرقابة يضعف عملية التغذية المرتدة للمعلومات feedback . وهى تلخص فى أن النظام

يزود نفسه بنفسه بمعلومات عن مدى تحقيق الأجهزة التنفيذية فيه لأهداف النظام ، فإذا ضعفت هذه العملية ظهرت ثغرات في التنفيذ تهدد كفاءة النظام ، بل وتهدد وجوده أصلا .

أهداف نظام الاعلام الاسلامى :

يمكننا النظر الى أهداف النظام الاعلامى الاسلامى على انه تركيب structure أو بناء يتكون من أهداف عامة يتفرع منها أهداف فرعية أو تفصيلية أما الأهداف العامة فنقترح ان تكون كالاتى :

(أ) **توعية المسلمين في جميع مراحل العمر** ، وعلى اختلاف ثقافتهم بتعاليم دينهم طبقا لما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة وما تعارف عليه العلماء ، وتنمية ثقافتهم الدينية . ويلاحظ هنا ان « التوعية » بمثابة زرع تعاليم الدين الحنيف ، و « التنمية » بمثابة تعهد هذا الزرع بالرى وتوفير الجو الصحى له للنماء والزيادة حتى يؤتى ثماره الفكرية والعملية .

(ب) **نشر الدعوة الاسلامية بين غير المسلمين** ، وترغيبهم في الاسلام بالأدلة والبراهين ، والرد على من يجترىء منهم على الدين بالحجة المفحمة .

وتتفرع من هذين الهدفين العامين عدة أهداف فرعية نلخصها فيما يلى مشيرين بقدر الامكان الى الوسائل الرئيسية لتحقيق كل هدف .

١ - **تربية النشء المسلم على قواعد دينية صلبة** . وذلك باستخدام وسائل مبسطة تساعد على ترغيب الطفل في الاسلام . ولا بأس من أن تكون المعلومات الدينية المقدمة اليه مغلفة بوسائل ترفيهية (كالأناشيد والمسابقات والتمثيلات والقصص) ، وأهم ما يتم التركيز عليه في هذا المضمار هو القدوة الصالحة .

٢ - **تثقيف برامج التعليم الدينية وغير الدينية في جميع المراحل** . العلماء والمتخصصين في شئون التربية لهذا الغرض . ولا يكفى أن وتوجيهها في الاتجاه السليم . ويحتاج ذلك الى تكوين لجنة من كبار تصدر اللجنة توصياتها ، بل تتكفل بالاشراف على تنفيذ التوصيات بالمدارس ، واعداد تقارير دورية عن تقدم البرامج في الاتجاه المطلوب . بل يجب ان تعقد اللجنة دورات تدريبية للمدرسين تشتمل على نواح نظرية ونواح عملية (بالتدريب العملى على الطبيعة تحت اشراف اللجنة) .

٣ - تحفيز النشء والشباب على الاقبال على العلوم الدينية وممارسة العبادات الاسلامية . ويمكن أن يكون ذلك عن طريق المسابقات العلمية والثقافية الدينية التي ترصد لها الجوائز القيمة ، وفتح المجال أمام الشباب للتعلم والتخصص في العلوم الدينية ، وإنشاء المعسكرات الصيفية والشتوية ، وتدريب الشباب على ممارسة العادات الاسلامية وعلى العلاقات الاجتماعية النظيفة .

٤ - تشجيع البحوث والدراسات الاسلامية بصفة عامة بالداخل والخارج : ويراعى عنصر التكامل والتنسيق بين هذه البحوث حتى تغطي جميع المجالات النظرية والتطبيقية . ويتم التركيز في النواحي التطبيقية على ربط الاسلام بمتغيرات العصر . ولا يقتصر تشجيع البحوث على البلاد العربية فقط ، وإنما يمتد الى غيرها من الدول الاسلامية . كما أنه يمكن الاستعانة بالبحوث العلمية الجادة ذات الصلة بالبحوث الاسلامية في الدول الأجنبية (مثل بحوث علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم الاجتماع ، والعلوم الاقتصادية والسياسية) مع تطويرها من وجهة النظر الاسلامية .

٥ - تشجيع البحوث والابتكارات في وسائل الدعوة . فترصد الأموال لتمويل البحوث التي يقوم بها المتخصصون ، ولتكريم الدعاة الذين يتفكرون في وسائل الدعوة أثناء ممارساتهم اليومية ، والعمل على تعريف الدعاة الآخرين بهذه الابتكارات ومنتجات البحوث (عن طريق المؤتمرات والنشرات وما الى ذلك) . وهذا الهدف يرمى بصفة عامة الى ابتكار وسائل للاعلام والدعوة أكثر كفاءة وأقل تكلفة .

٦ - توجيه البرامج في أجهزة الاعلام بما يخدم الاسلام . وهذا الهدف ذو شقين :

الأول : تنقية البرامج الاعلامية التي تبث للجمهور مما ينافي المبادئ والتعاليم الدينية .

والثاني : تصميم وتشجيع البرامج التي تعرف المواطنين بدينهم وتعمق العادات الاسلامية عندهم . ولا بأس من البرامج الترفيهية النظيفة ، بل ويجب أن توجه التعاليم الدينية للعامة في قالب مشوق من خلال بعض البرامج الترفيهية .

٧ - توجيه أجهزة الحكم لتطبيق شريعة الله ورسوله . ويتطلب ذلك أن تكون أجهزة الاعلام الاسلامى مستقلة عن الدولة، ولها كيانها الادارى والمالى المستقل . وعليها أن تراجع القوانين السارية وتقرر منها ما يتمشى مع الشريعة ، وتوجيه الحكام الى الغاء ما لا يتمشى معها ، بل وتنادى بذلك على اوسع نطاق بما يقنع الجماهير بضرورة التعديل هذا بالاضافة الى مراجعة القوانين التى تصدر تباعا بنفس الطريقة ، بل واقتراح تشريعات جديدة لاقامة جوانب مهمة من الشريعة ، أو استجابة الى متطلبات العصر .

٨ - نشر الدعوة بين الوثنيين واللاذنيين والملاحدين واهل الكتاب: ويتضمن ذلك انشاء مراكز للدعوة فى عدة دول سواء كانت متقدمة أو متخلفة اقتصاديا ، وتطوير المراكز الحالية الموجودة فى الدول الاجنبية ، وتدعيمها بالعناصر البشرية والكتب والأبحاث والوسائل الاعلامية الحديثة .

٩ - تدريب الدعاة للعمل بالداخل والخارج : ولا يكون التدريب بالبرامج التعليمية النظرية فقط وانما يكون كذلك بالوسائل العملية ، حتى يكون الداعية ملما بوسائل الاعلام الحديثة وقادرا على استخدامها . كما يجب أن تستفيد برامج التدريب من نتائج البحوث والدراسات فى علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعى فيما يختص بمخاطبة الأفراد والجماعات ووسائل اقناعهم . وفيما يتعلق بالدعاة الذين يدربون للدعوة فى خارج الدول العربية ، فانه من البديهي : ضرورة تدريبهم على اجادة لغة البلد التى سيعملون بها ، بالاضافة الى اتصالهم بمن سبقوهم فى التجربة والاستفادة من خبراتهم .

١٠ - توعية المسلمين المغتربين وتهيئة وسائل اقامة مجتمع مسلم لهم فى المهجر : فالمسلمون المغتربون يحتاجون الى تثبيتهم على الدين الحنفى أولا ، ومساعدتهم على مواجهة التيارات المضادة فى المجتمع غير المسلم الذى يعيشون فيه ثانيا ، ومساعدتهم على تكوين مجتمع مسلم داخل المجتمع الاجنبى ثالثا ، وتدريب بعضهم ليكونوا دعاة للاسلام فى المجتمع الاجنبى رابعا . فالهدف اذن ذو شقين :
الاول : تثبيت وتوعية المجتمع المسلم المغترب .

والثاني : توسيع دائرة هذا المجتمع بالنسبة للمجتمع الاجنبى .
كل ذلك مع مراعاة وسائل التعايش السلمى مع المجتمع الاجنبى .
١- رفع مستوى تعليم اللغة العربية فى الداخل ، وتشجيع البحوث
والدراسات فيها ، ونشرها بين المسلمين وغير المسلمين فى الخارج ،
حيث انها لغة القرآن ، ولا يتصور تقدم فى العلوم الدينية بدونها .
ويتضمن ذلك اجراء المسابقات بين النشء والشباب فى قواعد اللغة .

خلاصة وتوصيات :

الاسلام نظام شامل متكامل ، وهو يقيم نظامين فرعيين رئيسيين :
نظاما فكريا ونظاما تطبيقيا . والنظام الفكرى يستند الى القرآن والحديث ،
والفقه بنوعيه : الدينى والكونى ، ويمثل القرآن النظام الاكبر للحديث ،
وكلاهما يمثلان النظام الاكبر للفقه بمعنى ان الفقه يلتزم بما جاء فى القرآن
والحديث ولا يتعارض معهما او يحيد عنهما .

والنظام التطبيقى يدور فى فلك النظام الفكرى . ويتخذة قاعدة له .
وهو يتكون من السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتفق
عليه العلماء والمتخصصون من تشريعات ولوائح واجراءات للتنفيذ العملى
تسترشد بالنظام الفكرى ولا تحيد عنه .

٢- والاعلام الاسلامى بشقيه : النظرى والتطبيقى ، يجب ان ينظر اليه
على انه نظام متكامل ، وهو جزء لا يتجزأ من النظام الاسلامى نظريا وتطبيقيا ،
عقيدة وتشريعا . ولنظام الاعلام الاسلامى مقومات خمسة :

١- أهداف تحدد سير النظام وتوجهه وترتكز على نشر الدعوة بين
المسلمين وغير المسلمين فى الداخل والخارج ، موجهة الى جميع
الأعمار والثقافات والبيئات بما يتفق مع ظروف كل منها وطاقاته ،
بالإضافة الى ترشيد التعليم وتوجيه الحكام الى اقامة شريعة الله ،
وتشجيع البحوث فى العلوم الدينية وفى وسائل الدعوة وفى اللغة
العربية ، وتدريب الدعاة على كل ذلك باستخدام وسائل الاعلام
الحديثة .

٢- أجهزة تحدد اختصاصات كل منها بناء على تنظيم معين يضمن تحقيق
الأهداف على خير وجه .

٣ - نظام اتصال بين الأجهزة ، يحدد العلاقات بينها ويضمن كفاءة عملها .
٤ - قواعد واجراءات التنفيذ ، ينتج عن تطبيقها برامج محددة مقدما تغطي عمليات الاعلام المختلفة بما يضمن تحقيق الاهداف .

٥ - نظام للرقابة على التنفيذ ، يسجل ما تحقق فعلا ، ويقارنه بالبرامج الموضوعه ، ويوجه نظر الأجهزة المختلفة لاي انحرافات ذات الأهمية حتى يقوموا لتصحيحها في الاتجاه الذي يحقق الاهداف .

ولقد استخدمنا نظرية النظم كإطار نظري للبحث ساعدنا في تحديد مفهوم النظام وعلاقة النظم الرئيسية (الأكبر) بالنظم الفرعية (الأصغر) كما ساعدنا في تحديد مقومات نظام الاعلام الاسلامى ، وفي الربط بين النواحي النظرية والتطبيقية له ، وفي ربطه بالنظام الاسلامى ككل .

وامتدادا لاستخدام نظرية النظم كإطار للتحليل يمكن استخلاص التوصيات الآتية :

١ - عند حل المشاكل الاعلامية ، لا يجوز النظر الى المشكلة مستقلة عن بقية النظام ، وانما لابد من أن يجرى تحليل شامل ، يربط المشكلة بمقومات النظام المختلفة (بالاهداف والأجهزة ونظام الاتصال واجراءات التطبيق ونظام الرقابة) لتحديد جذور المشكلة وأسبابها الحقيقية ، وبالتالي تستأصل من جذورها ، ويكون العلاج ذا أثر طويل الأجل ، والا كان محدود الأثر ، وقد يخلق مشاكل أخرى أكبر في أحد جوانب النظام .

٢ - بما أن نظام الاعلام الاسلامى جزء من النظام الاسلامى العام ، فانه من غير المنتظر أن يحقق الاعلام الاسلامى أهدافه بالكامل الا اذا كان النظام الاسلامى العام مطبقا تطبيقا شاملا على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع . وليس معنى ذلك التوقف عن اصلاح أجهزة الاعلام الى أن يتم تطبيق النظام الاسلامى العام ، وانما من الضرورى أن يسعى كل فرد مسلم غيور على دينه نحو تحقيق الهدفين جنبا الى جنب . فالاعلام الاسلامى سيكون وسيلة لتطبيق النظام الاسلامى الشامل ، وعندما يكتمل تطبيق النظام الاسلامى يتطور الاعلام بحيث يأخذ شكله المتكامل الذى يحقق جميع أهدافه .

٣ - ان واقع الاعلام الحالى فى الدول العربية وفى الدول الاسلامية بصفة عامة واقع مؤلم منهزم وللنهوض به قد لا يكون من المستطاع تنفيذ نظام الاعلام الاسلامى المقترح مرة واحدة (بسبب عدم تطبيق النظام الاسلامى الشامل كما قدمنا) فلا بأس من أن يكون التنفيذ مرحليا ، ولكن لابد ان يعمم النظام الشامل أولا بحيث يمثل خطة للتنفيذ . وتراجع نتائج التنفيذ عند كل مرحلة من ارتباطها بالنظام ككل . ويتطلب ذلك اعطاء أولويات للتنفيذ تتفق مع الأهداف العامة للنظام . والله نسأل أن يوفقنا ويوفق الأمة الاسلامية جمعاء الى ما يحقق لها سعادة الدنيا والآخرة . « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ، ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون » .

« ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

القرآن الكريم والمسألة الاجتماعية (خطوط عريضة) *

د . عماد الدين خليل

ان الاسلام ، في قرآنه وسنة نبيه ، يطرح قواعد عامة وخطوطا عريضة يريد بها ان يشكل الأرضية الصلبة التي تتحرك عليها العلاقات الاجتماعية ، والتي يمد جذورها في أعماق النفس وبنية العالم وفي صميم النظرة الى الكون . . . وصحيح انه يطرح في الوقت نفسه تفاصيل وجزئيات عن قضايا يومية ومسائل اجتماعية بالذات ، ويلامسها ملاسمة تامة الا ان الاطار الكبير ، والرؤية الشمولية التي يرسمها الاسلام لموقف الانسان في العالم ، وطبيعة دوره فيه ، والغاية التي خلق لها والمصير الذي يسعى لتحقيق به من خلال ممارساته الواقعية ، هي التي تهمنا ونحن نرسم بعض آفاق

* انظر بحث (البعد الاجتماعي في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم) ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الرابع ١٩٧٥ وبحث (مفهوم العدل بين الماركسية والاسلام) ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد السابع ١٩٧٦

العدل الاجتماعى كما جاء بها هذا (الدين القيم) . ولنبدأ بمسألة (الترف) و (الفنى الفاحش) كظاهرتين نقيضتين لفكرة العدل الاجتماعى .

ذلك انه اذا اختفى العدل وانعدم التوازن ظهر الفنى الفاحش والترف . واذا كان القرآن الكريم قد عالج (الترف) - والفنى الفاحش بطبيعة الحال - كمسألة هدامة فى كيان أى مجتمع ، ينبثق عنها دوما مواقف سلبية رجعية ، واجرامية كافرة ، فمعنى هذا انه يريد مجتمعا متوازيا كبديل لحتمية ظهور الترف فى (حالة اجتماعية غير متوازنة) . ولقد مد القرآن تحليله للظاهرة الى أعماق النفس واملاء العلاقات الاجتماعية مادية وروحية وفكرية وأخلاقية ، وتقدم بها صعدا صوب الآفاق البعيدة والتحليلات الشاملة لكى ما يلبث أن يلقى أضواءه ويقول كلمته فى حجم الدور الذى يلعبه الترف ازاء مسيرة الحضارات ونموها وعوامل سقوطها ودمارها .

ان (الترف) ممارسة (مدمرة) سواء للجماعة كلها التى تسكت عليها وتغض عنها الطرف ، أو تغلو فى انهزاميتها فتتملق وتتقرب وتداهن ، أو للمترفين أنفسهم الذين يحمى الثراء الفاحش ، وما ينبثق عنه من ممارسة مرضية متضخمة مبالغ فيها ، بصائرهم ، ويطمس على ارواحهم ، ويسحق كل احساس أخلاقى أصيل فى نفوسهم ، ويحجب عنهم - وهذا هو الأهم والأخطر - كل رؤية حقيقية لدور الانسان فى الدنيا (موقفه فى الكون) وطبيعة العلاقات المتبادلة بين عالمى الحضور والغياب ، والمادة والروح ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والأرض والسماء . فيما اكسب الترف نفوسهم وحسهم من خشونة وثقل وغلاظة، ثقلوا فهبطوا فانقطعوا عن كل رؤية بعيدة أو ايمان جاد يتجاوز بهم عالم الحضور الى الغياب ، والمادة الى الروح ، والطبيعية الى ما وراءها والأرض الى السماء ، والعلاقات المنفعية الى **المواقع** الأخلاقية التى يتميز بها بنو آدم عن عالم النمل والنحل والحيوان . وهذا التحليل القرآنى يقف فى تضاد كامل مع الفرضية الماركسية التى تقول ان الدين لا يعدوا أن يكون جزءا من الأخلاقيات والممارسات البورجوازية .

(وقال الملأ من قومه - الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم

في الحياة الدنيا - ما هذا الا بشر مثلكم ، يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون . (١) . فهاهي كلمات الله تبين لنا البعد المتبقى والاهم لما يؤول اليه الترف : انكار النبوات والقيم الغيبية ، وكفر بها وتكذيب بقاء الآخرة ، وعدم مقدرة على استخدام مقاييس دقيقة في وزن الحوادث والدعوات والأشياء ، غير مقاييس الطعام والشراب . . ثم حكم وقتى خاطيء سريع ، بعد هذا ، يرى في أن الالتزام بأى نداء يخرج الانسان عن دائرة علاقاته المنفعية المباشرة ، ويصده عن الانغمار في الطعام والشراب ، انما هي صفقة خاسرة ، تماما وفق المنطق الذي يعتمد التجار !!

وما كان للمترفين ، حماية لمواقعهم تلك ، الا أن يحزنوا ، ويتهموا على حركة التاريخ المحتمة أن تحزن معهم وتسكن . وهم في مواجهة أية دعوة جديدة ، تدعو الانسان للتقدم خطوات الى الأمام يرفضون شعارات (السكون) و (الرجوع) الى الوراء خوفا من أن تجرفهم الدعوة بعيدا عن أماكنهم . . وفي أكثر من موضع يحدثنا القرآن عن (رجعية) هؤلاء المؤمنين : (بل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قل : أو لو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون) (٢) . وتكون الغلبة دوما لكلمة الله (فانتقمنا منهم ، فانظر كيف كان عاقبة المكذابين ؟) (٣) .

وفي آيات أخرى نقلنا القرآن الكريم ، بسرعة ، كشأنه في كثير من الأحيان ، الى يوم الحساب ليبين لنا المصير الذي سيؤول اليه المؤمنون ، وليدينهم بالجرم الكبير الذي كانوا يمارسونه دوما في مسيرة الحياة الدنيا وقال الدين استضعفوا للدين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، اذ تأمرونا أن تكفر بالله ونجعل له اندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون : وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها : انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا واولادا وما نحن بمعذبين : قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) (٤) . فكان كلمة الكفر معلقة

(٢) الزخرف ٢٢ - ٢٤ .

(١) المؤمنون ٣٣ - ٣٤ .

(٤) سبا ٢٣ - ٢٧ .

(٣) الزخرف ٢٥ .

— وقد اخلدوا بالترف الى الارض — على السنتهم !! ليس هذا فحسب ، بل انهم — وقد حملهم الترف الى مواقع السلطة — (والعلاقة الجدلية قائمة أبدا — مدا التجربة الاسلامية الاصيلة — بين الترف والسلطة ، فاما ان يقود الترف الى السلطة او ان تقود السلطة الى الترف) ، اعتمدوا مواقعهم تلك فأصدروا أوامرهم المشددة الى الجماهير والاتباع ، ثيلا ونهارا ، ان يكفروا بالله وان يجعلوا له اندادا ، ولن يكون هؤلاء الانداد المعبودون من دون الله سوى أولئك الذين نقلهم الترف الى مواقع الشرك والطغيان . كما انهم — وقد جوبهوا بالنداء الجديد — راحوا يحتمون بالأموال والأولاد معتقدين انهم بمنأى عن العذاب ، قريبا كان أم بعيدا . وهو احساس نفسى مؤكد لمن تخدعه (الكثرة) فتسوقه الى الاعتقاد بقدرته على البقاء في موقعه بمواجهة أية دعوة جديدة . ولكن هذه المقاييس النسبية الخاطئة ، تنهافت عبر حركة التاريخ الشاملة التي يسوقها الله بارادة الانسان . وتتبدى هذه الحماية الكاذبة — التي هي ليست سوى امتحان الهى موقوت — على حقيقتها !!

ومرة أخرى يعرض علينا القرآن صورا حية شاخصة لهؤلاء وهم يتخبطون في العذاب وينالون جزاء لا يعدو ان يكون من جنس عملهم نفسه (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (١) . في سموم وحميم ، وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون : اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لبعوثون ؟ أو أباؤنا الأولون ؟ قل : ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم . ثم انكم ايها الضالون المكذبون . لاكلون من شجر من تقوم . فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) (٢) .

وما اعدل الجزاء الالهى ، ان المؤمنين الذين كانوا يتنعمون في حياتهم

(١) لاحظ ان الشمال — أى اليسار — هنا ، وفى مواقع أخرى — يجيب — كرمز مقترنا بالترف ، لا العكس ، كما هو معروف !! وهكذا فان لنا ، اذا اردنا الحفاظ على اصالتنا ان تميز ، حتى على مستوى تقنيات عرضية كهذه ما دام القرآن نفسه لا يبخل علينا بها .

الدنيا بألوان الطعام والشراب ، والناس يتضورون جوعا وعطشا ، والذين كانوا يقضون ساعات الحر اللاهب في الظلال الباردة الطيبة ، والمعدمون يسحون عرقا . هاهم أولاء الآن ينزلون المكان الذى أعد لهم سلفا ، والذى توحى كل كلمة من كلماته البارة المصورة بجو الحر والاختناق (فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم) . . . ويأكلون كما تأكل الأنعام ، لأنهم فى حياتهم الدنيا ما كانوا ليفايروا الأنعام فى تهافتهم على الطعام والشراب . ولكنهم اذا كانوا هناك (يلتهمون) أطيب ما تمنحه الأرض ، فانهم هنا يملئون بطونهم بأسوا ما تطلعه الجحيم (شجر الزقوم) او (شراب الحميم) . وتختتم هذه الآيات المروعة حديثها عن مصير هؤلاء وهى تشير بـكلتا يديها : (هذا نزلهم يوم الدين) (١) .

وهذا لا يعنى أبدا (تعليق الجزاء على جريمة الترف الى يوم الحساب وتجميد الارادة البشرية عن العمل لوقف الجريمة واعادة حالة التوازن) وما جاء القرآن الكريم لينفخ روح القعود والكسل فى نفوس الناس ، ومن السداجة البالغة أن يمر هذا فى البال كمجرد خاطر ، وهو الذى تنزلت آياته تباعا لتؤكد مسؤولية الانسان الكاملة عن كل (فعل) يمارسه هو او يمارسه (الجماعة) التى ينتمى اليها ويندمج فيها وتشتبك مصائره بمصائرها . . على العكس تماما ، ان القرآن لا يكتفى بعرض المسألة من جانب واحد ، ويبين ما فى تجربة (الترف) من قبح وكفر وظلم وانكار . . وما سيؤول اليه اصحابها من مصير يوازيه بشاعة ممارستهم تلك ، يوم الحساب ، وانما ينتقل الى الجانب الآخر ، ويندد بالجماعة التى لا (تتحرك) لوقف الجريمة عند حدها ، وبالجماهير التى تنظر الى قلة من طغاتها تمارس المنكر فلا ترفع يدا ولا تنطق بكلمة . وبالناس الذين يرون رأى العين الدمار الذى يقودهم صوب النهاية المحتومة ، بسبب ما يمارس بين ظهرانهم من فساد ، فلا يتجمعون للمجابهة والاصلاح قبل فوات الأوان . . (فلولا كان من القرون - من قبلكم - اولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ، الا قليلا ممن انجينا منهم ،

واتبع الدين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون (١) .

وبلهجة السخرية يتحدث عن اولئك (الخاضعين) الذين يرتضون
موقف الدل والتبعية لطفاتهم ومترفهم (وقالوا : ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا
كبيرا) (٢) .

ويخطو القرآن الكريم خطوة اخيرة في تحليله لمسألة الترف ، لكي
يبين لنا على مستوى حركة التاريخ ، وقيام الدول والحضارات
وسقوطها - المسؤولية الثنائية المشتركة التي يمارسها طرفا المسألة :
المترفون والمعدمون ، في السير بالجماعة او الامة او الدولة او الحضارة ،
او القبيلة - التي ترد دائما كوحدة اجتماعية معينة - نحو الدمار . .
المترفون الذين يزدادون ترفا وظلما وطفيانا وفسوقا ، والمعدمون الذين
يقف بعضهم (ساكنا) ازاء الجريمة ، بينما يسعى بعضهم الآخر الى
الاسهام بالجرم وتعزيزه بتملقهم وتدلهم ومعاونتهم على الشر في شتى
مساحاته النفسية والأخلاقية والاجتماعية . ولن يكون بعد ذلك الا ان
تتخذ الإرادة الالهية - وفق سننها الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل - طبقة
المؤمنين انفسهم ، وهم في قمة السلطة ، وسيلة لاحتلال الدمار بامة او
جماعة فقدت كل مبررات وجودها واستمرارها (واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ، وكم اهلكنا
من القرون من بعد نوح ، وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) (٣) .

ثم ما يلبث القرآن ان يبين ان (عطاء الله) مفتوح للجميع وانه ليس
مقصورا على فئة دون فئة ، وليست الملكية او عذمها حتمية مقفلة ليتنعم
بها ناس ويحرم آخرون . ثم ان المسألة المادية او العطاء ، ليس في نهاية
الأمر المقياس الموضوعي الصارم لتقسيم الناس الى درجات ، انما هو

(١) هود ١١٦ - ١١٧ .

(٢) الاحزاب ٦٧ - ٦٨ .

(٣) الاسراء ١٦ - ١٧ .

الايمان الذى يناط به التفضيل الحقيقى وتنال بواسطته الدرجات الحقيقية الكبيرة عند الله . وتبقى الارزاق والأموال ، يبقى عطاء الله ، متاح الأسباب للناس جميعا ، مؤمنين وغير مؤمنين (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد : هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) (١) .

وفى مكان آخر يعرض علينا القرآن صورة لمجموعتين من الناس تقف موقفا متناقضا ازاء (عطاء الله) . المجموعة الاولى تقدر هذا العطاء المتقلب المتغير الذى لا يدوم ، حق قدره ، فتأخذ بدورها مراكز العطاء بالمقابل ، وتمنح بعض أو جل ما وهبها الله اياه قبل أن يزول هو أو تزول هى . وتتخذ من هذا العطاء سلما تسارع فى الصعود على درجاته الى الخير والحق والعدل . والمجموعة الثانية تنكر لصاحب هذا العطاء ، وتستأثر وتعطى وتتخذ سلما الى مراكز السلطة والقوة والفجور ، وحرمان الالوف ممن لا يجردون رزقهم فى مواطن الظلم والاثراء والترف والطفيان . . . لكن هذه الفئة المترفة ما تلبث أن تتلقى الصفعة عاجلا أم آجلا (والذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون . . . حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعداب اذا هم يجارون . لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون . قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامرا تهجرون) (٢) .

وتبقى سنة الله التى لا تبدل ولا تتغير تعمل عملها فى حركة التاريخ ، وتتخذ من المؤمنين اداة تسوق بها القرى والدول والجماعات والأمم نحو مصائرهما المفجعة (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين . فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون . لا تركضوا !! وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا : يا ويلنا انا كنا ظالمين) (٣) .

(١) الاسراء ١٨ - ٢١ .

(٢) المؤمنون ٦٠ - ٦٧ .

(٣) الانبياء ١١ - ١٤ .

و (الفنى الفاحش) الذى يقترب من الترف بدرجة او اخرى ، يتعرض هو الآخر لحملات القرآن الصارمة فى اكثر من موضع ، ويتلقى ضرباتها فى اكثر من زاوية . ان القرآن يحدثنا فى احدى آياته عن العلاقة المتبادلة بين الفنى والطغيان ، وكيف انه لا مفر من هذا المصير السيئ الذى يؤول اليه اصحاب الألو ف والملايين ، يحدثنا بلهجة الزجر والتصنيف (كلا !! ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) (١) . وفى آية اخرى يندد بأصحاب الفنى والجاه ، وكيف ان الله سيسوقهم بمارساتهم الخاطئة الظالمة الأنانية الطاغية التى تنبثق بالضرورة عن الفنى الفاحش ، الى الطريق المسدود حيث السقوط الذى لن تجدى أموال صاحبه واكداسه فى انقاذه منه (واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى) (٢) .

وفى آية ثالثة ينقلنا نقلته السريعة المعهودة الى يوم الحساب لنلتقى بأصحاب الملايين وذوى السلطان الذين كان الناس - يومها - يتضورون جوعا وهم متخمون ، فلم يتحركوا لاشباع جوعتهم . نلتقى بهم لكى نرى ما الذى حل بهم ، وما هو الطعام الذى سيملؤون به بطونهم الفارهة . . . هناك (واما من اوتى كتابه بشماله (٣) فيقول : يا ليتنى لم اوت كتابيه . ولم ادر ما حسابيه . ياليتها كانت القاضيه . ما اغنى عنى مالىه . هلك عنى سلطانية . خدوه ففلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعاها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون) (٤) .

وآية اخري تحملنا الى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يتلقى عتاب الله سبحانه ، اذ تصدى لأحد اغنياء مكة وطمح ان يجلبه الى حظيرة الايمان ، وأعرض عن فقير أعمى ، هرع اليه لكى ينتمى الى ندائه .

(١) الملق ٦ - ٧ .

(٢) الليل ٨ - ١١ .

(٣) انظر الهامش رقم ٥ .

(٤) الحاقة ٢٥ - ٣٧ .

ويبين له كيف أن (الذكرى) أجدى مع هؤلاء منها مع أولئك وفي أغلب الأحيان : (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى ؟ أما من استغنى فانت له تصدى . وما عليك إلا يزكى ؟) (١) وخامسة تجتاز بنا المسافات الى أواخر العصر المدنى حيث النفير العام الذى أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم (عام ٩ هـ) فى المعركة المعروفة بتبوك فتلقى مسؤولية التخلف على (الأغنياء) الذين رفضوا أن يستجيبوا للنداء (إنما السبيل على الدين يستأذنونك وهم أغنياء ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) (٢) . وآية سادسة تعرض علينا - بسخرية واستهجان - إحدى مقولات اليهود المادية ، أرباب الذهب والفضة ، وهى مقولة مضحكة حقاً ، لكن بريق الذهب وورنين الفضة يعميان ويصمان (لقد سمع الله قول الذين قالوا : ان الله فقير ونحن أغنياء !! سنكتب ما قالوا - وقتلهم الأنبياء بغير حق - ونقول : ذوقوا عذاب الحريق) (٣) .

وفى مواضع أخرى عديدة من كتاب الله تتدفق الآيات متحدة هذه المرة عن أرباب المال ، مترفين وأغنياء ، فاضحة آياهم ، منددة بهم ، ملقية قوارعها على مواقفهم الرجعية والمنفعية ازاء الدعوات الجديدة ، صافعة صلفهم وغرورهم ، ممزقة الاستار عن حماية المال والبنين التى يحتمون بها دائماً ويتوهمون أنها تخلصهم من عقاب الله ، واضعة آياهم - هذه الآيات - وجها لوجه أمام مصائرهم ، مبينة لهم ان اعتمادهم المال عليهم ليس من مصلحتهم فى معظم الأحيان (يحسبون انهم نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ، بل لا يشعرون) (٤) . (ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده . يحسب ان ماله أخذه . كلا لينبذن فى الحطمة) (٥) (ثبت يدا أبى لهب وثب . ما أغنى عنه ماله وما كسب .

(١) عبس ١ - ٧ .

(٢) التوبة ٩٣ .

(٣) آل عمران ١٨١ .

(٤) المؤمنون ٥٥ .

(٥) الهمزة ١ - ٤ .

سيصلى نارا ذات لهب (١) فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون (٢) .

ويدعو نوح في قلب المحنة (رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) (٣) .

ويدعو موسى عليه السلام بعد قرون طويلة (ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ولن تغنى عنهم اكداسهم من المال واتباعهم من الأبناء والمواشي اذا دمدم عليهم في الدنيا او جاء دورهم يوم الحساب (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) (وقالوا : نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين . قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى) (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال : لأوتين مالا وولدا . اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ؟ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) (ذرني ومن خلفت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارقه صعودا) (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) .

هنالك الحوار الشيق الذى ورد في سورة الكهف بين صاحب المزارع الواسعة وبين صديق له لا يكاد يملك شيئا ولقد انتهى الأمر بأولهما الى

(١) السد ١ - ٣ .

(٢) التوبة ٥٥ .

(٣) نوح ٢١ .

البوار فليس الفنى والثروة فى منطق الاسلام - بالشئ الأبدى الدائم كما يتصور كثير من الرأسماليين ولا بالاحتمية التى تفرضها (ظروف الانتاج) كما يتصور كثير من الماديين انما هى مسألة وقتية معرضة للزوال فى أية لحظة قد يساء فيها التصرف ، ويمارس الطفيان ازاء جماهير الناس ، والصلف والفروور ازاء ارادة الله السريعة الحاسمة التى لا تبقى ولا تذر . ومن منا لم يقرأ - كذلك - قصة (قارون) اليهودى الثرى الذى كاد الذهب يخرج من انفه واذنيه !! (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتبوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ،) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين ، قال انما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لندحظ فظيم ، وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخنسنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصروه من دون الله وما كان من المنتصرين) .

وسوء التصرف هذا ، والطفيان ازاء (جقوق) الفقراء والمعدمين هو الذى قاد الاخوة الثلاث أصحاب المزرعة الذين سموا - لا تساعها وامدادها واكتظاظها - بأصحاب الجنة !! الى البوار (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ، أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) ١٧ - ٢٤ من سورة القلم لكن ارادة الله سبقتهم فحصدتها قبل أن تحصدها الاثرة والجشع والطفيان .

وبينما تنصب الأوصاف القاسية السيئة على الفقراء والمعدمين فى المجتمعات التى يسودها الترف والطفيان فيسمون بالأوباش والأراذل والسوقة والادنياء والمتطفلين الى آخره ، ينعكس الموقف فى القرآن الكريم حيث توجه اخس الكلمات الى (أصحاب المال) المارقين ويرمون بأقسى النعوت .

هاهى احدى الآيات تتحدث عن أحدهم مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، ان كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آيتنا قال أساطير الأولين ، سنسمه على الخرطوم) (١) ولا نجد في القرآن في مقابل هذا أى نعت أو صفة قاسية تلحق بالفقراء والمعدمين ، وكل ماورد عنهم انما جاء على لسان الكفار والمترفين أنفسهم من تسمية هؤلاء بأراذل القوم ، وانهم طليعة من يتبع الأنبياء وهم يدعون اقوامهم الى الايمان (قالوا : أتؤمن لك واتبعك الأرذلون) (٢) (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادی الراى) (٣) وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه .

وكان أرباب المال هؤلاء كانوا يدركون ما وراء الدعوات الجديدة التى ينادى الأنبياء للانتماء اليها من تغيير فى العلاقات الاجتماعية واسلوب جديد فى التعامل مع (المال) فكانوا يطرحون دوما - سؤالهم الاستنكارى هذا (اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء) (٤) .

ونجيبه أخيرا الى الآية التى يحسم القرآن فيها الموقف ازاء المترفين والأغنياء وأرباب المال الذين يقفون بمواجهة (العدل) الذى جاءت الأديان لتحقيقه فى هذا العالم . الآية التى سنعود اليها مرة أخرى والتى تقودنا الى أكثر من أفق (يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٥) .

(١) القلم ١٠ - ١٦ .

(٢) الشعراء ١١١ .

(٣) هود ٢٧ .

(٤) هود ٨٧ .

(٥) التوبة ٣٤ - ٣٥ .

وفي مقابل هذه الحملة الشاملة الحاسمة الرهيبة على ظاهرتي (الترف) والفنى الفاحش في التجربة الاجتماعية ، ما الذى يقدمه القرآن الكريم عن الفقر والفقراء والمساكين والمعدمين ؟ هل هى دعوة للتبرع لهم والاحسان اليهم فحسب ؟ فإين اذن السلطة الاسلامية ؟ وهل يمنع هذا الاسلوب (الأدبى) دونما ضمانات تشريعية ، ظهور وتضخم طبقة المترفين وتحول المال الى دولة للأغنياء ؟ ما الذى دفع القرآن الكريم الى ان يعرض فى عشرات المواضع مسألة (الانفاق) على الفقراء و (الحض) على اطعامهم بكل ما يتضمنه فعل (الحض) من قوة وفاعلية لتحقيق هذا الهدف ، وهو اشباع الجائعين وسد حاجاتهم الأساسية ومن أولى من السلطة المشرعة والمنفذة بالتخطيط لهذا المطلب الحيوى الخطير وتنفيذه فى عالم الواقع بما تمتلكه من قوة وفاعلية .

صحيح أن (الانفاق) الفردى و (الصدقة) الاختيارية و (التكافل) الاجتماعى وغيرها من فاعليات العطاء التى يمارسها المسلم ازاء اخوانه تمثل جزءا أساسيا من برنامج العدل الاجتماعى فى الاسلام وتغطية مساحة واسعة من نداءات القرآن فى هذا المجال وتلعب دورا كبيرا فى احداث التوازن والانسجام والتعاون والترابط بين أفراد المجتمع المسلم وفئاته وتجتث ادران الحقد والكراهية والشر لكى تزرع بدلا منها علائق التكافل والمحبة والخير لا سيما فى الفترات التى تغيب فيها السلطة فيتعرض الفقراء والمعدمون للموت جوعا فتمتد اليهم اليد التى لا (تتبرع) و (تمن) ولكن تعطى وتواسى وتندمج وتتعاون لكى تنقذهم من هذا المصير المفجع . وأى منا لم يمارس بنفسه أو يشاهد اخوانه ورفاقه المؤمنين يحصون أموالهم سنة بسنة لكى يقطعوا منها حق السائل والمحروم ويقدموها وزيادة دونما نجبة ولا ضوضاء . ومع ذلك فلا يعدو أن يكون هذا (العطاء) على أهميته مساحة محدودة فحسب من المساحات الشاسعة لبرنامج العدل الاجتماعى الذى رسم القرآن والسنة خطوطه العريضة ونفذ الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدون رضوان الله عليهم مخططاته الفذة وبنى الفقهاء والمجتهدون على هذا وذاك مقولاتهم ونظرياتهم العجيبة المنفردة .

فى أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن الكريم ترد الدعوة لاطعام الفقراء

والمساكين وسد حاجاتهم الأساسية ، وفي أكثر من أربعين موضعا يرد التأكيد على فريضة الزكاة والصدقات وتقييم رافعيها والتنديد بما نعيها . وفي أكثر من سبعين موضعا يتردد ذكر الانفاق وتسلط عليه الأضواء من كافة زواياه ، وفي أكثر من موضع يجيء التأكيد على أن هذا العطاء ليس تبرعا ولا منة ولكنه حق للسائلين والمحرومين (وآت ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل) (١) والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (٢) وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (٣) (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (٤) . وفي آيات أخرى يرد الحض على أشباع الجائعين وسد حاجاتهم الأساسية كجزء أصيل من متطلبات الإيمان كممارسة الصلاة سواء بسواء ، وأن التوقف عن هذا (الحض) يخرج أصحابه من حظيرة الدين ويدفعهم بالكذب (أرايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون) (٥) (أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون) (٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين (٧) .

ولن يكون (الحض) ما دام قد اقترن بالإيمان وأصبح وقفة وقفا لحركة الدين نفسه لن يكون بكلمات متشابهة يقال وبين دفع بقايا الطعام الى المساكين الذين يقفون وراء الأبواب خائفين متوسلين . انما بالفعل الدائم والحركة المستمرة وبالثورة - اذا اقتضى الأمر - لتحقيق هذا

(١) الإسراء ٢٦ .

(٢) الماعون ٢٤ - ٢٥ .

(٣) الذاريات ١٩ .

(٤) الأنعام ١٤١ .

(٥) الماعون ١ - ٧ .

(٦) الحاقة ٢٣ - ٢٧ .

(٧) الفجر ١٧ - ١٨ .

المطلب الأساسى .. تماما كما أن الصلاة فعل دائم وحركة مستمرة وأنها بمجرد تحولها الى الظل والى أن تعد وممارسة جانبية تدمغ صاحبها بالنفاق .. وهذا هو الذى دفع أبا بكر الصديق رضى الله عنه الى أن يشهر السيف بوجه مانع الزكاة ويعلن (والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) . ولا يتصورن أحد أن كثرة ورود الفقراء والمساكين وإبناء السبيل فى القرآن الكريم يجرى بمشابهة تأكيد لأبدية ظاهرة (الفقر والحرمان) التى هى كما هو معروف اجتماعيا - مسألة (نسبية) لأن كثرة ورود الكفر والشرك واللات وهبل والعزى ، وواد البنات وأكل مال اليتيم ، وممارسة الربا اضعافا مضاعفة ، وشرب الخمر ولعب الميسر وعبادة الناس ، لا تحمل آية دلالة على ابديتها !! ثم أن القرآن الكريم لا يمكن أن يناقض نفسه فيدعو الى (تأييد) ظاهرة يشن هو نفسه الحملة عليها ، ويصل بها فى إحدى آياته الى أن يربطها بالشيطان وبما يأمر به ويدعو اليه من الفحشاء (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء) (١) .

وثمة آيات أخرى تصل بنا الى آفاق أبعد فى مسألة التوازن الاجتماعى : الآية التى تطلب من المسلمين دولة وجماعة أن (يتحركوا) مقاتلين مجاهدين لانقاذ المستضعفين من أيدي ظالمين وجلادين وتعطى الإشارة الى أن (السيف) هو الحكم الأخير عندما تعجز كل الأساليب الأخرى من وقف الظلم وتخليص البائسين . وأن الجهاد - تلك الثورة المسلحة - هى الحركة التى تنقل المقاتل المسلم الى كل ميدان يمارس فيه الظلم ضد الانسان. أيا كان شكل هذا الظلم وأيا كانت دوافعه (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (٢) .

وهذه الآية التى يطرحها القرآن ليتحرك المسلمون على ضوئها على المستوى الجماعى تقابلها آية أخرى تدعوهم الى أن يتحركوا على المستوى

(١) البقرة ٢٦٨ .

(٢) النساء ٧٥ .

الفردى كذلك وأن يقتحموا العقبة هكذا ، بكل ما يتضمنه (فعل)
الاقتحام من قوة وعنف وإرادة لا بد منها جميعا لاجتياز الحاجز (وما أدراك
ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا
ذا متربة) (١) تحرير المستعبدين واطعام الجائعين ذلك هو الهدف الذى
يقتحم المؤمن من أجله الحواجز بقوة وعنف وحزم وإرادة !! .

والآية التى تطرح نفسها كسؤال خطير أمام الرسول صلى الله عليه
وسلم وأمام أى مشرع مسلم يجيىء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم
(ويسألونك ماذا ينفقون) ويجيىء الجواب الدائم غير الموقوت بينا صريحا
(قل العفو) والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة ونتذكر هذا المبدأ
الخطير فى التسوية الاجتماعية عندما نستمع الى إحدى كلمات الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا بأس من أن نورد هاهنا (من كان معه فضل
ظهر فليعده به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعده به على من
لا زاد له) ويقول شهود العيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من
أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .

وهناك الآية التى تأمر المسلمين دولة ومشرا وجماعة ألا يسمحوا
لأموالهم التى لكل فئة منهم حق معلوم فيها والتى جعلها الله لهم سببا من
أسباب البقاء والنماء أن تذهب الى (السفهاء) بهذا التعبير الصريح فى
تنديده (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) والآيات
التي تقطع الطريق على أية محاولة لطمس حقوق الناس فى أموالهم لكى
يزداد أصحاب السلطة والواجدون غنى والفقراء والمعدمون فقرا وتسمى
هذه المحاولة التى يمكن أن تتم بألف أسلوب - بالاثم والعدوان والظلم
والاجرام أكثر من ذلك نسماها بقتل النفس . وليس كفقدان العدل
الاجتماعى معولا ينزل على بنية المجتمعات فيفتتها ويدمرها ويمحوها
(ولا تأكلوا أموالكم بينكم وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال
الناس بالاثم وأنتم تعلمون) (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) (يا أيها الذين
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم
ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيمًا ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) .

(١) البلد : ١٢ - ١٦ .

والآية التى تصيب حمما من نار على طبقة (رجال الدين) من
الأحبار (والرهبان) الذين اشتروا بعقيدتهم ثمنا قليلا وراحوا يدجلون
على الناس باسم الدين ليأكلوا بأموالهم ويضخموا بها حجم كنوزهم من
الذهب والفضة وكان القرآن الكريم يفتح أعين المسلمين جيدا ويستفز
وعيمهم الدائم كى لا يتيحوا لظاهرة هدامة كهذه ان تبرز فى مجتمعهم وبين
ظهرانيتهم مهما كانت على درجة من الضالة والخفاء ، ويندد بكل من تحدثه
نفسه بممارسة الأسلوب الذى مارسه الاحبار والرهبان طويلا . وهذا
- وغيره من الأسباب - يفسر لنا انعدام ظهور المرتزقة بالدين فى تاريخنا
وظهور نقيض هذا تماما : رجال الفكر الاسلامى وهم اشد الناس فقرا
وتواضعا واندماجا فى حياة الناس العاديين ورفضا لمواقع السلطة وانكارا
لاغراء الذهب والفضة ليس هذا فحسب بل ان القرآن يوجه تحذيره
الرهيب الى المسلمين انفسهم الا يكتنزوا الذهب والفضة وان ينفقوها فى
سبيل الله ، وانه بدون هذا وذلك فسوف تنقلب عليهم وبالا يوم الحساب .
واى مترف او غنى تستحيل حياته الى تكديس للمال ، والناس يتضورون
جوعا دون ان يتحرك بأمواله لوقف ظاهرة الجوع والحرمان فان له ان
يتصور هذا الخطاب موجه اليه وانه غريب عن المجتمع الاسلامى الذى
ينتمى اليه بل انه مارق عن حكمه واهدافه ، (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل
الله والذين يكتنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فلدوقوا ما كنتم تكتنزون) (١) وترى
كثيرا منهم - اى اليهود - يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت
لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاتهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) (٢) .

(١) التوبة ٣٤ - ٣٥ .

(٢) المائدة ٦٢ - ٦٣ .

وفي آيات أخرى من سورة الفجر يتكرر هذا التنديد بجمع المال واكل التراث ، ويرتبط عفويا بعدم اكرام اليتامى والحض على اطعام الفقراء ، مبتدا بكلمة الزجر القرآنية العنيفة كلا (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما) (١) ونحن لا نستطيع الا ان نلاحظ السمة الجماعية المشتركة في فعل (تحاضون) والمفهوم الحركي الكامل في صيغته المبالغة .

والآيات الكثيرة التي تأمر بربط (الاشباع) (الاعتدال) والتقوى والعمل الايجابى الصالح وتنهى عن الاسراف والطفیان والفساد فى الأرض ، واتباع خطوات الشيطان تعمق فى اذهان المسلم العارف والمشرع وتحذرهما فى الوقت نفسه من حتمية هذه العلاقة المتقابلة بين عدم تنظيم الاشباع وبين كل ما يتمخض عنه ظلم (اجتماعى) يتمثل بالاسراف والطفیان والفساد فى الأرض . وليس ثمة مجتمع تتحكم فيه قلة من الدين يملكون بكثرة من الدين لا يملكون وتتخم فيه بطون معدودة وتتضور الملايين يخلوا من سمات الاسراف والطفیان والفساد فى الأرض ، ذلك (الافساد) الذى يتلبس وسط هذا التناقض الاجتماعى الغريب ويتخذ - وقد اختفى التوازن - الف وسيلة لدعم المجتمع وعرقلة الحركة الحضارية ووضع العراقيل فى طريقها (ياايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) (٢) (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) (٣) (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) (٤) (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله) (٥) و (ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) (٦) و (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) (٧) .

(١) الفجر ١٧ - ٢٠ .

(٢) البقرة ١٦٨ .

(٣) البقرة ٦٠ .

(٤) الانعام ١٤٢ .

(٥) الانفال ٦٦ .

(٦) المؤمنون ٥١ .

(٧) طه ٨١ .

والآية التى تبين للناس جميعا أن الأرض قد ذلت لهم بإرادة الله سبحانه وتدعوهم الى أن يتحركوا فى امدائها (وياكلوا) من رزقها ولا معذر بعدها لجائع قاعد لا يجهد ومسحوق لا يتحرك (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها واكلوا من رزقه) (١) والآية التى تقرر مأساة الجوع بكارثة الخوف وتبين لهم كم هى عظيمة المنة التى يمنها الله على الناس عندما ييسر لهم سبل الشبع والأمن (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (٢) .

والآيات التى تأمر المسلمين بأن يتجاوزوا اخطاءهم ويكفروا عنها باعتبارها اعمالا سالبة وذلك بتقديم ما يقابلها ويعوض عنها من عطاء باعتباره عملا ايجابيا يمنح المجتمع ما خسره بممارسة الأخطاء . وای فعل اولى بهذا العطاء من اطعام الجائعين وتحرير المستعبدين (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون به اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام) (٣) (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) (٤) .

والآية التى تبين أن طبيعة الحياة الدنيا وفلسفتها العملية تقوم على (التفاضل) بين الناس فى الرزق وأن حكمة الله سبحانه هى التى قادت الى هذا انسجاما مع طاقات الناس وقدراتهم واهتماماتهم وحرصهم ومدى تحملهم للمسئولية ومقدار يقظة ضميرهم ، وتمشيا مع متطلبات التطوير والتنوع والتغاير فى مسيرة الحضارات البشرية فى كل زمان ومكان ورفضاً للمنطق المثالى الذى يتخيل الناس وقد تساووا فى ارزاقهم (مطلق) التساوى ذلك المنطق اللاواقعى الذى قدمت لنا التجربة المادية ارتطامه الصريح فى ميدان التنفيذ وفى مدى العلاقات الفعلية فى المجتمع الا أن آية كهذه وهى لبنة من لبنات كتاب الله المعجز لا تقف عند حد تسليط الضوء على هذا الجانب الواقعى من الصورة الاجتماعية فهى فى شقها القريب

(١) الملك ١٥ .

(٢) قريش ٤ .

(٣) المائدة ٨٦ .

(٤) المائدة ٩٥ .

الثاقب سرعان ما تبين أن المال الذى هو فى أساسه ملك للناس جميعا يلغى أى تصور قد يدور فى أذهان الذين يملكون كثيرا من أنهم وحدهم أصحاب الحق فى هذا المال ، لأن الطرفين فيه سواء ، هكذا بهذه الصراحة القرآنية المعهودة ، وأن أى غبن قد يعترى هذه الحقيقة إنما هو وجود بنعمة الله (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون) (١) .

ويعود القرآن الكريم لي طرح مرة أخرى وهو يتكلم عن تهيئة الأرض لاستقبال الحياة البشرية فى فجر التاريخ الجيولوجى البعيد مسألة المساوى بين الناس فى (القوت) الذى منحه الله لهم جميعا (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين) (٢) . ليس هذا فحسب بل أن القرآن الكريم ينمى على الكفار تصورهم الساذج أن الله سبحانه ما دام قد كتب (الجوع) على طائفة من الناس فإنه ليس بمقدور واحد من خلقه أن يطعمها !! بهذه السذاجة التى كثيرا ما دارت فى أذهان القانعين والزاهدين ، وتمنح فى المقابل مبررا مضحكا ولكن ذو فوائد. جملة للمالكين الذين لا يبدلون أى جهد فى انقاذ الدين لا يملكون فما دام الله هو الذى أجاعهم فليس بمقدور واحد من خلقه أن يشبعهم (وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعموه من لو يشاء الله اطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين) (٣) .

وهذا ينقلنا الى مسألة ذات أهمية بالغة فى قضية (العدل الاجتماعى) أن لم تكن محورها الأساسى وعمودها الفقرى ، تلك هى قضية اشباع حاجة الانسان الأساسية الا وهى (الطعام) ونحن نستطيع ان نميز بين المذاهب التى أعارت هذا الجانب الحيوى اهتماما بدرجة او بأخرى ، وتلك التى لم تكثر له البتة ، وظلت معلقة فى سماءاتها وأخيلتها ومثالياتها بمجرد أن تلقى نظرة سريعة على عدد المرات التى وردت فيها المفردات ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بالموضوع من أكل ورزق وطعام وشراب والمناخ الذى وردت فيه وليس لباحث جاد يقرأ كتب عدد

(١) النحل ٧١ .

(٢) فصلت ١٠ .

(٣) س ٤٧ .

من الفلاسفة والمفكرين كجمهورية أفلاطون ويوتوبيا توماس مور ومدينة
أوغسطين المقدسة ومدينة الفارابي الفاضلة ولا يرى فيها الا اهتماما عابرا
بمسألة الأكل والطعام والرزق والشراب ، ثم لا يحكم عليها بأنها لا تولى
اهتماما مصرياً حاسماً لأشباع إحدى أهم حاجات الإنسان الأساسية .
وليس لباحث جاد كذلك ان يقرأ كتاب الله ويلتقى بعشرات بل مئات
المواضع التي وردت فيها مفردات هذه المسألة الا أن يستنتج أن الاسلام
جاء لكي يضع هذه المسألة الحيوية في مقدمة برامجه التغييرية ، ويوليها
اهتماماً مصرياً حاسماً !!

في حوالي مائة موضع في القرآن ترد كلمة (الأكل) بتصريفاتها
المختلفة ، وفي حوالي خمسين موضعاً ترد كلمة (طعام) بتصريفاتها
المختلفة ، وفي حوالي ثلاثين موضعاً ترد كلمة (شراب) بتصريفاتها المختلفة
وفي حوالي مائة وعشرين موضعاً ترد كلمة (الرزق) بتصريفاتها المختلفة
ليس هذا فحسب ، بل أن (المناخ) الذي كانت هذه الكلمات ترد فيه في
كثير من الأحيان ، والأرضية التي تحركت عليها عبر الآيات والسور تبين
لنا بوضوح كامل ووفق أساليب القرآن اللغوية والبلاغية ، مدى الأهمية
المولدة لهذه المسألة الحيوية التي هي من أشد المسائل أهمية في تاريخ
الإنسان . هذا في الوقت الذي نجد فيه (مناخات) و (أراضي) كلمات ،
الطعام والشراب والأكل في عدد من المذاهب والأديان الأخرى المحرفة
تفيح بروائح الاحتقار والرفض والدنس والاشمئزاز . ولكن أنى لهؤلاء
أن يهربوا من صيحات أجوافهم الجائعة التي لو ألقت حصى وأحجاراً
لطحننتها .

ومن ثم كان التناقض المحزن الذي عرفه التاريخ مراراً : أن يأكل
هؤلاء ويشبعوا ويتجاوزوا الشبع الى التخمّة ويتجاوزوا التخمّة الى
التكديس بينما أتباعهم وعبدتهم يتضورون جوعاً وهذه الفرضية المحزنة
بالنسبة لأصحاب المذاهب (المتطهرة) والأديان الروحية (والمحرفة)
وبعض الحركات الصحفية المتطرفة والتي استهجنّت الحديث عن الطعام
والشراب انعكست تماماً في القرنين الأخيرين وبشكل أشدّ إبلاماً ، في
المذاهب المادية التي رأت في المعدة بدء حياة بني آدم ومبنيهاً ورفعت

مسألة الطعام والشراب الى مصاف القداسة فاذا بعدد من الناس يأكلون فيشبعون فيتخمون فيترفون فيكدسون ، واذا بالجماهير الساحقة من الناس تكدح وتتصبب عرقا وتموت مسغبة جوعا ، لكى تقدم لسدنة (الحرم المقدس) الجدد الأضحيات والقرايين !! .

المهم ان الاسلام هذا الدين (الوسط) أولى هذه الحاجة الحيوية كما أولى الحاجة الجنسية تماما ، اهتمامه الجاد الكبير ، وهذا امر طبيعى تماما لان الله سبحانه الذى خلق الانسان وصاغ وظائفه العضوية وقدر حاجاته الأساسية أدرى بمتطلبات هذه الحاجات وضرورة تلبية نداءاتها الأبدية المستمرة وأعلم بطبائع الانسان التى ان لم تنسق وتنظم وترتب ضماناتها فانها سوف تدمر نفسها بالاثرة والاسراف بينما يموت الآخرون جوعا أو تقتلها بالحجب والكبت والحرمان ، فتشد بهذا عن منطق التكوين البيولوجى للانسان .

واهتمام القرآن الكريم بالمسألة التى تحت ايدينا يتبدىء اول ما يتبدىء - كما قلنا - فى هذا العدد الكبير من المواضع التى وردت فيها مفردات المسألة وعباراتها ، وفى المناخ والأرضية التى تحركت عليها هذه العبارات والمفردات وتنفست !! واليكم - بعد ذلك - نماذج محدودة فحسب من هذا العرض القرآنى لمسألة الأكل والطعام والشراب .

الأكل : (ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعلمون) (١) أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون) (٢) . (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا مما فى بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتكم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً

(١) المائدة ٦٥ - ٦٦ .

(٢) السجدة ٢٧ .

أو أشتاتا (١) والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (٢)
 (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (٣) ولكم فيها منافع كثيرة ومنها
 تأكلون (٤) (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) (٥)
 (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) (٦) (ليأكلوا من
 ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (٧) (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها
 وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (٨) .

(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ؟
 وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب
 أفلا يشكرون) (٩) (اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا) (١٠) (وانزلنا
 عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) (١١) (واذا قلنا ادخلوا هذه
 القرية فكلوا منها حيث شئتم) (١٢) (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في
 الأرض) (١٣) (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات
 الشيطان انه لكم عدو مبين) (١٤) (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
 ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) (١٥) (يابنى آدم خذوا زينتكم

(١) النور ٦١ .

(٢) النحل ٥ .

(٣) المؤمنون ١٩ .

(٤) المؤمنون ٢١ .

(٥) فاطر ١٢ .

(٦) طه ٧٨ .

(٧) يس ٣٥ .

(٨) يس ٢٣ .

(٩) يس ٧١ - ٧٣ .

(١٠) البقرة ٣٥ .

(١١) البقرة ٥٧ .

(١٢) البقرة ٥٨ .

(١٣) البقرة ٦٠ .

(١٤) البقرة ١٦٨ .

(١٥) البقرة ١٧٢ .

عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (١) (كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى) (٢) (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) (٣) (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) (٤) .

الطعام : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) (٥) (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ..) (٦) (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء ..) (٧) (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين) (٨) .

(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) (٩) (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (١٠) .

(الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقئ) (١١) (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه) (١٢) (وطعام

(١) الامراف ٣١ - ٣٢ .

(٢) طه ٥٤ .

(٣) الحج ٢٨ .

(٤) الملك ١٥ .

(٥) المائدة ٩٣ .

(٦) الانعام ١٤٥ .

(٧) الأنعام ١٣٨ .

(٨) يس ٤٧ .

(٩) الانسان ٨ - ٩ .

(١٠) قريش ٤ .

(١١) الشعراء ٧٧ - ٧٨ .

(١٢) آل عمران ٩٣ .

الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (١) (وما أرسلنا قبلك
من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام) (٢) (أحل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم وللسيارة) (٣) (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا .
وحداثق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم) (٤) .

الشراب :

(أفرايتم الماء الذى تشربون . انتم أنزلتموه من المزن ام نحن
المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) (٥) (وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (٦) (فكلوا واشربوا
وقرى عينا) (٧) (نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين) (٨) (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر
فيه تسيمون) (٩) .

(يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك
آية لقوم يتفكرون) (١٠) (أركض برجلك هذا مفتسل بارد وشراب) (١١)
(وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) (١٢)
(ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) (١٣) .

(١) المائدة ٥ .

(٢) الفرقان ٢٠ .

(٣) المائدة ٩٦ .

(٤) هبى ٢٤ - ٢٢ .

(٥) الواقعة ٦٨ - ٧٠ .

(٦) البقرة ١٨٧ .

(٧) مريم ٢٦ .

(٨) النحل ٦٦ .

(٩) النحل ١٠ .

(١٠) النحل ٦٩ .

(١١) من ٤٢ .

(١٢) فاطر ١٢ .

(١٣) يس ٧٣ .

يتقدم بنا القرآن الكريم خطوات واسعة أخرى في ميدان (العدل الاجتماعي) واضعا في كل خطوة يخطوها آية يطرحها معلما من معالم هذا الميدان ومبدأ من مبادئه الأساسية التي تقوم عليها جزئيات التنفيذ ويوميته المتغيرة المتحولة الا ان القاعدة تبقى دوما هي القاعدة . . يتقدم بنا صوب حقيقة أخرى لا تقل عن سابقتها ان لم تفقها على الاطلاق تلك هي ان الناس خلفاء الله في أرضه وان اموالهم ليست في (ملكيتهم) ابتداء انما هي (مال الله) استخلفهم فيه لينظر ماذا يصنعون به وفي أي الوجوه يسخرون قيمته ويعتمدون (منفعتهم) بارادتهم الخاصة وحریتهم التي منحهم الله اياها تمييزا لهم عن كثير من خلائقه ومعنى هذا ان بني آدم جميعا يملكون حقهم المشروع في هذا المال وان (وكالته) او (تفويضه الاجتماعي) الوقت ليس ابديا لاية فئة من الناس لا تمس شروط توظيفها عليه ، ولا تعدل في تصريف قيمه ومنافعه (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (١) (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) (٢) .

والقرآن الكريم يربط هذا (الموقف) الاجتماعي بنظريته الشاملة عن دور الانسان في الأرض ، ذلك الدور الذي يقوم في أساسه على (خلافته) عن الله في هذا العالم (واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها . .) (٣) (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) (٤) (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) (٥) (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره) (٦) .

ومسألة استخلاف الناس في الاموال وفي ملكيتهم له ابتداء ، تزداد وضوحا وتأكيدا بمجرد ان نلقى نظرة سريعة على المواضع التي وردت فيها كلمة (رزق) في القرآن بتصرفاتها المختلفة ففي جل تلك المواضع البالغة

(١) الحديد ٧ .

(٢) النور ٣٣ .

(٣) البقرة ٣٠ .

(٤) الانعام ١٦٤ .

(٥) يونس ١٤ .

(٦) فاطر ٢٦ .

حوالى المائة والعشرين موضعا يرد فصل (الرزق) مرتبطا بمصدره الحقيقى ومالكة الأول والآخر : الله سبحانه وفى معظمها ترد الدعوة الموجهة للانسان بأن ينفق ويعطى من رزق الله هذا وان عليه أن يتذكر دوما أن هذا المال ليس ماله وانما هو مال الله وبدون هذا الانفاق والعناء فانه سوف يقدم الاشارة على أنه - فردا أم جماعة - غير مستحق هذا المال : (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه) (١) (انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) (٢) (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت) (٣) (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٤) (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) (٥) (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (٦) (ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) (٧) (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض) (٨) (أمن هذا الذى يرزقكم أن أمسك رزقه) (٩) (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) (١٠) (له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (١١) (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) (١٢) .

(١) يس ٤٧ .

(٢) البقرة ٢٥٤ .

(٣) المنافقون ١٠ .

(٤) البقرة ٣ .

(٥) ابراهيم ٣١ .

(٦) الشورى ٣٧ .

(٧) الانعام ١٥١ .

(٨) النمل ٦٤ .

(٩) الملك ٢١ .

(١٠) الشورى ٢٧ .

(١١) التورى ١٢ .

(١٢) المنكوت ١٧ .

(وفي السماء رزقكم وما توعدون) (١) (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) (٢) وكأى من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم) (٣) .

وما كان لنا ان نغادر كتاب الله قبل ان نقف قليلا عند آيات (الحشر) الحاسمة في هذا المجال ، الآيات التى تحمل دعوة الله الصريحة الى رسول الله والمؤمنين ان (ينظّموا) مسألة (توزيع المال) بشكل لا يقود الى حصره في يد القلة وحجبه عن الكثرة الساحقة وهذا امر طبيعى تماما ما دام القرآن قد حدثنا - كما رأينا - عن الصورة الكالحة القائمة للمجتمع الذى تكون كلمته الاولى والاخيرة للمترفين (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) (٤) .

ان كلمات الله سبحانه في هذه الآيات من سورة الحشر وهى تأمر بتوزيع الفىء على كافة الفئات (المحتاجة) في المجتمع الاسلامى الوليد ، تقدم برنامج (عدل اجتماعى) سار على هديه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم وان عبارة (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) هى غاية ما يمكن ان يطرح - في مجال كهذا - امام المشرع الاسلامى .

(١) الداريات ٢٢ .

(٢) ص ٥٤ .

(٣) المنكوت ٦٠ .

(٤) الحشر ٧ - ١٠ .

حوار

الفكرة الأخلاقية بين القانون والشرعية الإسلامية

د . مصطفى كمال وصفى

ان منشأ التساؤلات التى اُكتنفت مقال : القانون والأخلاق للصديق العزيز الدكتور جمال عطية ، ومقارنة منهج القانون فى ذلك بمنهج الشريعة الإسلامية ، انما يعود الى اختلاف الفكرة الأخلاقية فى النظامين .. فالأخلاق فى القانون هى أخلاق وضعية .. أما فى الإسلام فهى أخلاق سماوية وهنا نقرر - وربما لأول مرة - أن الوضعية ليست فى التشريعات فقط ، ولكن كذا فى النظم الحضارية : أى فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغير ذلك ..

هذه الفكرة اعتقد أنها طريفة .. لأنى لم أقرأها من قبل ولكنها حقيقية فيما أرى .

فهناك نظام وضعى أخلاقى ونظام وضعى ثقافى ونظام وضعى تربوى ونظام وضعى اجتماعى (يعنى على مستوى مختلف العلاقات الاجتماعية) ونظام وضعى اقتصادى أو سياسى أو غير ذلك وهذه النظم تختلف تماماً عن النظام السماوى لكل أمر من هذه الأمور ..

* نائب رئيس مجلس الدولة المصرى .

ولذلك فهناك نظام وضعى قانونى ونظام وضعى اخلاقى .
وأما الشريعة فليس فيها الا نظام سماوى واحد : نظام قانونى اخلاقى
ثقافى تربوى اجتماعى اقتصادى سياسى ... واحد فقط كما أن الله
سبحانه وتعالى واحد والحق واحد .

وقد أعجبنى تصوير دوفرجييه للنظم .
ودوفرجييه هذا هو رائد دراسات النظم الدستورية فى هذا العصر
وسلطانه الأوجد الجالس على أعلى مقعد لهذا الفن بالسوربون بباريس ..
فهو يصور الحياة القانونية على أن القائمين بها كالممثلين الذين
يلبسون الشخصيات الروائية ..

يعنى مثلا من يلبس شخصية من تلك الشخصيات الثابتة التى
نراها فى روايات عديدة باسمه .. مثلا كارسين لوبين .. عشرات الروايات
بل مئات بطلها هذا اللص الظريف ، حتى صار نمطا عاما من الشخصيات ..
كش كش بك زمان ... بلياتشو ... سكاراموش ... شارلى شابلن ..
هكذا .. يجده بطلا واحدا لما لا يحصى من القصص ! ...

وهكذا ، فان « المدير » او « الوزير » او « الصراف » او « الخفير »
فى كل مكان وكل زمان هو هو .. شخصية - نقول هنا قانونية - او
مركز قانونى رسم له المؤلف جملة واجبات وجملة امتيازات وهو يضع
السيناريو العام فى التشريع الذى يسمح لهذه الشخصيات أن تقوم
بدورها .

هذا التصوير الفكاهى حقيقى ..
فانك وانت جالس فى منزلك فى حالة طبيعية تماما . ولكنك اذا
تأهبت للذهاب للعمل فانك تلبس عدة الشغل ، وهى عبارة عن مكياج من
التكلف فى نظراتك وخطواتك والفاظك وتصير فجأة ممثلا تقمص شخصية
يؤديها على مسرح الحياة العامة القانونية ..

كل شخصية من هذه الشخصيات التمثيلية لها مطالب .
المدير يريد من العامل أن يشتغل والعامل يريد أن يتهرب ..
فالمدير يقتضى المتطلبات التى يستلزمها دوره بطريقة تناسب
شخصيته الحقيقية وظروفه ..
وكذا العامل .. يقتضى ما يريده من عدم ارهاق نفسه وعدم تحمل
المسئولية بطريقة تناسبه أيضا ..

بعض الناس يقتضى احتياجاته عادة بالحيلة أو بالتسول أو بالعنف أو بالاحراج . بعضهم يعيش حياته كلاعب الشطرنج الذى يضع خصمه فى المواقف الحتمية ، التى لا مفر منها .. وهكذا يؤدى المدير والعامل دورهما على خشبة مسرح الحياة القانونية بوسائل الاقتضاء التى تناسبهم .

هذه زاوية هامة للمسألة : وهى زاوية عندما تحكم الأخلاق على القانون : فهنا ليس القانون وحده هو الذى يحكم على الأفراد ويصرف علاقاتهم ، بل اخلاق الشخصية التمثيلية التى تتولى التصرف وتمارس الولاية هى التى تحكم على المساكين من عباد الله باسم القانون .

فانه اذا كان المدير ممن يقتضى اموره بالتسول عادة ، وكان العامل ممن يقتضى اموره بطريقة لاعب الشطرنج الذى يحدد المواقف ، فان التمثيلية تكون مضحكة للغاية ومسلية جدا للمتفرجين .. ولو انها - من الناحية الخلقية - تكون مأساة مثيرة للأحزان ومدررة للدموع .
وهناك زاوية اخرى للمسألة ..

فكما ان هناك « ممثلون » بطبيعتهم فى حياتهم الخاصة .. يمارسون حياتهم مع الناس تمثيل فى تمثيل .. هناك ايضا هذه الفرقة التمثيلية التى يشكلها الهواة والمحترفون وتتخذ التمثيل فى صورة رسمية مخصصة ..

ونحن ايضا فى القانون عندنا هذه الجوقات التى تقوم بتقديم الحفلات واحياء الليالى ونحو ذلك .

وهذا التمثيل الجماعى يتم فيما نسميه بالتنظيمات institutions والتشكيلات organisations ويقول دوفرجيه ان التنظيمات تطلق غالبا على الجماعات الرسمية ، واما التشكيلات فتطلق على الجماعات الشعبية .. لجماعات الضغط والخلايا ونحو ذلك .

وهذه الفرق كلها تعمل تحت نمط حضارى عام هو المنهج أو الطريقة systeme التى تقتضى بها الجماعة كلها (كمجموع) احتياجاتها بالطريقة التى تكونت بها مقوماتها الثقافية ..

والجماعة فى ذلك تقوم كلها بدور مسرحى عام ايضا تؤديه جميعها

على مسرح الحياة . . ثم توجد التنظيمات والتشكيلات كمناهج فرعية sosus-systeme تؤدي مقطوعات من ذات الدور العام الذى تؤديه البلاد

كلها . وبطريقة الاقتضاء العام وكيفية الحصول على المطالب والاحتياجات التى تعتبر الطابع الاجتماعى العام . وهناك أيضا بلاد متسولة وبلاد تمارس البلطجة boy-cott وبلاد تتصف بالحيلة والدهاء والمراوغة والتهرب .

وهكذا ، ففي هذه البلاد نجد أن جوقات التنظيمات ، institutions والتشكيلات organisations تؤدي مقطوعاتها التمثيلية والغنائية وأدوار الرقص التوقيعى والطبل ونحوه مما يلزم لأداء المنهج العام el systeme للنظام كله بذات الطريقة وعلى ذات الأصول والمبادئ التى تحكم البلاد كلها . ولضبط فهم هذا التصوير الرائع نحيل الى كتابه المذكور : الجزء الأول صفحة ٨ وما بعدها .

Maurice Duverger : Institutions politiques et droit constitutionnel
(collection themis - paris 1975)

والزاوية الأخيرة لهذا الموضوع هى عندما يحكم القانون على الاخلاق . .
ويذكرنا ذلك بمثل قديم : وهو أن رجلا سأل مفتيا فقال له ان حائطنا بال عليه الكلب . فقال له المفتى تهدم وتقام سبع مرات . فقال الرجل :
انها الحائط الذى بيننا وبينك ؟ فقال له : قليل من الماء يظهرها .

وهذا القول يتضمن استهجانا واحتجاجا على القاضى الذى يحكم فى القضية بضميره الخاص ومقاييسه الشخصية على وجه يخالف الضمير العام والمقاييس الاجتماعية .

بمعنى أنه يتطلب من القاضى أن يضع نفسه موضع المحكوم عليه ، وأن يصدر الحكم وكأنما يصدره ضد نفسه .

ومن هنا نشعر أن العلاقة بين القانون والأخلاق يجب أن تكون موضوعية واجتماعية وعامة وشاملة .

وهذا الأمر لا يتأتى فيما شميناه من قبل بالأخلاق الوضعية . أى المعايير الخلقية التى هى من صنع البشر .

فالنظرة غير الخلقية لأمر من الأمور : هى النظرة التى تحط من قدر الانسان فى نظر الناس ، وتنسبه فى نظرهم الى الدناءة وتوجب احتقارهم له . وذلك كالأفعال الماسة بالنزاهة والشرف .

والأصل أن الأمور التي توجب هذه النظرة : هي التي تجعل الانسان يضع المادة فوق المعنى .

فالمصطلح عليه أن الانسان الذي يضع المادة فوق المعنى هو انسان حقير . وذلك كالذى يضحي بالوطنية أو الأخوة أو الشرف في سبيل المال أو في سبيل المتعة أو نحو ذلك وعلى العكس فإن الانسان يوصف بالنبل اذا وضع المعنى فوق المادة وهنا يوجد تقديره وتشريعه .

وبذلك فالأصل أن النظرة الخلقية تقوم على المقارنة بين المادة والمعنى .

ولكن هذه المقارنة تتغير عناصرها على مر الأيام . وذلك لأن بعض المعنويات قابلة للمبادلة للمال ، وذلك كحقوق التأليف مثلا ، وعلاقات العمل ، وهو في الأصل أغلى من التقويم المادى بل والعلاقات العاطفية أيضا ، اذ يمكن تقويمها بطريقة مشروعة بتكاليف الزواج . وهكذا ، فإن المعايير الخلقية قد تختلف من وقت لآخر لهذا السبب .

وكذلك فإن ارتفاع الطلب على المادة في وقت من الاوقات قد يؤدي الى التأثير في التناسب بينها وبين المعنويات ، اى في المعايير الخلقية . وهذا كله الى جانب الامراض الاجتماعية التي قد يصاب بها المجتمع فينحرف بسببها وراء المادة ، أو وراء الهوى وبذلك تختلف المعايير الخلقية من وقت لآخر بسبب هذا الاختلال .

والأصل بطبيعة الحال أن القانون لا يقن شيئا يراه المجتمع غير خلقى ، بل هو يضيف الصحة والاباحة على ما يراه مطابقا للأخلاق في وقته . ولا يمكن في الأصل أن يضيفهما على أمر لا يراه المجتمع خلقيا . فان تقنين الرذيلة أمر مستحيل .

ولكن يحدث ان يقع المشرع في خطأ تشريعى كاقتراس نظام اجنبى كما هو وتطبيقه في مجتمع لايعترف بالأوضاع التي استوردتها المشرع . وذلك كما هو الحال عندنا في أمور كثيرة اقتبست من مجتمعات ذات تقاليد مغايرة تماما لأصولنا . ومن هنا كانت الأخلاق الوضعية عرضة لغدم المشروعية الواقعية ، بمعنى : أن الشيء يكون مباحا في القانون ولكنه دنىء في أنظار الناس . وذلك

مثلا : كزنا المرأة المكلفة الرشيدة غير المتزوجة برضاها فهو امر لا يعاقب عليه القانون في فرنسا ، لأنه حرية مطلقة عندنا . ولكنه لو اقتبس في بعض البلاد الاسلامية صار وصمة اجتماعية ، وصارت حماية السلطات العامة لهذا الوضع عارا قوميا بلا أدنى شك .

وأخيرا فان الأخلاق الوضعية - في الواقع - هي من صنع الطبقة القادرة المتحركة في وقت من الأوقات . وهذه الطبقة هي التي تملك زمام المصالح الاجتماعية وابتعاد فرص التكسب امام الناس . وعلى الذين يرغبون في الحصول على (فرص الكسب) أن يكونوا محل رضا هذه الطبقة القادرة والا فانهم يعجزون اقتصاديا عن الحياة الكافية وسياسيا عن الحياة الآمنة واجتماعيا عن اجتناء الاحترام والتقدير الواجب واللازم لعلاقات المصاهرة وعضويات المحافل الشعبية ونحو ذلك .

ولقد قال الماركسيون : ان الاداة الرأسمالية صاغت معايير للخلق توافق الاستغلال ، انتصارا لهذه الطبقة في صراعها مع الكادحين . ولذلك فقد أعلنوا سقوط الأخلاق بمعاييرها التي كانت سائدة قبل الثورة البلشفية ، والتي كانت تحكم على الشخص بحسن الخلق متى كان طيعا مواليا متفانيا في اتيحة فرص استغلاله . ووضعوا دستورا خلقيا جديدا - أحسب عام ١٩٦٢ - يقوم على معايير الغيرة على المذهب الماركسية ، وعلى الانتاج ، على المال العام ، بحيث صار من المشروع مثلا أن يشي الانسان بأخيه أو أبيه اذا لمس فيه عدم الولاء لهذه المذهبية . . وهكذا فان النظرة الى الوشاية والتجسس والايقاع تغيرت تماما بسبب هذا التغير الاجتماعي .

وفي بعض البلاد عمد القانون الى حماية الشذوذ الجنسي لأنه تبين أن ناسا في الطبقة القوية أغرموا بهذا النوع من التمتع وصار من غير الملائم أن تثار الفضائح كل يوم عن هذا الأمر ، وبدعوى أن الانسان حر في نفسه ، فرفع القانون الحظر الذي كان مقررا في هذا الشأن ، وصار التعرض له هو الذي يؤدي الى العقاب والمؤاخلة والتعويض .

وكذا كثر غرام الأخوة باخوانهم في بعض البلاد الأخرى واستبد الهوى بهذه الظاهرة لدرجة غلبت على النظرة غير الخلقية لهذا الفعل ، اذ لا يصح أن ترتفع القيمة المادية للهوى لدرجة تعلو على القيمة المعنوية لهذه القرابة الوثيقة . . . ولكن ازاء هذا المرض الاجتماعي العام وسوء تصوير معنى الحب وانه لا فارق علميا بين الحب الملون بلون القرابة والحب الملون بلون الجنس ،

عمد القانون الى رفع هذا الحظر ، وبذلك - وبسبب حرية المشرع.
الوضعى - اعترفت الأخلاق الوضعية بما تنكره الأخلاق السماوية .

وهكذا فان الأخلاق الوضعية توجد بصورة متميزة عن القانون وتؤثر
عليه كما قد قدمنا ، لأن الممثل الذى يقوم بالشخصية القانونية لا يبرا من
أخلاقه الشخصية فى طريقة الأداء وفى طريقة اقتضائه لاحتياجاته .

وهى تكون أشد تأثيرا فى التنظيمات والتشكيلات على الوجه السابق
بيانه .

وكذلك فان الأخلاق الوضعية عرضة لآثار المتغيرات الاجتماعية
الضارة بسبب اختلال ظروف التبادل بين المعنويات والماديات على مر الأيام
وبسبب الأمراض الاجتماعية واستيلاء الطبقة القوية وضغطها العام على
النظام الاجتماعى ونحو ذلك . وهى لذلك لا تصلح مصدرا للقانون ، ولا تصلح
أساسا لنظام اجتماعى سليم .

فإذا انتقلنا الى الأخلاق السماوية تبين لنا الفرق بينها وبين الأخلاق
الوضعية .

فالحقيقة ان السبب الأساسى فى عدم اعتبار الأخلاق الوضعية كمصدر
للقانون هو : ان مصدر الالتزام كذا والأساس الذى يقوم عليه النظام
الاجتماعى والقانونى ويوجب خضوع الفرد : يجب ان يكون أعلى من ارادة
الفرد الخاصة ، والا صار الانسان مستبدا يتحكم فى المجتمع بارادته وحدته
كيف يشاء .

وهذه فوضى لا يرتضيها القانون الوضعى ذاته بصفة عامة . فإذا
نظرنا الى مصادر الالتزام المدنى مثلا ، نجد ان القانون تردد فى أن يعترف
للانسان بأن يلتزم بارادته المنفردة الى حد كبير . . وبعد طول جدل ونقاش
أجاز القانون استثناء : أن يلتزم الانسان (أى يلزم نفسه فقط) بارادته وحده
فى أحوال ضيقة كالسند الاذنى والایجاب الملزم والوعد بالجائزة (الجعالة)
وفى غير هذه الأحوال الضيقة المحصورة أبت الأفكار القانونية أن تعترف
بالارادة الخاصة مصدرا للالتزام الا اذا اقترنت بارادة أخرى حرة رشيدة
مثلها وتجاوبا سويا - فى صورة عقد - على الالتزام نتيجة لهذا المصدر
المشترك . .

وكذا في تحديد الأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى والقانونى ، انقسمت الأفكار الى تيارين كبيرين ، أحدهما يقرر : أنه يجوز الاعتراف بالارادة البشرية كأساس للدولة والنظام والقانون متى كانت ارادة عامة ، أخذا بالمبدأ القائل بأن الشعب مصدر السلطات . والآخر يقرر : أن هذا الأساس لابد من أن يعلوا على ارادة البشر وأن يستمد من قوة فوق هذه الارادة ، وهى بالنسبة لنا - أيها المؤمنون - قوة الله سبحانه وتعالى . كما أنها بالنسبة لبعض النظم الأخرى قوى حتمية أخرى ، كالحتمية الاشتراكية ، أو حتمية الطبيعة ، أو نحو ذلك مما تخرجت عليه النظريات العديدة المعروفة فى هذا الشأن .

ومن هنا يتبين المأخذ الأساسى فى اعتماد الأخلاق الوضعية كمصدر للقانون .

فى الحياة الفردية الخاصة إذا عمد الانسان الى ما يرتضيه بأخلاقه الخاصة ومعايير الذاتية وضميره الفردى ، فإنه يكون ديكتاتورا مستبدا اذا قدر على التحكم فى غيره بينما يجب أن يكون مصدر الالتزام أعلى من الارادة الخاصة ، نجد هنا : أن الارادة فى صورتها الفردية قد استشرت وثغولت على ما حولها من المصالح ، وهو أمر غير مشروع كما قدمنا .

وفى الحياة العامة نجد أن المعايير الخلقية هى من صنع اصحاب القوة فى الوقف . والماركسيون صادقون فى ملاحظتهم السابقة . فإنه متى ارتضى الأغنياء والقادرون أمرا وأسبغوا عليه ثوب الإباحة صار قانونا اجتماعيا معتبرا كما قدمنا ، وصارت معارضته هى الموجبة للجزاء .

فالأخلاق الوضعية العامة ما هى الا نتيجة عمل الفئة القوية الظاهرة فى الوقت . وليس من المشروع أن تتحكم هذه الارادة الخاصة فى الارادة الاجتماعية كلها .

وبذلك فإن الأخلاق الوضعية لا تصلح أيضا كأساس للقانون ، أو كمصدر له فى هذه الصورة العامة أيضا .

ان المجتمع الرأسمالى يعترف - بسبب ضغط أصحاب الأعمال - بالرشوة وبالوساطة القائمة على استخدام النفوذ ويسمى المتحصل من ذلك « اتعابا » أو « عمولة » أو نحو ذلك من الأسماء تجعلها تشبه الأعمال المشروعة . ووجه الدناءة هنا أن الاتعاب والعمولة تكون فى الأعمال التجارية .

والأعمال التجارية لا يصح أبدا أن يكون محلها القيام بالواجب أو الشرف الذى يسبغه المجتمع على من يوليه ولاية عامة أو نحو ذلك كالاتجار فى الأعراض والعواطف ، أو الكرامة أو الاعتبار ، أو غيره ، مما لا يصح أبدا أن تعقد فيه الصفقات التجارية . هذا عار .

ولكن الذى لا يعترف بالرشوة فى ذلك المجتمع تنفلق أمامه فرص الكسب ، وينظر اليه كقفل كبير أو مقطف أى كفر أبله ومغفل لا يفهم الحياة . وبذلك يسقط أدبيا من عيون الناس فى هذا المجتمع المادى ويحاربه المرتشون لخروجه على طريقتهم وذلك كله بسبب ما تواضع عليه المجتمع من الانحراف الخلقى والارتفاع بالمادة فوق المعانى .

وهكذا فان القلة القليلة المتحكمة فى المصالح المادية — بسبب ارتضاؤها لهذا السلوك — حكمت على المجتمع كله بمشروعية الرشوة وعلى تأييم من يكرهها . .

ونكرر : أن هذا غير مشروع ، لأن هذه ارادة خاصة بالنسبة للارادة الاجتماعية الشاملة التى لا تزال ولن تزال وستظل للأبد تنظر الى الحق كحق وإلى الباطل كباطل وتضطر فى الوقت الى أن تخضع لهذه الارادة الخاصة الاستبدادية فى الأخلاق الوضعية التى فرضتها . .

وعند ذلك يجد المجتمع نفسه أمام نوعين من الخلقيات ، تفسد أحواله فى التردد بينهما .

لا يمكن أن يقول الانسان سوى العقل : أن الرشوة ليست عملا غير خلقى . .

ولا يمكن ان يقول : ان الزنا ليس كذلك .

والسرقة .

والخيانة .

والغدر .

والوقية .

والدسيسة .

والتجسس .

مهما أسبغت الأخلاق الوضعية والقانون الوضعى على ذلك كله ثوب
المشروعية ... فانه يظل غير مشروع فى ذاته .. لماذا ؟

يقول دوفرجيه السالف الذكر : لأن ذلك بسبب المبادئ الرشيدة
التي أودعتها الطبيعة التي خلقها الله فى عقول البشر ...

أو لأنها « فطرة الله التي فطر الناس عليها » . أو لأنه استحسنان أو
تحسين وتقبيح عقليان ..

أو على الأقل - كما أقول - لأن هذه الأفعال تؤدي الى نتائج ضارة
بلا أدنى شك .

فالرشوة تؤدي الى ارهاق صاحب المصلحة المشروعة وحرمانه أحيانا
من الفرصة ، بسبب ضيق اليد ، بينما يكتسب بها المرتشى كسبا بلا سبب .
والكسب الذى بلا سبب ربا .. لماذا تأخذ منى شيئا بدون رضاي بدون
مقابل ؟ ! ... هذا ربا . وقال البخارى : الناجش آكل ربا ! ... ولأن
الرشوة تؤدي الى اختلال موازين تكافؤ الفرص المشروعة ولأنها تؤدي الى
تحريف المصلحة العامة ولأنها ... مئات الأسباب . وكل سبب يؤدي
بدوره الى مئات الأسباب ، وهكذا تتراكم جبال من الاعتراض على هذا الفعل
الذى يصفونه بأنه عمولة أو أتعاب ... « سيجزئهم وصفهم » ..

هذا هو السبب فى ان الأخلاق الوضعية - خاصة او عامة - لا تصلح
سببا للتقنين ..

هى مرفوضة ما لم تطابق الأخلاق العليا التي تأت بسبب قوى اعلى
من قوى الارادة البشرية : (أى الارادة الوضعية) وهى قوة ارادة الله فى
زعمنا ..

قلت انها ارادة سماوية او ارادة الالهية ..

دع الذين يلحدون والذين يؤمنون ، وتعال معى نناقش فى صفات هذه
الارادة العليا ، والتي سنجدها فى النهاية لابد أن تطابق الصفات الالهية ...
ان الانسان فى هذه الحياة يحتاج لأن يخضع لقوى مطلقة ظاهرة باطنة
لا اول لها ولا آخر ..

فى كنف هذه القوى فقط تستقر نفسه . وهى وحدها التي يرتضى
ان يعترف بسيطرتها عليه .

فبالضرورة لا يقبل الانسان الخضوع فى حتميات الحياة الا لقوى
قادر ..

اما الخضوع لعاجز فانه يؤدى الى الفرق معه .. وكأنه كقولنا :
جبتك يا عبد المعين تعيننى لقيتك يا عبد المعين تنعان .. فهو لا ينفع .
لا يأتى بخير وكل - بتشديد اللام مضمومة ومنونة ، وفتح الكاف - على
من يتولاه .

ويجب ان تكون قوته مطلقة ، اى لا يكون قادرا فى امر وعاجزا فى آخر ،
والا لم يكن صمدا .. والصمد هو الذى يصمد لكل ما تطلبه منه ، ثم
لا يحتاجك فى شىء .. فلا يثقلك بطلبه الرزق او الاكل او نحو ذلك ..

فان لم يكن كذلك لم يكن صالحا للعبادة - اى للخضوع له والامثال
لارادته - لانه يكون جزئيا فقط .. فهو لا ينفع فى بقية ما يراد من
الاتكال عليه .

وكذا يجب ان يكون ظاهرا باطنا لانه اذا كان ظاهرا فقط ، فان الانسان
يحتاج فى كل مرة ان يثبت له سلامة باطنه ، وقد يفشل فينقلب عليه مع
قدرته الهائلة فتكون مصيبة لا تحملها ارض ولا سماء .. وان كان باطنا
فقط ، فانه لا ينفع فى اعمال الحياة وسعيها فلا فائدة فيه ..

ونظرا لان اهداف الانسان مستمرة ممتدة ، ولأن آماله ليست
محصورة فى المحسوس الملموس ، بل تتعدى الى عقب هذه الحياة ، فان
ذلك يورث الانسان التفانى فى اغراضه ، ومن ثم لا يجيبه فيها الا من لا اول
له ولا آخر .

وهكذا فان هذه الارادة العليا بهذه الصفات هى التى تصلح وحدها
ان تكون اساسا للالتزام لانشاء النظم والقواعد التشريعية ..

والاخلاقيات السماوية التى تقوم على الاخلاص لهذا القوى المطلق
القوة ، ظاهرا باطنا على وجه الدوام هى التى تصلح وحدها اساسا
لما تقدم ..

لأن المعنويات التى تتصف بهذه الصفات تعلو على التقويم المادى.
ولا مساومة فى مقابلتهما ..

ونحن فى الاسلام ليس عندنا اخلاق ودين .. عندنا دين فقط .
والدين لا يتجزأ . ولذلك فنحن اذا قلنا « اخلاقيات الاسلام » فانما

ذلك فقط لنقرب الى الأذهان الوضعية المعنى الذى يفهمونه بعقولهم
الوضعية : أى عملية الموازنة والمساومة بين المعنويات والماديات ...

فالدين لا يعرف شيئاً من ذلك لما قدمناه من اتصاف أوامره الاستسلام
على وجه الاطلاق فى الظاهر والباطن بلا أول ولا آخر .

لذلك فالقول بتقنين اخلاقيات الاسلام هو قول غير ذى موضوع ،
هو مستحيل لأنه تقسيم للدين فيصير بعضه مقننا وبعضه بلا تقنين ..
فيكون كقوله تعالى « أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من
يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب .. » ؟

والأضرار الناشئة عن تجزئة الدين افحش من ان تتسع لها
السطور القليلة الباقية من هذا المقال وهى على أية حال تنافى ما بيناه من
صفات الارادة العليا الحاكمة ، من اطلاق القدرة واحتكامها على الظاهر
والباطن بلا أول ولا آخر ، ومن لم يصدق فلينظر الى الكون من خلال ما فوق
رأسه من سماء ، فان علم له أول أو آخر ، فليقل شيئاً ..

والفضيلة اجبارية ... لأن الرذيلة تفقد الانسان حريته .

فالمرتشى مثلاً يظن انه يرتشى فى الخفاء .. بينما الواقع انه تتحدد
له قيمة معينة فى السوق بسبب تداول اخبار ما تقبله .

واذا قبلها مرة بسعر فانه يلتزم كل مرة أن يتقبلها وبلدات السعر
— مع التعرض للنقصان بسبب المساومة على الافشاء والفضيحة — وبذلك
يفقد حريته على أن يعود شريفاً .

وكذا الزانية ، تضطر الى أن تتقبل كل من يفرض نفسه عليها مخافة
الفضيحة ..

**ومن سار سيرا معوجاً او كانت له زلة يصعب عليه جداً أن يعود الى
سواء السبيل ..**

وقد استغلت بعض النظم الارهابية وبيوت الابتزاز هذه الظاهرة
فدونت لديها أرشيفات موسعة لسقطات بعض ذوى النفوذ واستغلتها
أسوا استغلال .. وللأسف الشديد المرير أن هذه الوسيلة غير الانسانية

أكثر اتساعا مما لا يتصوره الناس ..

أما الذي لا يرغب ولا يخاف ..

Celui qui ne desire ni crainte فهذا ليس لأحد سلطان عليه . .
وهو كقوله تعالى : « إلا عبادك منهم المخلصين » استثناء ممن يكون
للشيطان سبيل عليهم .

والفضيلة إجبارية أيضا على العاقل ، لأن الأخطاء تؤدي إلى الصراع
والمنازعة وأوجاع الدماغ ..

فلكى يكون الإنسان حرا قويا يعيش في عدل وسلام يجب أن يكون
فاضلا فضيلة حقيقية . ومن هنا فلا بد أن تقوم العلاقات القانونية على
الفضيلة . وانه لا فضيلة إلا فضيلة السماء وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم .

ثمن العدد في الوطن العربي :

لبنان ٤٠٠ ق.ل.	اليمن ٥ ريال	قطر ٧ ريال
سوريا ٥٠٠ ق.س	السعودية ٦ ريال	ليبيا ٣٠٠ مليون
العراق ٥٠٠ فلس	مصر ٢٥٠ مليما	تونس ٨٠٠ مليون
الأردن ٤٠٠ فلس	السودان ٥٠ قرشا	الجزائر ١٠ دينار
الكويت ٥٠٠ فلس	البحرين ٦٠٠ فلس	المغرب ١٠ درهم

الإمارات العربية ٧ دراهم

الاشتراكات في الكويت :

للأفراد ديناران كويتيان .

للهيئات الحكومية والأهلية ثمانية دنانير كويتية .

كافة الاشتراكات يتفق عليها رأسا مع

دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٨٥٧ الكويت

هاتف ٤٣١٩٨٢ - برقا : دار بحوث

نفذ كنب

« في النظام السياسي للدولة الإسلامية »

تأليف : د. محمد سليم العوا
د. محمود أبو السعود

أهدى الى الأخ الكريم الدكتور محمد سليم كتابه الأخير « في النظام السياسي للدولة الإسلامية » ، وطلب الى أن أعلق عليه ، وهأنذا بأذن الله فاعل ، راجيا أن يجد الزميل في بعض هذه الملاحظات حذاء يأنس اليه في سري جهاده ، ووميضا يضيفه الى سنى نوره الهادي الى ما فتح الله به عليه ، ولست في كلمتي هذه أداجية حين أمدحه لحق أبان عنه ، ولا الاحيه لراى اخالفه فيه ، انما هو النصيح أمحضه ، فان وجد فيه صوابا أخذ به ، وان جانب الحق طرحه وأعرض عنه .

الكتاب في أجماله نبراس لمن يريد طرق هذا الموضوع الشائك . وقد تميز بالدراسة المنهجية والتحليل العلمى الرصين ، زانه من الكاتب أسلوب بليغ في سلاسة بيان وجزيل لفظ ، وعمق في التفكير مع التأصيل ، وأدب في مناقشة الآراء وشاه تواضع عزيز كريم ، وأيده منطق الأريب الحصيف .

وفي الكتاب حذر اللبيب . . .

عنوانه « في النظام السياسي للدولة الإسلامية » . ولعمري لقد وفق المؤلف التوفيق كله في تصديره بهذا العنوان ، فليس للقارىء بعده

ان يطلب من المضمون غير ما تضمن ، وهو مع غناه ودسمه لا يشبع نهمة جائع مثلى الى مثل هذا الغذاء الفكرى ، ولا يروى الصادى الى صورة مستكملة للهيكل السياسى فى ظل ما أسميه « المذهبية الاسلامية » ne» او ما أشار الكاتب اليه حين تحدث عن « مجموع القيم الاسلامية » .

وهكذا أعفى « حرف الجر » الكاتب من استكمال البحث ، واسأل الله مخلصا ان يهبه القوة ليكمل ما بدا ، ويرتب نتائج ابعده على ما قرر من مقدمات ، فلست أجد موضوعا أهمل بحثه على مر العصور بمثل ما أهمل « الفكر السياسى » الاسلامى ، واعتقد ان قد حان الوقت لتجلية اصول هذا النظام ومحاولة بناء هيكل سياسى للدولة الاسلامية يناسب اوضاع هذا العصر ويحل مشاكل الجيل .

اما ما اريد التعليق عليه فينحصر فى النقاط التالية :

١ - بين المجتمع السياسى والدولة :

نفى المؤلف ان يكون المسلمون فى مكة قبل بيعة العقبة الثانية « مجتمعا سياسيا » (ص ١٤) واستند فى ذلك الى ان المجتمع السياسى يحتاج الى مسلمتين : التقيد الاقليمى ، والسلطان السياسى .

والراى عندى وجوب التفرقة بين « المجتمع السياسى » وبين « الدولة » ، اذ لو اجتمع نفر من الناس داخل مجتمع معين على راى سياسى معين متميز عن راى سائر الناس فى مجتمعهم ذاك ، فليس هناك ما يمنع من تسميتهم « مجتمعا سياسيا » وان لم يكن لهم سلطان يحتكر « القوة الفعلية والشرعية (القانونية) فى هذا المجتمع » (ص ١٤) ، وليست الأحزاب السياسية كما نعرفها فى العصر الحاضر الا « مجتمعات » سياسية وان انكرتها السلطة المحتكرة للحكم .

ربما كان الأوفق ان ينفى الكاتب وجود « دولة اسلامية » فى العهد المكى ، ولست احسب ان يخالفه احد فى ذلك ، اما ان ينفى وجود اى تنظيم سياسى فى الجاهلية على وجه الاطلاق استنادا على عدم توافر ركنى الاقليم والسيادة، او السلطة، ففى ذلك نوع من التجاوز ، حتى لو قلنا بان اهل مكة فى تلك الحقبة لم يكونوا سوى قبائل مجتمعة فى مكان واحد ، وان الفرد كان يدين بالولاء لقبيلته ، اذ مامن شك فى ان الفرد كان يعيش فى

جماعة يخضع فيها لأعراف مستقرة « تربطه بنظامها العام » ، يدفع عنها وتدفع عنه ، ويكفلها وتكفله ، ثم هي تعاقبه ان ند على العرف وتلزمه العمل بما تقره من احكام .

وكانت هناك ايضا اعراف تراعيها العشائر والقبائل فيما بينها وتنظم معاملاتها ، ولست اتصور قيام مجتمع انساني - بصرف النظر عن مدى تقدمه الحضارى دون ان يكون له نوع من التنظيم السياسى ، واعنى بذلك وجود قواعد تنظم علاقة الفرد بمجتمعه فيما يختص بالصالح المشترك للجماعة كما تنظم علاقة هذا المجتمع بغيره من المجتمعات . ومعلوم ان المقصود بالعلاقة فى هذا المجال هو ما يحدد ارتباط الفرد بالمجتمع ارتباطا يخضعه لنوع من السلطان يرد على حريته ويقيد من تصرفاته .

هذا المعنى يدعونى الى الاستطراد معقبا على ما جاء فى صفحة (٢٠) من ان المسلمين فى الفترة المكية كانوا « افرادا قبلوا الدين الجديد ، ولكنهم لم يكونوا (امة) منفصلة عن بقية الناس فى المجتمع المكى فى مجموعه » .

يبدو ان الكاتب اورد لفظ « امة » بمعناها المصطلح عليه فى علم السياسة الحديث ، وهى بهذا الوصف عنصر من عناصر « الدولة » ، وذلك صحيح ، ولكن السياق يدعونى الى القول بانهم كانوا امة . بمعناها اللغوى - منفصلة عن بقية الناس فى المجتمع المكى ومعلوم حتى فى المصطلح السياسى ان الامة وحدها لا تكون الدولة ، وبدا يجوز ان نقول ان المسلمين كانوا امة تجمعهم فكرة واحدة وعقيدة واحدة وان لم يكن لهم سلطان .

وعلى الزميل الفاضل يوافقنى على ان عدم « الاذن » بالحرب وطلب النصرة من القبائل وبيعة العقبة الثانية لا تقطع فى ذاتها بان المجتمع الاسلامى قبل الهجرة لم يكن مجتمعا سياسيا بالمعنى الذى اوردته ، وان كانت قاطعة بعدم وجود « دولة » اسلامية بالمفهوم العصرى لهذا اللفظ ، اذ مع توافر عنصر « الضمير الاجتماعى » فقد كان ينقصهم الاقليم الذى يفرضون فيه سلطتهم السياسية (ص ٢٦) .

٢ - بين النظريات السياسية والفكر السياسى :

جاء فى صفحة (٣٦) : « من المسلم به ان العهد النبوى للدولة الاسلامية لم يشهد ظهور النظريات السياسية الاسلامية فى اى صورة من صورها » .

ثم جاء في الصفحة التالية (٣٧) : « ومن ثم فإنه يمكن القول بأن هذه المرحلة قد تميزت بتوحيد الفكر السياسى وتمثله فى النهاية فى القرارات السياسية التى يتخذها الرسول عليه الصلاة والسلام » .

هنا فارق المؤلف بين « النظريات » السياسية والفكر السياسى ، اذ بعد أن ذكر فى صفحة (٣٦) أن « طبيعة العهد النبوى لا تسمح بظهور نظريات سياسية فيه » وذلك فيما يبدو راجع الى عدم جواز اجتهاد الراى مع نزول الوحي ، عاد فقرر وجود فكر سياسى واحد .

الصياغة بهذه الصورة تثير فى نفس القارئ نوعا من البلبلة ، اذ يطلق لفظا « النظرية » السياسية « والفكر » السياسى على مدلول واحد فى الأغلب ، اللهم الا اذا عنى الكاتب بهما امرين مختلفين ، وفى هذه الحالة كان الأيمن به أن يعرف كلا المدلولين .

ولعله من المفيد أيضا أن أشير الى ما جاء فى هذه الصفحة من أن الآراء التى كان يدين بها الصحابة حين يستشيرهم الرسول عليه الصلاة والسلام « لم تكن قيمتها لتعدو الوقت الذى تتم فيه الشورى ، ويبقى بعد ذلك الراى الذى يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ به » جدا لو قد اشار الكاتب فى هذا المقام الى ما قرره بعد ذلك من كون الشورى ملزمة فيما لا نص فيه ، اذ سوق العبارة بهذا الأسلوب يوحى الى القارئ أن الشورى لم تكن ملزمة فى اطلاقها ، وهذا خلاف ما قرره المؤلف فى باب الشورى اللاحق .

٣ - قریش والخلافة :

ورد فى صفحة (٤٢) وما بعدها نقلا عن تاريخ الطبرى قول أبى بكر : « ان العرب لن تعرف هذا الأمر الا لهذا الحى من قریش » . وما جاء عن أبى بكر مخاطبا به سعد بن عبادة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « قریش ولاة هذا الأمر » . ثم جاء فى صفحة (٥٤) وما بعدها اعتراض المعتزلة على قصر الخلافة على قریش .

ولست أدرى على وجه اليقين صحة هاتين الروایتين وكنت أتمنى أن يحقق المؤلف الحديث كما رواه الطبرى ، اذ ظاهر الأمر - أن صح الحديث . أن تصبح قریش « الأسرة الحاكمة » وهذا يصطدم مع أساس المساواة الذى تقوم عليه الدولة الإسلامية حيث يفضل القرشى غيره لمجرد

الانتساب الى قبيلة معينة ، كما أن فيه تقييد الحق اختيار الحاكم كما قد تستقر عليه الشورى حين تختار حاكم الدولة .

ان مناقشة سعيد بن العاص - وان تميزت بالحدة وعنف اللفظ - تمثل عندى حرص المسلم المؤمن على حقه الذى قرره الاسلام له ، وفيها دلالتان :

الأولى : كفالة حرية الراى بحيث سمحت الأوضاع بأن يجادل المحكومون حاكميهم ما دامت بأيديهم حجة من الشرع الحنيف .

والثانية : ان لو كان الحديث الذى اورده الطبرى صحيحا لا شبهة فيه لما احتاج الأمر الى مناقشة بين المتشيعين لقريش ومن عداهم وقد كان الناس جميعا فى ذلك العهد القريب من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنون بوجوب تطبيق ما أمر به المصطفى عليه السلام، ولما احتاج الأمر الى ذلك الجدل بين سعيد ومعاوية .

ثم ان المؤلف خرج من مناقشة الموضوع بنتيجة حاسمة هي أن اختيار الحاكم لا يكون الا عن مشورة من المسلمين (ص ٤٨) ، وبهذا يكون قد قطع بأن الحديث السابق - ان صح فيجب أن يؤول أو الا يؤخذ على ظاهر اللفظ فيه ، وعندى ان ذلك كله يستحق من الزميل الأديب المحقق بعض العناء فى البحث ، وقد بذل ما بذل من جهد كبير فيما هو اقل أهمية من ذلك .

٤ - بين على ومعاوية :

أورد الكاتب فى صفحة (٦٢) أنه من المتفق عليه « ان الخلاف بين على ومعاوية .. كان سببه مقتل عثمان رضى الله عنه . ذلك أنه بعد قتل عثمان ومبايعة على ، رأى جماعة من الصحابة : ان عليا قصر فى المطالبة بدم عثمان » .

وثنى على ذلك فى صفحة (٦٣) بقوله « .. ولم يكن الخلاف بين على ومعاوية حول الخلافة ومن أحق بها منهما ، وانما كان الخلاف حول مدى وجوب البيعة لعلى قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان ، وليس هذا من أمر الخلافة فى شيء .. » .

اول ما يتبادر الى الذهن سؤال صريح : هل كان يجوز لعلى بن

أبى طالب أن يقتص من قتلة عثمان مالم يكن خليفة وأميرا على المسلمين؟»
وبعبارة أخرى : لماذا طالب معاوية عليا بالذات بتوقيع القصاص ؟

أليس ذلك لأن عليا كان قد بوع فعلا بالخلافة من جمهرة المسلمين ،
واذ تبوأ على هذا المنصب فقد جاز لأحد أفراد رعيته أن يطالبه بأمر يراه
حقا واجب الاتباع فان أنكر فرد خلافة على، فهل يجوز له أن يطالبه بالقيام
بعمل هو من صميم اختصاص الحاكم ؟

يبدو لى أن رد النزاع الى وجوب البيعة بعد القصاص أو قبله
وليس لسبب آخر أمر يصعب تقبله منطقيا ، وربما صعب اثباته تاريخيا
أيضا . اذ الأصل ان يبايع الناس أولا ، فان بايع الجمهور وامتنع الأقلون،
وجب على الغالبية أن تجبر الأقلية على البيعة ولو بقوة السيف والقهر ،
اذ بدون ذلك لا يستقيم حكم ، ولا يتحقق ركن الشورى ، ولا تطرد
الطاعة الواجبة للأمير .

ولست أحسب ان هذه القاعدة الشرعية غابت عن علي ومعاوية، أو عن
عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعري ، فان كانت تلك حجة الذين امتنعوا
عن البيعة بعد فترة ، فماذا كانت حجتهم في أول يوم منها ؟ أفهم أن
ينزع معاوية يده من البيعة لعل لأنه بمثابة « ولى الدم » في قضية عثمان،
وعلى رأى صعوبة القصاص أو استحالة أو خطاه فتراخى فيه ، ولكن
التاريخ لم يرو لنا نقض بيعة ، ولكنه روى الامتناع عنها وتمرد والى
معزول على أمير مبايع .

ربما كان موضوع القصاص هو الشكل الظاهر للخلاف ، ولكنى
لا أكاد أجزى اعتباره الجوهر فيه ، أو السبب الوحيد للانتقاص على
الخليفة والثورة عليه ، بل انى أرى فيما ذكره المؤلف الفاضل في
صفحة (٦٧) من أن قرار الحكمين « يزد أمر الخلاف بين علي ومعاوية
الى الثفر من الصحابة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
راض عنهم كى يقرروا فيه رأيهم » - أرى فى ذلك تعزيزا لما احتج به من
أن جوهر الخلاف لم يكن قاصرا على ما ذهب الدكتور محمد سليم اليه
من رأى . اذ أية غضاضة فى احالة القضية على صحابة رسول الله المقربين ؟
بل ما الذى يدعو الى الفرقة حول قرار هو فى ذاته ليس « بقرار » نهائى،
وانما هو احالة الموضوع الى هيئة لا تلبسها شبهة من دخل أو ظلم ؟

وما أحسب عمرو بن العاص بالخب الذي يخفى عليه أن إحالة هذه القضية كما يصورها المؤلف على خيار الصحابة سيكسب لمعاوية حقا أو أعوانا مؤيدين . ولئن قيل أنه أراد أن يكسب وقتا لمعاوية بهذه الإحالة ، فالرأى عندي أن لو قد نفذ قرار التحكيم لاستحال على معاوية الاستمرار في معارضة على ، دع عنك قبض يده عن بيعته .

هـ - الحكومة وغايتها في الاسلام :

(أ) **الفكرة :** لقد وفق المؤلف بحمد الله التوفيق كله في تصوير نشأة الدولة الاسلامية بحيث القى أضواء ساطعة على أركان تلك الدولة ، وكان جميلا حقا ما أثبتته من أن « الفكرة » هي الغاية التي تحميها الوسائل التي تملكها الدولة تنظيمية كانت هذه الوسائل أو قانونية أو عسكرية (ص ٧٧) .

« والفكرة » هنا ليست مجرد خاطرة تسنح للذهن ، ولا هي مجرد تصور أو خيال شارد غير ملتصق بواقع ، ولكن المقصود بهذا اللفظ هو ما يعبر عنه بالمثالية الاسلامية أو المذهبية الاسلامية (ص ٧٨) . . والذي يعني في هذا المقام هو أن يتضح هذا المعنى في عقول المسلمين خاصتهم وعامتهم ، إذ بدون هذه المثالية أو الفكرة تصبح الدولة خواء من لبها ، وتفقد السبب الذي يبرر وجودها ، ولا تستطيع بحال أن تحتفظ بحضارتها ، بل لا مناص من انحطاطها وانحلالها مهما بلغت وسائلها من التقدم والتمكين والأحكام . لقد أجمل المؤلف هذا المعنى ، وكم تمنيت أن يفيض فيه ، وأن يحل المثالية بأسلوبه العلمي الرصين وبما يتفق مع منطق العصر الذي نعيش فيه ، حتى يفهم قومنا أن قضية « الشكل » - وهي التي تتفق بالوسائل القانونية أو الاقتصادية أو العسكرية . . الخ - ليست هي التي تحتل الصدارة عند المنادين بقيام الدولة الاسلامية ، وحتى يفهم الناس أن مسألة تطبيق الحدود أو قضايا الزواج والطلاق أو المعاملات الربوية . . الخ إنما هي أدخل في صميم باب « الوسائل » التي لم تكن الا لتحقيق « الفكرة » أو المثالية الاسلامية التي هي لباب الدولة والغاية الأولى والأخيرة من قيامها .

(ب) **الخلافة :** أحسن المؤلف الاحسان كله حين أوضح معنى الخلافة بما لم يبق معه ظل لشك أو حجة لمخالف ، وان قوله « ان لفظ الخلافة

أو الأمانة ... لا يعنى فى مدلوله السياسى أو الدستورى أكثر من تنظيم رئاسة الدولة الإسلامية تنظيما يشمل اختيار الرئيس وتقرير حقوقه وواجباته على نحو يشير الى محاولة اتباع المثل الأعلى الذى كان قائما فى بداية نشوء الدولة الإسلامية حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتولى رئاستها « .. ان هذا قول (قطعت به جبهة قول كل خطيب) . ثم أن المؤلف المفكر جعل للخلافة مدلولين دستوريين :

أولا : « ان ترشيح من يصلح لتولى الخلافة يتم بناء على ما تنتهى اليه شورى المسلمين » .

ثانيا : « ان تولية هذا المرشح تتم بناء علىبيعة المسلمين له » . فالراى عنده أن لابد من « ترشيح » من يصلح للخلافة ، وان هذا الترشيح يجب أن يتم بناء على ما تتمخض عنه « الشورى » بين المسلمين . وهذا كلام يحتاج الى مزيد بيان .

هل يا ترى يوافق المؤلف من يقول بجواز أن يرشح الفرد نفسه ، وأن يدعو الناس الى تقبله فى منصب الخلافة أو الرئاسة ؟ أم انه يعارض هذا الراى وينحاز الى من ينهى عن ذلك بحجة تأويل قوله تعالى « ولا تزكوا أنفسكم » ؟

ثم ماذا يعنى « بالشورى » وما تفسيرها عمليا فى القرن العشرين وفى المجتمعات الصناعية المتراكبة ؟ أسأل عن ذلك لأن الكاتب استطرد (صفحة ٧٩) فى تبيان معنى الخلافة وجعله مغيرا لسائر النظم التى عرفت قديما وحديثا ، فهو ليس وراثيا ولا جماهيريا « يستحق فيه الخلافة أكثر المرشحين حظا من أصوات الناخبين ، ولا دينيا يستقل فيه رجال الدين بتعيين شخص رئيس الدولة .. » .

لقد تناول الأستاذ الدكتور محمد سليم بتفصيل محمود باب « هل الشورى ملزمة أو معلمة » (صفحة ١٠٥ وما بعدها) ولكن لم يتضح لى رأيه فى كيف تكون الشورى اللازمة لاختيار الخليفة أو الامام أو رئيس الدولة سمه ما شئت . وقصارى ما جاء به هو أن التشريع الإسلامى قد ألزمتنا بالشورى ولم يحدد لنا الشكل الواجب أن نتخذه ، بل ترك ذلك للناس يوائمون بينه وبين الأوضاع المختلفة فى الأزمنة والأمكنة المختلفة ،

وخارج نطاق الأمور السياسية التي سبق بيانها فان بقية المسائل التي تتصل بهذا الموضوع متروكة لما يقرره اولو الامر في الدولة الاسلامية ... الخ (ص ١١٧) .

ثم ان المؤلف استرشد بقولين : أحدهما لعبد القادر عودة ، والآخر لمحمد عبده (ص ١١٦ و ١١٧) والقولان يشيران الى وجوب الالتزام برأى الأكثرية ، وواضح من السياق ان المؤلف يؤازرهما فيما ذهب اليه ، فان كان الأمر كذلك ، فهل هناك من اعتراض شرعى على أن ينتخب الخليفة « جماهيريا » ويستحق الخلافة « أكثر المرشحين حظا من أصوات الناخبين » ؟؟

أحسب ان هذه القضية تحتاج الى مزيد من عناية الكاتب وايضاحه ، فهى فى الحق دقيقة ، وقد أصبحت محل جدل كثير بين من يعالجون السياسة فى الاسلام ، خصوصا بين « العلماء » - او ان شئت المشايخ - الذين لا المام لهم بعلم السياسة .

٦ - الشورى :

تحدث المؤلف الجليل عن الشورى « كقيمة » من القيم السياسية او المبادئ الدستورية التى جاء بها الاسلام (ص ١٠٣) وقد سوى بين « القيم السياسية » وبين « المبادئ الدستورية » وذلك فيما يغلب على ظنى تهاون فى دقة التعبير وددت لو استدركه .

ذلك ان « القيمة السياسية » - كغيرها من القيم - معنى يعز تحديده لأنه مطلق فى مدلوله ، وبالتالي يكاد يستحيل تعريفه لذاته . والقيم السياسية تتعلق أصلا بما سبق أن أطلق المؤلف عليه لفظ « الفكرة » وهى المثالية السياسية ، ولا ضير أن تتضمن المثالية قيما تصف نواحي العلاقات بين الحاكم والرعية ، كالحرية والعدالة والمساواة مما أورده الكاتب ، وكالأخاء الذى نادى به الثورة الفرنسية وتنادى به الماركسية العالمية .

أما المبادئ الدستورية فهى بالضرورة محددة ومحدودة وليست مطلقة ، فالدستور حين يقرر مساواة الأفراد يقرن ذلك بلفظ « أمام القانون » مثلا ، وحينما يقرر الحريات انما يحدد هاتيك الحريات بوضعها

في اطار ملموس كحرية الاجتماع. والنشر. والنقد والاقتراع . . الى غير ذلك .
الشورى ليست قيمة فيما أرى ، اذ ليست معنى مطلقا في ذاته
لا يحصر العقل مداه ولا يدرك كنهه ، اذ هي لا تعدو استجلاء رأى الغير
بصرف النظر عما اذا كانت ملزمة ام معلمة .

قد تكون الشورى اذن مبدأ دستوريا ، وحينئذ يجب أن يتحدد
نطاقها ، وقد تكون قانونا يخاطب فئة من الناس ، أما أن تكون قيمة
سياسية بالمصطلح العلمى فذلك مالا أرى وجها له .

واذ أنا في معرض الشورى أجدنى مدينا للكاتب بما دلل عليه من
وجوب الشورى واعتبارها قاعدة شرعية يلتزم الحاكم بها ويلتزم بنتيجتها ،
وعسى أن يدرس الذين يتحدثون عن النظام الاسلامى هذا الفصل بما
هو أهل له ، وأن يجدوا فيه الغناء الذى وجدت ، وعمل خير ما سطر في
هذا الكتاب كان هذا الفصل الحق الكريم .

٧ - العدل :

للعدل مدلولات كثيرة ، وقد أورد الكاتب السياسية منها وان غلب أن
« نطاق العدالة في الشريعة الاسلامية - ومن ثم في الفقه الاسلامى - يتسع
ليشمل كافة مجالات الحياة الانسانية » (صفحة ١٢٠) .

وهذا حق ، اذ العدالة في الشريعة تقتضى أن يعدل الفرد في معاملاته.
مع نفسه وأسرته وسائر الناس ، فهى صفة مطلقة لا تدخل مؤثره هذا
الثوب من باب السياسة .

ثم أن العدل بمضمونه العام ومعناه الشامل الذى ذكرناه يصعب أن
يصاغ في قالب قانونى دستورى ، ولئن اعتبره المسلم قاعدة شرعية يجب
عليه أن يراعيها ، أو كما يقول ابن تيمية : « يجب أن يقوم الناس بالقسط
في حقوق الله وحقوق خلقه » (ص ١١٩) فأنا ينصب ذلك على ما يمكن
أن يقنن بدليل قوله « . . فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد » .

ولئن كان حقا - كل الحق - أن مامن شريعة غير الاسلام جعلت للعدل
في حياة الفرد الخاصة والعامة المكانة العليا والصفة التى يجب أن تغلب
عليه حين يخلو بنفسه أو حين يعامل البشر قاطبة ، الا أنه ليس حقا خالصا
ما ذكره المؤلف من أنه « اذا تركنا ميدان القضاء الى ميدان النظم السياسية

والدستورية فلا نجد ذكرا للعدالة ولا اشارة اليها ، ولا يذكرها رجال الفقه الدستوري ولا الباحثون في النظم السياسية بين خصائص النظام الديمقراطي أو غيره من الأنظمة » - نقلا عن مؤلف الدكتور عبد الحميد متولى (ص ١٢١) . وليس حقا خالصا ما أضافه الدكتور محمد سليم من أن هؤلاء « لا يشترطونها في سياسة الحكم ولا يعنون بدارستها عندما يدرسون موجهات هذه السياسة والعوامل المؤثرة فيها » .

والواقع انى لم اكن اتوقع من باحث له ما للمؤلف من واسع اطلاع أن يذهب الى هذا المدى من نفى اعتبار العدالة ضمن النظم السياسية غير الاسلامية ، بل لن يجد النصف مذهبا سياسيا - ابتداء من الليبرالية الاثينية فالديموقراطية الحديثة الى الماركسية والاشتراكية على اختلاف درجاتها - الا وتعرض للعدالة واعتبرها قيمة تتوخاها الجماعة في نظام حكمها وان عز تحقيقها . ولو استعرض المؤلف أبسط الكتب في علم السياسة لوجد ذلك واضحا لا لبس فيه . . وعلى سبيل المثال له أن يراجع كتابا مدرسيا شائعا لمؤلفيه بنوك وسميث : Political Science J. R. : Pennock & D. G. Smith (Collier-Mac millan Ltd London ' 947 P. 152) . فسيجد أنه يعتبر العدالة قيمة أساسية في نظام الحكم الديمقراطي وأنه يقسم العدالة الى اقسام ثلاثة :

(ا) عدالة امام القانون .

(ب) عدالة موضوعية أى عدالة القانون ذاته .

(ج) عدالة رادعة أو جزائية .

والعدالة عند أفلاطون في كتاب الجمهورية أحد أركان أربعة لفلسفته هي الحكمة والشجاعة والاعتدال والعدل - وظلت العدالة أبدا في ذهن كل فيلسوف سياسى وداخل اطار كل نظام تقوم عليه اية دولة حتى أن الفوضويين المحدثين Modern Anarchism يعتبرونها رديف اشتراكيتهم ، وفي هذا يقول عميدهم مايكل باكونين Michael Bakunin « ان الاشتراكية هي العدالة المطردة » (Fédarilisme, Socialisme et Antithéologisme. Vol I. 54) . والعدالة عنده هي انبعاث شعورى من لب الوجدان البشرى .

ويرى وليام جودوين William Godwin انه في الدولة الديمقراطية الاشتراكية تأتي العدالة قبل كل شيء وقبل ان تبذل أية محاولة للنهوض بالانسان من أية ناحية كانت [The Socialist Tradition] (Moses To Lenin, By Alexander Gray, Harper, N,Y 1968)

ويرى جراى هذا ان جوهر فلسفة جودوين هو أن الواجب ان يتخذ مبدأ العدالة مرشدا وهاديا لكل عمل أو نشاط يقوم به الفرد ، وان عقولنا هي التي تفسر لنا ما هي العدالة أى ما يجب فعله دون سواه . (المرجع السابق) فما أقرب هذا القول من الفكرة الاسلامية التي تجعل من العدل فطرة مستسرة في ضمير الفرد المسلم تحمله على القسط في الأفعال مع النفس ومع العباد .

ثم هناك برودون Pierre - Joseph الذي يعتبر أن العدالة قوام الحياة كلها ، وهو يعبر عن ذلك بطريقته المتطرفة فيقول :

La Justice est le Dieu supreme, elle est le Dieu Vivant.. (De la Justice Vol. . I. 224)

« العدالة هي الرب الأعلى ، انها الاله الحي » . وهو يعتبر « أنها مظهر لاحترام كرامة ابن آدم كائنا من كان ومهما كانت الظروف المحيطة به ، وان الواجب أن نذب عنها مهما بلغت مخاطر هذا الدفاع » (المرجع السابق) .

واجمال القول : لن يجد المرء كتابا واحدا من كتب علم السياسة ولا فيلسوفا واحدا أهمل ركن العدالة ، ثم أن الدساتير جميعا تحاول أن تعبر عن معنى العدالة منسوبا الى ما تقيمه من نظم ، وما كان يمكن لها أن تقضى بغير هذا ، اذ أن المعاني المطلقة ، اما ما يسميه الفيلسوف اللورد رسل The Univers alities لا يتعلق بها الذهن الا حين تضاف الى وصف حسي ، وهي كذلك في علم السياسة بصرف النظر عن الفلسفة السياسية التي تجعل منها غاية من غايات الحكم ، اذ تحاول الدساتير أن تشيع بين المواطنين ذلك الشعور الايماني بالفكرة او المثالية وبعادلة النظم المستمدة من هذه المثالية .

يقينى ان لو تتبع الزميل الكريم هذا الأمر بمثل تلك العناية التي بذلها في البحث والتدقيق لعدل من حكمه على النظم غير الاسلامية فيما يتعلق بمكان العدالة ومفهومها فيها .

أما ختام هذا التعليق فهو تهنئة حارة على ذاك المجهود الفذ الذى بذله الدكتور محمد سليم ، ولعله من حسن المقابلة أن أقرن هذا الختام بما ختم به كتابه حين تحدث عن الحرية والمساواة ، فهما حق فطر الانسان عليه وليس لمخلوق أن يعتدى عليهما ، وأعز من هذا ما أكده المؤلف من نتائج تطبيق أمر المولى جل شأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يجب على الفرد أن يبدى الراى ، وشتان بين الوجوب والحق الاختيارى الذى تقرره التشريعات الوضعية .

جزى الله الكاتب الخير كله ، وبارك له فى جهده وجهاده وعسى أن يعينه على المضى فيما فرغ نفسه له من دراسة الاسلام وتجليه غوامضه ، وعلى الله قصد السبيل .



الفكرة الباعثة الى تأسيس الشركة

تمس حاجة المسلمين الى ممارسة عملية لمبادئ الاسلام في مجالات المعاملات والحياة الاقتصادية ، لتصحيح الانحرافات الخطيرة التي أحدثتها الأنظمة المادية الداخلية على حياة المسلمين ، ولوضع المال في مساره الطبيعي كخادم للانسان لا كسيد له وكأمانة في يد الانسان يسأل عنه من أين اكتسبه وفيما انفق ، وكوظيفة اجتماعية لا كحق مطلق ..
وتمر كثير من الدول المنتجة للنفط بمرحلة تتميز بفائض مالى عن حاجات التنمية المحلية وينقص في الاطراف الفنية الاستثمارية والمالية ..

وينعكس هذا الواقع على الأجهزة الحكومية والشركات والمؤسسات ، كما ينعكس على الافراد العاملين بهذه الدول من أبنائها ومن غيرهم ممن لا يتسع وقتهم أو تسمح خبرتهم باستثمارهم لمخزائهم ..

كما تمر كثير من الدول العربية والاسلامية - شأن الدول النامية عموما - بمرحلة تفتقر فيها الى رؤوس الأموال والخبرات الفنية اللازمة للتنمية ..

كما تهتم بعض الدول الصناعية المتقدمة بتقديم خبراتها الفنية سواء للدول النامية أو لفوائض رؤوس الأموال ، هذا الى جانب توافر عدد لا بأس به من الكفاءات الممتازة من أبناء الدول الاسلامية الذين اكتسبوا خلال هجرتهم من بلادهم الأصلية أعلى مستويات العلم والخبرة في شتى المجالات .

لذلك كان التفكير في اقامة شركة استثمارات عامة لتحقيق هذه الاهداف على مستوى التعاون الفنى بين مختلف الاطراف في صورة انشاء مشروعات جديدة أو تطوير ودعم مشروعات قائمة ..

وقد اختير للشركة الام المزمع اقامتها صورة الشركة القابضة لمناسبتها لهذا النوع من النشاط ، وأن يكون في شكل شركة مساهمة تيسيرا لتداول أسهمها وحتى تكون مسئولية المساهم محدودة بقيمة أسهمه فقط .

كما اتجه التفكير الى تأسيس الشركة في احدى البلدان الاوربية (لكتنشتاين) التي يمارس فيها هذا النوع من النشاط بصورة مستقرة من فترة طويلة ، وتمنحه التيسيرات القانونية والضريبية المشجعة ، على أن تمارس الشركة نشاطها في مختلف البلدان الأخرى وفقا لخطط أعمالها وحاجاتها ...

مؤتمرات

المؤتمر العالمى الأول للتعليم الإسلامى

تقدمة :

ان المؤتمر العالمى الأول للتعليم الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة فى الفترة من ١٢ الى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣٩٧ هـ الموافق ٣١ مارس الى ٨ أبريل ١٩٧٧ م ، بناء على دعوة جامعة الملك عبد العزيز ، تحت رعاية جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وبتوجيهات من صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود ولى عهده ، وتقديرا من المؤتمر لما للتربية والتعليم من أهمية بالغة فى حياة الأمم ، واحساسا منه بعظم المسئولية الملقاة على كاهل علماء المسلمين وقادة الفكر والعاملين فى حقل التربية والتعليم فى دعم التضامن الإسلامى وخدمة قضايا العالم الإسلامى ، ودعوته الى الالتزام الكامل بالإسلام والتطبيق الصحيح لشريعته فى كافة مجالات الحياة ، وادراكا منه بأن الأوضاع القائمة فى المؤسسات التربوية والتعليمية الحالية فى معظم بلاد العالم الإسلامى لا تمثل الصورة الإسلامية الصحيحة ، ولا تقوم بدورها الواجب فى تنشئة الأجيال على هدى الإسلام عقيدة وتصورا وسلوكا .

بالإضافة الى مداخل في التعليم من أفكار وتصورات مناقضة للدين ومعادية له ، قد عقد عدة اجتماعات في الفترة المذكورة حضرها ٣١٣ عضوا يمثلون ٤٠ بلدا ، وقدم له ١٥٠ بحثا الى جانب الدراسات المسحية التي أجريت عن حالة التعليم في البلدان الاسلامية المختلفة ، وقد انتهى المؤتمر الى تحديد المفاهيم والتصورات واصدار التوصيات التالية :

اولا : المفاهيم والتصورات والأهداف :

ان هدف التعليم الاسلامي هو تنشئة « الانسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ، ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه .

ومفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع شامل لا يقتصر على أداء الشعائر التعبدية فحسب بل يشمل نشاط الانسان كله : من اعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل مادام الانسان يتوجه بهذا النشاط الى الله ويلتزم فيه شرعه ، ويسير على منهجه تحقيقا لقوله سبحانه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، وقوله سبحانه : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » .

وعلى ذلك فان عمارة الأرض وتسخير ما أودع الله فيها من ثروات وطاقات وابتغاء ما بثه على ظهرها من ارزاق ، وما يلزم لذلك من التعرف على سنن الله في الكون ، والعلم بخواص المادة ، وطرق الاستفادة منها في خدمة العقيدة ونشر حقائق الاسلام ، وتحقيق الخير والفلاح للناس ، كل ذلك يعد عبادة يتقرب بها العلماء والباحثون الى الله ، وطاعة يشاب عليها الناظرون في الكون والمكتشفون للقوانين التي تربط بين أجزائه ، والمستنبطون لوسائل تسخيرها لخير الناس ومنفعتهم . واذا كان الأمر على هذه الصورة في المفهوم الاسلامي للعبادة وكان هدف التعليم في نظر الاسلام هو تنشئة ذلك الانسان العابد لله على المعنى الشامل للعبادة ، فيجب أن يحقق التعليم أمرين : أحدهما يعرف الانسان بربه ليعبده اعتقادا بوحديته وأداء لشعائر عبادته ، وتطبيقا لشريعته والتزاما لمنهجه ، والثاني بسنن الله في الكون ليعبده بعمارة الأرض والمشى في مناكبها وتسخير كل ما خلق الله فيها لحماية العقيدة . والتمكين لدينه في الأرض أمثالا لقوله تعالى : « هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

وهكذا تلتقى علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والترية وعلم النفس والاجتماع الخ . . في أنها كلها علوم اسلامية مادامت داخل الاطار الاسلامى ومتفقة مع تصوره ومفهومه ، ملتزمة بأحكامه وتعاليمه ، وكلها مطلوب بقدر للمسلم العادى ، ومطلوب على مستوى التخصص لفقهاء الأمة ومجتهديها وعلمائها . ولا حد ولا قيود على العلم فى التصور الاسلامى ، سواء النظرى منه او التجريبي والتطبيقي الا قيودا واحدا يتصل بالغايات والمقاصد من ناحية ، وبالنتائج الواقعية من ناحية أخرى . فالعلم فى الاسلام عبادة يتقرب بها الانسان الى الله وأداة اصلاح فى الأرض . فلا ينبغى أن يستخدم فى افساد العقيدة والأخلاق ، كما لا يجوز أن يكون أداة ضرر وفساد وبغى وعدوان . ومن ثم فكل ما يصادم العقيدة الاسلامية أو لا يخدم أهدافها ومقتضياتها ، فهو مرفوض فى المنهج الاسلامى .

وان كل نظام تعليمى يحمل فى طياته فلسفة معينة منشقة من تصور معين ولا يمكن فصل أى نظام تعليمى عن فلسفته المصاحبة له ، ومن ثم فانه لا يجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية وتربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الاسلامى ، وهو ما يحدث الآن حين الأخذ بالنظم غير الاسلامية لأنها فى النهاية تصادم التصور الاسلامى وتناقضه ، وفى الوقت ذاته فان للاسلام تصورا عاما شاملا تنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها .

لذا فان نظام التعليم الاسلامى يجب أن يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز . أما الوسائل فلا ضرر من الاستفادة منها فى التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه . ومصادر المعرفة فى التصور الاسلامى نوعان :

اولهما : الوحي فى الجوانب التى يعلم الله سبحانه وتعالى أن الانسان لا يهتدى فيها الى الحق من تلقاء نفسه ، والتى لا تستقيم فيها الحياة على وجهها السليم الا بمقررات ثابتة من عند الله المحيط بكل شئ علما .

ثانيهما : العقل البشرى وادواته فى تفاعله مع الكون المادى نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا فى الأمور التى تركها الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقل وتجاربه بشرط واحد هو الالتزام التام فيها بالاصول العامة الواردة

في شريعة الله المنزلة بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ، ولا تؤدي الى الشر والضرر والفساد في الارض .

ثانيا : انطلاقا من هذه التصورات وتلك المفاهيم فان المؤتمر يوصي بما يأتي :

١ - يرى المؤتمر أن التربية هي رعاية نمو الانسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية واللغوية والوجدانية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها الى الكمال وغاية التربية الإسلامية هي تحقيق العبودية الخالصة لله في حياة الانسان على مستوى الفرد والجماعة والانسانية وقيام الانسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق الشريعة الالهية .

٢ - الاهتمام عند وضع المناهج الدينية وتأليف كتبها بالعقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومراعاة اشتغال هذه الكتب على إبراز آيات الله في مخلوقاته ، ومعجزات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رد الشبهات التي يروجها أعداء الإسلام .

٣ - من أجل أن تحقق التربية غايتها وأهدافها يوصي المؤتمر بتصنيف العلوم الى نوعين :

(أ) العلوم القائمة على الوحي المتمثلة في علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها ، مع ملاحظة اللغة العربية التي هي مفتاح فهم القرآن والسنة .

(ب) العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب ، وعلوم الآداب والاجتماع والتربية وما الى ذلك من المعارف المكتسبة .

٤ - العناية التامة بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما ، باعتبار ذلك اللبنة الأولى في تكوين عقيدة المسلم وأخلاقه وأفكاره وتصوراتيه ، وبالنظر الى ضالة ما يحفظ الطلاب المعاصرون من كتاب الله الكريم في جميع مراحل الدراسة ، حتى أنهم ليتخرجون في المرحلة الجامعية - وخاصة في الكليات العملية والعلمية - وهم لا يكادون يحسنون تلاوة سورة من القرآن أو حفظها أو قراءتها .

ويوصي المؤتمر في هذا الشأن بضرورة التوسع في قراءة القرآن وحفظه

ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجي في التفسير والفهم في المراحل المتأخرة بحيث يخرج الطالب من دراسته الثانوية وقد حفظ بضعة أجزاء من القرآن على الأقل وفهم معانيها العامة ، كما يوصى بالاكثار من مدارس تحفيظ القرآن الكريم للصبية والفتيات في العالم الاسلامي كما ينبغي توجيه العناية بالحديث الشريف في جميع مراحل التعليم حفظا وفهما .

٥ - الاهتمام بالعلوم الاسلامية وزيادة دروسها والعناية بكيفية تدريبها بما يضمن عليها طابع التشويق والترغيب .

٦ - ان دراسة الفقه الاسلامي يجب ان تكون موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياها ، مع التوكيد على حقيقة هامة هي ان الحلول الاسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل في المجتمع الاسلامي .

كما يوصى بان تكون دراسة الشريعة الاسلامية بكل فروعها هي الدراسة الاساسية في كليات الحقوق ، مع عقد دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عند الحاجة ، وعلى ايدي نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الايمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على ابراز مافي الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الامة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع في الانحرافات والنتائج الضارة التي نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة الرأسمالية والشيوعية على السواء .

٧ - العناية بتدريس الثقافة الاسلامية في جميع مراحل الدراسة والمرحلة الجامعية بصفة خاصة ، وكذلك الكليات العسكرية وكل كلية ومعهد بما يواجه حاجات الطلاب ويحل مشكلاتهم العلمية والفكرية والدينية ويجيب عن تساؤلاتهم وبما يبين عظمة الاسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمه ، واصلاحه لاحوال البشر في كل زمان ومكان . وعرض امجاد التاريخ الاسلامي في شتى المجالات وما قامت به الامة الاسلامية من انجازات انسانية ومادية وسياسية وعسكرية وحضارية استحققت بها ان تكون « خير امة اخرجت للناس » وبيان فضل النظم الاسلامية على الانظمة البشرية الجائرة المنحرفة في القديم والحديث سواء كانت نظاما سياسية او اقتصادية او اجتماعية ، مع

العناية بعرض الانحرافات القائمة في الحضارة المعاصرة بشقيها
الرأسمالي والشيوعي ، مع ما يقابلها من نظم قديمة في الاسلام .
٨ - ان المؤتمر ، وقد لاحظ ضعف مستوى الطلاب في اللغة العربية في
البلاد العربية والاسلامية على السواء يوصي بالعناية البالغة بجميع
فروع اللغة العربية واعتبارها مادة اجبارية في كل اقطار العالم
الاسلامى .

كما يوصى المؤتمر باتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم في كل
المراحل وخاصة في البلاد العربية مع الاستفادة من التجارب
والدراسات التى تمت بالفعل في هذا الصدد .

٩ - يحث المؤتمر الأدباء في العالم الاسلامى على تكوين مدرسة اسلامية
اصيلة في النقد الأدبى وعلم الجدل مبنية على أصول اسلامية لها
معايير خاصة بها حتى تستطيع القيام بنقد الآداب الدخيلة على
الفكر الاسلامى .

كما يوجه المؤتمر عناية المسلمين الى دراسة الفنون والصناعات
الاسلامية وتنمية الدوق الفنى الاسلامى .

١٠- يوصى المؤتمر بدعم الدراسات الشرعية والعربية في جميع مراحل
التعليم في البلاد الاسلامية باعتبارها التعليم الاساسى الذى تعتمد
عليه حضارة الاسلام ويحفظ للأمة شخصيتها الاسلامية المتميزة .
كما يوصى باتاحة الفرص المشجعة للمتخرجين في هذا النوع من
التعليم للعمل في مجالات الحياة المختلفة وفق تخصصاتهم .

١١- الاهتمام بتحقيق نواذر المخطوطات لتكون - بجانب ما حقق بالفعل
من كتب التراث الاسلامى - مادة للدراسة في الأقسام الشرعية
بالجامعات الاسلامية لرفع المستوى العلمى لدارسى الشريعة
الاسلامية ، وأن توضع مناهج الدراسات العليا الشرعية وخططها
بحيث تؤدي الى تخريج العلماء القادرين على النظر والاجتهاد في
مصادر الشريعة واستنباط الحلول الاسلامية لكل ما يواجهه العالم
من مشكلات .

١٢- ان المؤتمر اذ يرفض فكرة ترقية وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصبغة
والافكار الاسلامية .

يوصى بضرورة العمل على استنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية تتفق مناهجها والاسلام لاحتلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية . كما يوصى بتوفير المساعدات للعلماء المسلمين الملتزمين وترشيح افضل العناصر لتأهيل أعلى ولتنمية الأبحاث اللازمة وتشجيع انشاء المعاهد والجمعيات والدراسات المتخصصة والبحوث الجماعية . والبدء في طبع وتحقيق ونشر كتب التراث الاسلامى في هذه الفروع . وحصر مؤلفاتها بيلوجرافيا مع الدراسات المقارنة والتأليف المبسط المختار والموسوعى معا .

١٣- يرى المؤتمر أن الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الأجيال على الأسس الاسلامية السليمة هى تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا في شتى مجالات الحياة . وأن وسائل الاعلام بصفة خاصة من أخطر الأدوات التى يمكن أن تعاون المدرسة في مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامى والتى فى امكانها كذلك أن تهدم كل اثر للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

كما يشير الى اهمية البيئة الصالحة خارج المدرسة وضرورة تنقية المحيط الاجتماعى من الشوائب الدخيلة كآساليب الغزو الفكرى والأمراض الاجتماعية والاهتمام بالمحافظة على البيئة الاسلامية في العمارة وتخطيط المدن وغيرها حتى تكون منطلقة من المفاهيم الاسلامية وخاصة في المدن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وحث جامعة الملك عبد العزيز على القيام بالأبحاث اللازمة في هذا المجال .

لذلك يوصى المؤتمر جميع الدول الاسلامية بضرورة تحكيم شريعة الله في بلادها ، واقامة حياتها على أساس من المبادئ والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذى يضمن توكيد هذه القيم المبادئ ولا يعمل على اضعافها .

١٤- يرى المؤتمر أن تضم مناهج التعليم في العالم الاسلامى في كافة مراحلها تدريس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم في تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها العلمية في كل منها وأهمية ما قدموه للفكر البشرى في المجال العلمى وتوكيد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبي في البحث العلمى

وان النهضة العلمية الأوربية المعاصرة قد قامت على أساس منهج المسلمين في البحث وعلى العلوم الإسلامية وخاصة في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضات مع التركيز بصفة خاصة على أسباب نمو العلوم في عصر النهضة الإسلامية وأسباب تخلفها فيما بعد وحث الطلاب على استعادة الروح العلمية التي كانت لأجدادهم وقت الازدهار .

١٥- يوصى المؤتمر بإعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة إسلامية تربطها بالعقيدة ، وتعمق الوجدان الديني عند الدارسين ، وتشعرهم بعظمة الخالق وقدرته المعجزة بما يحقق قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، ويزيل تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية عند البعض من ناحية ، والعلوم البحتة من ناحية أخرى . تلك الفرقة التي سرت إلينا من اتخاذ المناهج الإسلامية في تدريس تلك المواد بمعزل عن الدين . كما ينبه المؤتمر الى ضرورة تنقية مناهج تلك العلوم وكتبها المقررة مما يندس في ثناياها من أفكار واتجاهات تصادم العقيدة الإسلامية أو تخالف التصور الإسلامي الصحيح، وضرورة الفصل بين الحقائق العلمية النهائية - وليس فيها ما يخالف العقيدة - وبين الفروض والنظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا والتي قد تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة الإسلامية .

كما يوصى المؤتمر من جانب آخر بعدم الربط بين الاشارات الكونية في القرآن وبين الفروض والنظريات العلمية الحديثة - الا ما ثبت منها نهائيا على أنه حقيقة علمية - مما لا يخدم القرآن في الحقيقة ويشير بلبلة فكرية وعقيدية حين يثبت خطأ بعض هذه الفروض والنظريات .

وتحمل الجامعات ومراكز البحث العلمى أمانة تدوين العلوم على أساس النظرة الإسلامية . في موسوعات يستقى منها مؤلفو الكتب المدرسية على اختلاف أنواعها ودرجاتها كما يوصى بتدريس قدر من العلوم الشرعية والانسانية لطلاب العلوم البحتة والتطبيقية .

١٦ - يؤكد المؤتمر على ضرورة العمل على اعداد المدرس المسلم الذى ينطلق في تصوره وتفكيره من المنطلق الإسلامى ، ويكون سلوكه

الفردى والاجتماعى سلوكا اسلاميا ممثلا لقيم الاسلام ومبادئه ليكون قدوة علمية لطلابه ، نظرا لأن القدوة الصالحة هى أفضل وسائل التربية ، كما أن القدوة السيئة من أقوى الوسائل لتدمير القيم الإسلامية أو تعويق نموها ولذلك يجب أن يتم اختيار المدرسين على أساس من عقيدتهم وسلوكهم وأن لا يقتصر على المؤهلات العلمية فقط .

١٧- يؤكد المؤتمر على ضرورة العناية التامة بأن تتوافر فى الكليات التى تخرج المعلمين جميع الوسائل والأدوات التى تلزم لاعداد المدرس الصالح ، ويوصى بتوجيه العناصر الصالحة من الطلاب للالتحاق بهذه الكليات وتقديم الحوافز الكافية لتشجيعهم .

ويطالب بأن ينال المعلم حظه الكامل من الرعاية ، وأن تكون للمعلمين ميزات مادية وأدبية تساعد على الاستمرار فى هذا العمل وتأدية الرسالة فيه .

١٨- بالنسبة لتعليم البنات فإن المؤتمر يرى أن البلاد التى اقامت نظاما مختلطة للتعليم ، وعلمت المرأة على مناهج موضوعية فى الأصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المرأة ووظيفتها الانسانية والاجتماعية، وقد بدأت نتائج تلك النظم تظهر فى مجتمعاتها من فساد خلقى وتفسخ فى الأسرة ، ونقص فى رعاية النشء ، وتشرد الأجيال الناشئة وجنوحها الى الاجرام والشذوذ ، مما ياباه الاسلام وتنفر منه النظرة السوية .

لذلك يوصى المؤتمر بوضع نظام خاص مبنى على أسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة فى كل مراحل التعليم ، ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة وما يحتاج اليه المجتمع من خدمات نسوية ، ويحقق ما يهدف اليه الاسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمرأة ، والمحافظة على الأسرة والأخلاق الفاضلة ، ويعمل على مراعاة التخصصات الوظيفية الفطرية ، فى ذات الوقت الذى يسعى فيه الى نشر التعليم بين النساء على أوسع نطاق لأن طلب العلم فريضة على المسلمين كافة رجالا ونساء .

١٩- ضرورة تطبيق الاسلام تطبيقا واقعيا داخل المدرسة بانشاء مساجد في كل مدرسة أو مؤسسة تعليمية وأداء صلاة الجماعة في وقتها وتشجيع السلوك الاسلامي بين التلاميذ من صدق وأمانة ومروءة وإيثار ونظام ونظافة . . . الخ ومقاومة كل سلوك غير اسلامي يبدر من الإنسان أو التلاميذ على السواء .

٢٠- تشجيع قيام مؤسسات الشباب بالأنشطة المناسبة لهذه المرحلة والمتوافقة مع أهداف مجتمعنا الاسلامي وظروفه الراهنة مع تنقية برامجها من الشوائب الدخيلة على الاسلام وقيمه .

٢١- يرى المؤتمر ضرورة قيام الدول الاسلامية التي تتوفر لديها الامكانيات المادية أو الخبرة البشرية بتقديم تجربة رائدة في مجال التعليم الاسلامي تكون نموذجا تستعين به بقية الدول الاسلامية عند وضع مقررات هذا المؤتمر موضع التنفيذ .

٢٢- يرى المؤتمر أن الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الأجيال على الأسس الاسلامية السليمة هي تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا في شتى مجالات الحياة . وأن وسائل الاعلام بصفة خاصة من أخطر الأدوات التي يمكن أن تعاون المدرسة في مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامي والتي في امكانها كذلك أن تدمر كل اثر للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

لذلك يوصي المؤتمر جميع الدول الاسلامية بتحكيم شريعة الله في بلادها ، واقامة حياتها على أساس من المبادئ والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذي يضمن توكيد هذه القيم والمبادئ ولا يعمل على اضعافها .

٢٣- لما كان العلم في الاسلام واجبا على كل مسلم في حدود ما يرشده الى خالقه .ويمكنه من أداء ما فرضه عليه من عبادة والتزام ما شرعه في معاملاته وتصرفاته ، لذلك يحث المؤتمر الدول الاسلامية على توفير اسباب التعليم بجميع مراحله وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للمواطنين في الوطن الاسلامي .

٢٤- يحث المؤتمر وزراء التربية والتعليم وكافة المشرفين على مؤسسات التعليم بالاهتمام بتصميم المنشآت التعليمية وفق الطراز المعماري

- الاسلامى وبما يحقق حاجات البيئة المحلية ومتطلبات العصر .
- ٢٥- العمل على ايقاف زحف العقول العلمية الى خارج العالم الاسلامى وتقديم الحوافز المختلفة لاعادة الموجددين منهم بالخارج .
- ٢٦- يوصى المؤتمر بالاعتماد على الخبرات الاسلامية الاصيلة فى توجيه الدراسات الاسلامية فى الجامعات والمعاهد والمؤسسات فى البلاد الاسلامية ، وعدم الاستعانة فى ذلك بالاشخاص والهيئات والمؤسسات التى لا تنطلق من منطق اسلامى ولا تعمل على اسس اسلامية صريحة .
- ٢٧- يطلب المؤتمر من جميع المسلمين فى بلاد العالم الاسلامى عدم ارسال ابنائهم وبناتهم الى المدارس التبشيرية والاجنبية ، مهما كانت المغريات التى تقدمها تلك المدارس ومن وراءها من الهيئات والمؤسسات ، نظرا للنتائج المدمرة التى تصيب الدارسين فى هذه المدارس من ناحية عقيدتهم وولائهم للاسلام والوطن الاسلامى ، واتخاذ اعداء الاسلام لهم جنودا يحاربون بهم الاسلام من داخل المجتمع الاسلامى ذاته .
- كما يوصى المؤتمر بعدم السماح بانشاء مدارس تبشيرية فى الوطن الاسلامى والعمل على الغاء الموجد منها .
- ٢٨- قصر ارسال البعثات الى الخارج على التخصصات النادرة بعد مرحلة الليسانس نظرا لما يتعرض له الشباب المبعث الى الخارج من فتنة جارفة فى عقيدته واخلاقه وتقاليده ونظرته الى حقيقة القيم فى حياة الانسان . كما يوصى بضرورة رعاية المبعوثين فى الخارج دينيا وخلقيا ، واختيار المبعوث على اساس دينه واخلاقه لا على اساس درجاته العلمية فحسب . مع العمل الدائب على ايجاد جميع التخصصات فى داخل العالم الاسلامى حتى يتم الاستغناء عن الابتعاث الى الخارج الا فى حالة الضرورة القصوى .
- ٢٩- يطلب المؤتمر من القائمين على وسائل الاعلام فى البلاد الاسلامية عرض برامج مبسطة عن العلوم معروضة من المنطلق الاسلامى الذى يربط بين الدين والعلم ، ويستخدم العلم فى تعميق الوجدان الدينى . كما يوصى بايجاد محاولات جادة لانتاج فنون اسلامية تملأ الفراغ

الذى تملؤه في الوقت الحاضر المسرحيات والأفلام الهابطة والصور الخليعة والتوجيهات المفسدة للأخلاق .

٣٠- يؤكد المؤتمر على أهمية دراسة أحوال الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية ورسم السياسة التي تعصمهم من الذوبان وتربطهم بالاسلام والعالم الاسلامي .

ويوصي المؤتمر في هذا الصدد بدعم قدراتهم على انشاء المدارس والمعاهد في الدول المقيمين بها ، والسعى لاعتراف هذه الدول بحقوقهم في ذلك والاعتراف بمؤهلاتها مع تزويدهم بالكتب والمناهج اللازمة ، والمدرسين المؤهلين ، والتوسع في تعليم هذه الأقليات في معاهد متخصصة بالبلاد الإسلامية وتوفير المنح لهم ، وتحقيقا لهذه الاهداف يوصي المؤتمر : باتخاذ الوسائل المناسبة ، ومن ذلك انشاء صندوق لدعم تعليم الأقليات تساهم فيه الدول الإسلامية .

وينبه المؤتمر الى خطورة ما يتم من تعليم الصهاينة وأعدائهم ابناء المسلمين في داخل فلسطين المحتلة أو خارجها . ويستنهض هم المسلمين لكفالة تعليم سيد رشيد لأبناء هذا القطر العزيز المفتصب .

٣١- نظرا للوضع الخاص الذي تعانيه الأقليات الإسلامية ، والذي يحتاج الى رعاية خاصة ودعم مستمر من البلاد الإسلامية فان المؤتمر يوصي بما يأتي :

- انشاء صندوق لدعم تعليم الأقليات تشارك فيه الدول الإسلامية وذلك لتمكين تلك الأقليات من انشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في بلادها .
- دعم الأقليات بالمدرسين المؤهلين تأهيلا خاصا يناسب البلاد التي يبعثون اليها ، ليقوموا بتدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية وامتدادهم بالكتب الدراسية .

- التوسط لدى الدول التي بها أقليات إسلامية لمنحهم حق انشاء المدارس الإسلامية والاعتراف بمؤهلات خريجيها .

- التوسع في انشاء مراكز ومعاهد في البلاد العربية بصفة خاصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين .

- التوسع في توفير المنح الدراسية لهذه الأقليات بالمؤسسات التعليمية في البلاد الإسلامية .

— اجراء بحوث عن وضع المسلمين في الدول غير الاسلامية والتعرف على احوالهم الاجتماعية والثقافية والدينية والتعليمية تكون عوناً في رسم سياسة تعليمية تربطهم بالاسلام والعالم الاسلامي .

٣٢- يؤكد المؤتمر على ضرورة الحفاظ على الحروف العربية لكتابة لغات الشعوب الاسلامية حتى لا يباعد بين هذه الشعوب وبين القرآن الكريم . كما يوصي المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية باصدار مجلات ورسائل باللغات الأجنبية تقدم فيها أهم ما ينشر باللغة العربية عن الاسلام .

٣٣- انشاء منظمة عالمية للتربية والثقافة والعلوم يكون مقرها مكة المكرمة وذلك للتنسيق بين الجامعات والمؤسسات التعليمية والعلمية الاسلامية والاشراف على السياسة التعليمية الاسلامية .

٣٤- يوصي المؤتمر جامعة الملك عبد العزيز بانشاء مركز عالمي للتعليم يسمى المركز العالمي للتعليم الاسلامي بمكة المكرمة يضم كفايات من مختلف بلاد العالم الاسلامي من المشتغلين بأمور التربية والتعليم والفكر والثقافة ليقوم بتنفيذ توصيات هذا المؤتمر ويدخل ضمن ذلك :

أولاً : رسم السياسة التعليمية على غرار الخطوة الرائدة التي قامت بها المملكة والتي تقوم على أساس التصور الاسلامي وتستمد أصولها من مصادره ، وتقديم مناهج تفصيلية في مختلف مواد الدراسة ، وتأليف الكتب الدراسية الصالحة للمستويات الدراسية المختلفة من رياض الأطفال الى المرحلة الجامعية . وينشأ لهذا الغرض مكتبة مركزية للبحث يلحق بها مركز للوثائق .

ثانياً : يشتمل على شعبة للترجمة تقوم على ترجمة معاني القرآن ترجمة سليمة ميسرة خالية من الأخطاء التي تشتمل عليها معظم الترجمات الموجودة حالياً ، كما تقوم بترجمة الكتب العربية التي تتناول حقائق الاسلام ومفاهيمه الى اللغات التي يتكلم بها المسلمون من غير العرب وترجمت الكتب الاسلامية النافعة المكتوبة بغير العربية الى اللسان العربي .

ثالثاً : رسم سياسة للتعاون بين العاملين في حقل التعليم الاسلامي وتنسيق جهود الدول والمؤسسات العلمية الاسلامية في مجالات التربية والتعليم ، وتيسير الحصول على الوثائق اللازمة وتبادلها .

ويتبع هذا المركز جهاز لترجمة أمهات كتب العلوم في اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وترجمة ما يجد كل حين من العلم في كل الاقطار الى اللغة العربية .

٣٥- يرى المؤتمر أن تأسيس الاتحاد العالمى للمدارس العربية الاسلامية بادرة طيبة تستحق التشجيع ، وأن المؤتمر يشكر حكومة المملكة العربية السعودية على تأييدها للاتحاد ودعمها له .

٣٦- التوصيات التى أقرتها الحلقات الثلاث ستصدر عن المؤتمر بعد تنقيحها من قبل لجنة الصياغة ، وتعتبر جزءا من مقرراته ، على أن تكون منسجمة مع أهداف المؤتمر .

٣٧- نظرا للقيمة العلمية العظيمة للبحوث التى قدمت لهذا المؤتمر والمناقشات الجادة التى دارت فيه بين المتخصصين من علماء المسلمين في مجال التربية والتعليم في العالم يوصى المؤتمر بأن تقوم لجنة المتابعة فوراً بطبع الأعمال الكاملة للمؤتمر ، لتكون مادة نافعة للدول والمؤسسات العلمية الاسلامية في بناء نظام تعليمى يقوم على اساس الاسلام ويستمد أصوله من مصادره .

والى أن يتم قيام مركز التعليم الاسلامى الموصى به فإن المؤتمر يوصى بأن تتحول اللجنة التنظيمية للمؤتمر الى لجنة متابعة تكون مهمتها متابعة تنفيذ القرارات .

٣٨- يعبر المؤتمر عن شكره العميق للمملكة العربية السعودية لالتاحتها الفرصة لاقامة هذا المؤتمر الأول من نوعه ، لدراسة الاسس التى يقوم عليها تعليم اسلامى متكامل ، يعيد للأمة الاسلامية ذاتيتها ، ويضعها على طريق التقدم الحقيقى والحضارة الأصيلة .

كما يشكر جامعة الملك عبد العزيز على هذه المبادرة الطيبة وتبنيها فيما يخدم الدعوة الاسلامية ورعاية مصالح المسلمين .

الخبار

● تقرر انشاء معهد لدراسة شئون الاقليات المسلمة في العالم تابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

ومن المعلوم ان حوالى ثلث عدد المسلمين في العالم يعيشون كأقليات في دول غير اسلامية .

وسيجرى العمل في المعهد على أساس تقسيم العالم الى ست مناطق (جنوب آسيا - جنوب شرق آسيا - شرق آسيا - افريقيا - العالم الغربى - الدول الاشتراكية) .

وسيبدأ العمل بمشروع تجريبي في بعض البلاد التي تختار لهذا الغرض . وسيعمل المعهد بالتعاون مع أمانة المؤتمر الاسلامى ورابطة العالم الاسلامى والندوة العالمية للشباب الاسلامى ومؤتمر العالم الاسلامى .

وقد قام المعهد - وهو مازال في مرحلة التأسيس - باصدار نشرة شهرية ، كما يزعم اصدار مجلة دورية ربع سنوية ، خاصة بشئون الاقليات المسلمة .

وعنوان المعهد : ص.ب ١٥٤٠ جدة :

* * *

● انعقد في موسكو في الفترة الواقعة بين ٦ - ١٠ يونيو ١٩٧٧ مؤتمر رجال الدين الاسلامي والمسيحي بمشاركة البوذيين والسنتويين واليهود المحليين تحت شعار « من أجل ترسيخ السلام ونزع السلاح واقامة العلاقات العادلة بين الشعوب في العالم » برعاية الكنيسة الروسية الأرثوذكسية والادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان في الاتحاد السوفيتي . وستدور أعمال المؤتمر في جلسات عامة تبحث فيها اللجان المواضيع الآتية :

- ١ - أسس التعاون بين الأديان في العمل من أجل السلام وتخفيف حدة التوتر الدولي والخلافات السياسية ودور الأمم المتحدة ومؤسساتها في دعم السلام العالمي .
- ٢ - موقف الأديان وواجباتها من مشاكل التسليح ونزع السلاح والنزعة العسكرية وجهود الأمم المتحدة والهيئات غير الحكومية في نزع السلاح .
- ٣ - موقف الأديان والتزاماتها من الشخصية الانسانية والعلاقات بين الشعوب والحكومات ومشاكل حقوق الانسان واللاجئين والتفرقة العنصرية والاستيطان والنمو السكاني والهجرة .

* * *

● انعقد في مدينة قرطبة (أسبانيا) اللقاء الثاني للحوار الاسلامي المسيحي في الفترة بين ٢١ - ٢٧ مارس ١٩٧٧ والذي قامت بتنظيمه جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية في مدريد (أسبانيا) . وقد اختير موضوع التقييم الايجابي لنبي الاسلام في المسيحية كموضوع أساسي تنفيذا للتوصية الرابعة للمؤتمر الأول .

* * *

● انعقد في « ورقلة » بالجزائر الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي الذي تنظمه وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية ، وكان جدول أعمال الملتقى يدور حول الموضوعات الآتية :

- ١ - مساهمة الرستميين في حضارة الاسلام وفكرة .
- ٢ - الاسلام في افريقيا اليوم .
- ٣ - المرأة بعد عام المرأة ؟
- ٤ - هل بطون الأرض نعمة أم نقمة ؟

وقد أوصى الملتقى - ضمن توصيات أخرى - بالاهتمام ببعث التراث
الإباضي .

● عقدت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة « المؤتمر العالمى لتوجيه
الدعوة واعداد الدعاة » فى الفترة بين ٢٤ - ٢٩ صفر ١٣٩٧ ، وكان من بين
قرارات وتوصيات المؤتمر .

- تشكيل أمانة تتولى مهمة متابعة التوصيات وتنفيذها .
- عقد المؤتمر كل ثلاثة أعوام .
- تأليف وفد من أعضاء المؤتمر يقوم بحمل توصياته وقراراته الى الملوك
والرؤساء .
- انشاء بنك معلومات لتزويد الدعاة والهيئات الإسلامية بالمعلومات .
- انشاء صندوق لدعم الدعوة والدعاة .
- انشاء مزيد من المراكز الإسلامية فى العالم مع تدعيم المراكز القائمة .

● عقد مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ندوة عن
« التغير الحضارى لمنطقة الشرق الأوسط فى العصر الحديث » فى الفترة من
١١ - ١٤ ديسمبر ١٩٧٦ ، وكان من بين بحوث الندوة :
- التقاء الحضارات : د . أحمد عزت عبد الكريم .
- التطور الثقافى للمرأة العربية : د . رمزية الغريب .
- اتجاهات التعليم فى الوطن العربى : د . عبد العزيز القوصى .
- تعدد الأحزاب والحزب الواحد : د . فاضل حسين .
- المدينة العربية المعاصرة : د . مراد وهبة جبران .
- الوهابية مذهب ومنهج : د . مصطفى الشكعة .
- أسس ومظاهر العلاقات الحضارية بين العالم العربى وأوروبا ، د . نورمان
دانييل .
- التحديث والقومية فى الوطن العربى : د . يوزو ايتاجاكى .

● تقوم وزارة الخزانة الليبية مع البنك المركزى الليبى بإنشاء
بنك جديد باسم : « البنك الإسلامى » لا يتعامل بالفائدة ويقوم على اشراك
العملاء فى الربح والخسارة . وينتظر افتتاح البنك قريباً .

● وافقت حكومة السودان على انشاء بنك اسلامى باسم : « بنك فيصل الاسلامى السودانى » برأسمال قدره ستة ملايين جنيه سودانى يساهم الامير محمد الفيصل بـ ٣٠٪ منه . ومما هو جدير بالذكر أن بنك فيصل الاسلامى المصرى الذى أشرنا اليه فى عدد سابق مازال مشروع قانون انشائه متداولاً بين السلطات المختصة فى مصر .

● صدر مرسوم كويتى بانشاء بيت التمويل الكويتى برأسمال قدره عشرة ملايين دينار كويتى، تساهم وزارة المالية ووزارة الأوقاف ووزارة العدل (ادارة شئون القصر) بـ ٥٠٪ من رأس المال وي طرح الباقي للاكتتاب العام بين المواطنين الكويتيين والسعودية وانباء الخليج فقط .

● تجرى حالياً اتصالات لانشاء بنك اسلامى فى الأردن وقد غطى نصف رأس المال ولما تصدر بعد التصاريح الرسمية بانشاء البنك .

● يجرى الآن تأسيس شركة « المستثمرون العرب - أرينكو » ومن بين أنشطتها تأسيس وإدارة البنوك الاسلامية التى تمارس كافة العمليات المصرفية فى اطار الشريعة الاسلامية مع احلال البدائل الشرعية محل العمليات الربوية ، وكذلك تأسيس وإدارة هيئات للتأمين الذاتى والتبادلى وهو النوع الوحيد من التأمين الذى أجمعت آراء الفقهاء المعاصرين على عدم تعارضه مع الشريعة الاسلامية مع الاستعانة فى ذلك بالخبرات العالمية فى هذا النوع من التأمين الذى يمارس فعلاً بنجاح فى عدة دول « غربية » منذ مدة طويلة .

● يقوم المجلس الاسلامى الأوروبى بتنظيم مؤتمر اقتصادى عالمى فى لندن فى الفترة من ٤ - ٩ يوليو ١٩٧٧ موضوعه : العالم الاسلامى والنظام العالمى الجديد .

● تقوم جامعة الملك عبد العزيز فى جدة بالتعاون مع المؤسسة الاسلامية (ليستر انجلترا) بتنظيم حلقة دراسية فى جدة (فبراير ١٩٧٨) موضوعها : الاقتصاديات النقدية والضريبية فى الاسلام .

- يعقد اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا اجتماعه العام السنوى فى الفترة من ٢٧ - ٣٠ مايو ١٩٧٧ بجامعة انديانا بالولايات المتحدة .
- وتدور أبحاث الاجتماع حول « البعث الإسلامى » متطلباته وتحقيقه :
- الإطار النظرى للبعث الإسلامى .
- البعد التاريخى : الجمعيات الإسلامية .

الساحة الأمريكية

- دراسات مقارنة وتحليلية للمناهج الإسلامية وغير الإسلامية فى التغيير الاجتماعى :

منهج أبو الأعلى المودودى .

منهج سيد قطب .

منهج مالك بن نبي .

منهج حسن البنا .

المناهج الغربية :

المنهج الرأسمالى .

المنهج الاشتراكى .

المنهج الماركسى واللينينى والمادى .

المنهج اليسارى الجديد .

- البعد المستقبلى : تكوين نظرية عامة للبعث الإسلامى ، ورسم برنامج يحدد خطوات تحقيق البعث الإسلامى .



ARINCO
Arab Investors
Societe Anonyme, Vaduz



المستثمرون العرب
ارينكو
مشاركة مساهمة تحت التأسيس

أول شركة استثمار عربية لا تتعامل بالربا أخذا أو عطاء ، وتلتزم
الشريعة الإسلامية في كافة معاملاتها ، وتستهدف تنمية اقتصاديات
الأمة الإسلامية بمشروعات رائدة هادفة .

□ يرجى من الأخوة المؤسسين والراغبين في المشاركة في التأسيس
المبادرة بسداد حصصهم واستكمال أوراق التأسيس .

للاستفهام يرجى المراجعة

- مكتب د. جمال عطيه المحامى ٢١ شارع عماد الدين القاهرة
ت ٩١٠٤٧٤ .
 - الأستاذ محفوظ عزام المحامى القاهرة ت ٣٠٢٨٠ ، ت ٣٨٢٢٩ .
 - مكتب د. جمال عطيه المحامى بالكويت ت ٤٣٥٦١٦ ، ت ٤٣١٩٨٢ .
 - د. أنس مصطفى الزرقا . جامعة الملك عبد العزيز - جدة .
 - د. محمد سامى البنا . مديرية الشؤون الصحية . مكة المكرمة ت ٢٦١١١ .
 - د. محمود الشاوى . مدارس منارة الرياض - الرياض .
 - د. مصطفى مؤمن . الشارقة ت ٢٢٩٧٥ .
 - المهندس محمد خليل شرف الدين . بنك دى الإسلامى - دى
ت ٢٩٨٦٦ .
 - الأستاذ محمد فهمى عبد العاطى . أبو ظبى ت ٦١٢٩٩ ، ت ٦٢٨٠٤ .
 - الأستاذ عادل كنعان . مدرسة قطر الاعدادية - الدوحة .
- ===== عن المؤسسين د. جمال الدين عطيه المحامى =====

بنك دىجىتال الإسلامى

تقرير مجلس الادارة

للسنة المالية المنتهية فى ٣١/١٢/١٩٧٦

لبنك دىجىتال الإسلامى

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأسلم على خير خلقه محمد بن عبد الله ، رحمة الله للعالمين ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وتركنا على المحجة البيضاء والطريق الواضحة .

إخوانى المساهمين الكرام . سلام الله عليكم جميعا ورحمته وبركاته ، وبعد ...

أرحب بكم أيها الأخوة الفضلاء فى وطنكم الإسلامى ، وقد تجشمت مشقة الحضور ، ومنكم من بعدت إقامته فتحمل أعباء السفر ليشهد هذا الاجتماع الذى ينعقد لأول موازنة لتجربة رائدة فى المعاملات الإسلامية المصرفية فى عصرنا هذا . إفلتشهد الدنيا وليشهد العالم أجمع أننا ما قمنا بهذا العمل إلا طاعة لأمر الله تعالى وإبتغاء لرضائه .

وأنه من بشائر التوفيق أن ينعقد اجتماعكم هذا لإقرار أول موازنة لمصرف لم يمر على تأسيسه عامان ، عادة تنقضى فى وضع لوائحه وأنظمته وإقامة منشآته وتكوين أجهزته المتعددة .

وأنه ليطيب لى أن أستعرض معكم الانجازات التى تمت خلال هذه الفترة الوجيزة آملا أن تكون بذلك قد وفينا لهذه المرحلة حقها من العمل

وراجيا من كل منكم المساهمة الفعالة في دفع عجلة التقدم لهذا المشروع
الجليل في مراحلہ القادمة ، والله معنا ، ولن يترنا أعمالنا .

مما لا شك فيه أنكم جميعا قد اطلعتم على النظام الأساسي للبنك
وقراتم بامعان المجالات الواسعة التي للبنك أن يمارسها على غير أساس
الربا وما في حكمه ، وكان لابد لهذه الأهداف البعيدة المدى والنشاطات
المختلفة المتعددة من جهاز كفاء . قادر على الوقوف بهذه المؤسسة الى
المستوى المناسب الذي يليق باسمها .

ورغم قصر المدة ، فقد تم بحمد الله تعالى تكوين قواعد للادارات
التالية :

أولا : الدائرة المصرفية :

وهي التي تتولى جميع الأعمال المصرفية كفتح الحسابات الجارية
وتقبل الودائع والتحصيل وفتح الاعتمادات وإصدار كتب الضمان وشراء
وبيع العملات والتحويل من وإلى جميع بلدان العالم بواسطة مراسلين من
أكبر المصارف العالمية المعروفة ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المصارف
العالمية هي التي تسعى إلينا لتمثيلنا ، وكل هذه المعاملات تتم ضمن
إطار الشريعة الإسلامية .

ثانيا : الدائرة الصناعية :

وهي التي تتولى دراسة وتنفيذ جميع المشاريع الصناعية التي تدخل
في نطاق خطة الانماء العامة التي يضعها مجلس الإدارة سواء من حيث
إقامة شركات وصناعات مستقلة يملكها البنك بالكامل أو يشارك فيها
بنسب معينة ، وقد تحقق لهذه الدائرة تنفيذ مصنع الألمونيوم وإقامة شركة
الجبس الوطنية ومصنع للرخام الصناعي والفاير كلاس ، وهناك عدة
مشاريع قيد الدراسة النهائية سيتم تنفيذها طبقا لأولويات حاجة السوق
المحلي لمنتجاتها وسيعلن عنها خلال هذا العام بمشيئة الله .

ثالثا : الدائرة التجارية :

وهي التي تتولى النشاط الواسع في التجارة العامة بغرض توسيع
الحركة التجارية بين دبي وباقي الإمارات وبعض البلدان الأجنبية وذلك في
مجال الاستيراد والتصدير ، وقد أحرزت هذه العمليات نجاحا طيبا .

رابعاً : دائرة الزراعة والثروة المائية والمعدنية :

وهي التي تتولى دراسة الطرق المجدية لاستثمار الثروة السمكية والمعدنية المتوافرة في المنطقة ، وكذلك دراسة المشاريع الزراعية والثروة الحيوانية التي ستعود بالنفع والخير على أبناء المنطقة .

ومن انجازات هذه الدائرة شراء ثلاث قوارب حديثة لدراسة الأسماك واللؤلؤ لاستغلال ثرواتنا المائية وتنويع مصادر الدخل القومي ، كما توصلت الدائرة الى تواجد بعض المواد الأولية التي سيتمكن استغلالها في الصناعات المحلية استغلالا اقتصاديا حسنا ان شاء الله .

خامساً : الدائرة الهندسية والانشاءات :

تمشيا مع النهضة والحركة العمرانية التي تقوم في البلاد حالياً ، فقد قرر البنك انشاء هذه الدائرة لتعنى بالمشاريع الانشائية التي يضطلع بها البنك نفسه ، ومنها مبنى المركز الرئيسى للبنك وقد تقدم العمل فيه كثيراً وسيكون اجتماعكم القادم بمشيئة الله في قاعته الرئيسية للاجتماعات، ومنها انشاء (مدينة بدر) السكنية التي ستسهم الى حد كبير في حل أزمة السكن لذوى الدخل المحدود من المواطنين ويتمكونها بأسعار مناسبة ، ومنها العديد من المشاريع العمرانية التي يمولها البنك بالمشاركة مع اصحاب الاراضى حتى مرحلة اتمامها وتأجيرها ... وان هذه الادارة جارى تدعيمها لتقف على المستوى اللائق بالمشاريع الكبيرة الانشائية .

سادساً : دائرة البحوث والدراسات الاقتصادية :

وان حتمية العمل في هذه النشاطات المختلفة ذات الحجم الاقتصادى الكبير تستوجب الكثير من الدراسات والبحوث لتباين جدواها الاقتصادية، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعرض للبنك اثناء ممارسته للأعمال المصرفية بعض القضايا التي تتطلب القواعد الشرعية والاسناد ، لذلك قرر البنك تكوين هذه الدائرة للاضطلاع بهذه الأعباء الاقتصادية والفقهية .

ايها الاخوة الفضلاء هذه نبذة مختصرة عن نشاط البنك الذى تساهمون فيه ، ولعلكم تدركون أهمية هذه المؤسسة المالية في دعم الصرح الاقتصادى ، ليس في هذه المنطقة من العالم العربى فحسب بل في

شتى انحاء العالم ، اسلامى وغير اسلامى ، فالمسلمون يتطلعون بقلوبهم الى نجاح هذه التجربة الرائدة ليروا بديلا عن المعاملات التى يتورطون فيها ، وغير المسلمين يدرسون باهتمام بالغ مدى النجاح لهذه التجربة،علها تنقذهم من بلاء الربا وارتفاع سعر الفائدة بما لا تستقر معه الأحوال الاقتصادية من أجل ذلك : كان لزاما على بنك دى الاسلامى أن يوجه الأموال التى أوتمن عليها من مساهمين ومستثمرين ومودعين توجيهها حسنا فى شتى المجالات ، يستثمرها فى أوعية نامية لا بالية ، مستخدما فى ذلك أحدث الأساليب العلمية لتعطى السيولة النقدية عند الحاجة اليها ، وتعطى القيمة العالية عند التصرف فيها - وقد استخدمت فى قنوات متعددة بما ينوع مصادر الدخل ، قابلة للنماء باذن ربها . فهناك الأراضى والمباني والمنشآت والمصانع والسلع المختلفة والمعادن والثروة المائية والودائع والأرصدة الاحتياطية التى تملؤنا ثقة بتوفيق الله تعالى لنا وقد ابتغينا الرزق الحلال . لقد كانت حصيلة اخلاصهم لفكرتكم السامية التى نعمل لتحقيقها ما استطعنا أن بارك الله تعالى فى أرباحنا فبلغت - بحمد الله - أرقاما فوق القياسية فى أولى مراحلها ولكم أن تعتزوا بمؤسستكم هذه التى مارست هذه الفعاليات من خلال مكاتبها المؤقتة المتواضعة ، وسوف يكون لها شأن آخر حينما يكتمل البناء وتدور عجلة المصانع وتفتح فروعها فى العواصم الاسلامية وفى بقاع العالم باذن الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

ايها الاخوة الكرام :

ان الموازنة المرفقة لهذا التقرير والايضاحات الخاصة بها وبيان توزيع الأرباح للفترة من ١٠/١٩٧٥ الى ٣١/١٢/١٩٧٦ بين أيديكم للدراسة ، وقد أوردت ادارة المحاسبة الأرقام التى توضح نسب الأرباح المطلوب موافقتكم على توزيعها ، وهى بالنسبة للمساهمين تبلغ ١١٪ . ونترك - التعليق على هذه الأرقام - التى تعطى الدليل الواضح على تقدم ونجاح البنك للسادة مراقبى الحسابات الذين سيدلون بتقريرهم على مسامعكم ..

أكرر شكرى لكم على حضوركم وعلى مساهمتكم الفعالة فى دعم هذه المؤسسة الاسلامية التى ستعلو بكم ، وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقرير مراقب الحسابات

السادة مساهمي بنك دبي الاسلامي :

شركة مساهمة عامة محدودة :

دبي - دولة الامارات العربية المتحدة

لقد فحصنا الميزانية العمومية لبنك دبي الاسلامي - شركة مساهمة عامة محدودة كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ وبيان الأرباح والتوزيع للفترة من أول أكتوبر ١٩٧٥ لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ ، وفقا لقواعد المراقبة المتعارف عليها ، وقد شمل فحصنا اجراءات المراقبة الأخرى التي وجدناها مناسبة وقد حصلنا على المعلومات التي رأيناها ضرورية لاداء مهمتنا على وجه مرضي فيما عدا أننا لم نطلع على تقرير مجلس الادارة للتحقق فيما اذا كانت البيانات الواردة به متفقة مع ما هو وارد في دفاتر البنك .

وبرأينا : أن البيانات المالية المذكورة أعلاه تعبر - بأمانة ووضوح - عن المركز المالي الحقيقي للبنك بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ ونتيجة أعماله للفترة المنتهية بذلك التاريخ وفقا للنظام الأساسي والسياسات المحاسبية المذكورة في الايضاح رقم (١) ، وأن البنك يمسك حسابات منتظمة ، وأن الجرد أجرى وفقا للأصول المرعية ، وأنه في حدود المعلومات التي توافرت لدينا لم تقع خلال الفترة مخالفات لأحكام نظام البنك أو لأحكام القانون على وجه يؤثر ماديا في نشاط البنك أو في مركزه المالي .

دبي في ٥ مارس ١٩٧٧ .

بدر البزيع وشركاه

بنك دبي الاسلامي
شركة مساهمة عامة محدودة

الميزانية العمومية كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٦

دورهم	رأس المال والمطلوبات	دورهم	الموجودات
٥٠.٠٠٠.٠٠٠	رأس المال المصرح به ١٠٠.٠٠٠ سهم بسعر ٥٠٠ درهم للسهم الواحد	٢٠.٨٤٥.٢٢٠	النقد والحسابات الجارية لدى البنك ومجلس النقد
٢٢.٨٣٨.٠٠٠	اقتساط تحت الطلب من المساهمين	١٤.٣٥٢.٦٠٦	تمويل صفقات تجارية واعتمادات مستندية
٢٧.١٦٢.٠٠٠	احتياطي عام	٤.٩٤٤.٤٤٣	تسليفات وقروض الى العملاء وحسابات أخرى
٦٦.٥٨٤.٣	أرباح مدورة للسنة القادمة	٥٣.٦٧١.٢٧٨	استثمارات في عمليات مشاركة وأسهم ومشاريع
١.٢٩٢.٨٢٠	ودائع من مشاركين وصناديق التوفير	تحت الانشاء (٢)	تحت الانشاء (٢)
٢٩.١٢.٠٦٦٣	حسابات جارية وأمانات وحسابات أخرى بها في ذلك المخصصات (ايضاح ٢)	٥١.٣٤٢.٢٥١	مباني وسيارات وأثاثات ومعدات بملء خضم الاستهلاك .
٣١.٧٠.٥٢٤٣	مقسوم الأرباح المقترح (ايضاح ٤)	٥٨٥.٦.٠٠١	مبنى البنك الرئيسي تحت الانشاء (ايضاح ٣)
٣٦.٥٤٣.٩٠٥	التزامات طارئة لقاء اعتمادات مستندية ، كفالات وشيكات لها مقابل	٩٩.٩٦٧.١٨٣	التزامات العملاء لقاء اعتمادات مستندية ، كفالات
٢.٥٩٧.٣٧٢		٥٧.٧٧٢.٨٩١	
٩٩.٩٦٧.١٨٣		١٥٧.٧٤.٠.٧٤	
٥٧.٧٧٢.٨٩١			
١٥٧.٧٤.٠.٧٤			

ناصر راشد لوتاه
نائب رئيس مجلس الإدارة

سعيد احمد لوتاه
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب

(انظر الايضاحات المرفقة)

بنك دبي الاسلامي - دبي
شركة مساهمة محدودة
بيان الارباح والتوزيع للفترة
من

١ أكتوبر ١٩٧٥ لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦

درهم

عوائد وايرادات من الأعمال المصرفية	٨٤٥٨٦٦
عوائد وايرادات من الاستثمارات	٧٠٠.٧٩٥
مجموع العوائد والايرادات	<u>٨٠٥٩٦١</u>
رواتب ومكافآت ومخصصات الموظفين	١٠٥٩.٢٥٤
ايجار ومصاريف مكاتب البنك	٢٢٤.٩٨٦
مصاريف ادارية وعمومية أخرى	٢٩٧.٨٣٥
مجموع المصاريف الادارية والعمومية	<u>١.٥٧٦.٠٨٠</u>
الأرباح قبل خصم الزكاة والتوزيع المقرر على المشاركين .	<u>٦٣٩.٦٠٦</u>
الزكاة	٣٦.٠٥٢٧
التوزيع المقرر على المشاركين :	
عوائد لأصحاب أقساط مساكن (مدينة بدر)	١٦٢.٥٥١
بنسبة ٦٪ .	
عوائد لأصحاب دفاتر التوفير بنسبة ٦٪ .	٣٩.٨٥٢
عوائد لأصحاب ودائع الاستثمار لمدة ٦ شهور	١٣٩.١٣٣
بنسبة ٧.٥٪ .	
عوائد لأصحاب ودائع الاستثمار لمدة سنة بنسبة	١٤٦.٢٢٨
١٠.٤٪ .	
صافي الأرباح	<u>٢١٦.٣٢١</u>
التوزيع المقترح	<u>٤٨٥.٥٦٥</u>
احتياطي عام	٦٦٥.٨٤٣
مكافأة أعضاء مجلس الإدارة	٢٩٩.٦٣٠
المساهمين (ايضاح ٤)	٢٥٩.٧٣٧
	<u>٣.٥٦٢.٨٤٥</u>
صافي الأرباح المدورة للسنة القادمة.	<u>١.٢٩٢.٨٢٠</u>
(انظر الايضاحات المرفقة)	

(بسم الله الرحمن الرحيم)
بنك دبي الاسلامي

دبي
شركة مساهمة عامة محدودة
ايضاحات حول البيانات المالية

٣١ ديسمبر ١٩٧٦ م

١ - السياسات المحاسبية :

ان السياسات المحاسبية المتبعة من قبل البنك في تحضير البيانات المالية تتضمن ما يلي

(١) قاعدة تحديد الإيرادات :

بيع المربحة :

يتم قيد الإيرادات الحاصلة عن بيع المربحة بالتساوي لحساب الأرباح والخسائر في تاريخ التسديد الفعلي للأقساط .
تمويل صفقات تجارية :

ان العائد الخاص بتمويل صفقات تجارية مبنى على اتفاق مبدئي مع العميل الى أن تظهر النتيجة النهائية للصفقة التجارية ، والتي عندها تظهر نصيب البنك من الربح الفعلي للصفقة . اما العائد المبنى على أساس الاتفاق المبدئي فيتم قيده لحساب الإيرادات على أساس مبدأ الاستحقاق .
إيرادات المقاولات :

ان الإدارة الهندسية والانشاءات تتبع طريقة المقاولات المنتهية لتحديد الإيرادات نظرا لعدم وجود مقاولات طويلة الأجل .
إيرادات أخرى :

ان البنك يتبع مبدأ الاستحقاق في تحديد الإيرادات الأخرى .

(ب) تقييم الاستثمارات في عمليات مشاركة وأسهم ومشاريع تحت التنفيذ :

ان الاستثمارات في عمليات مشاركة وأسهم ومشاريع تحت التنفيذ اظهرت بالتكلفة ، وفي حالة وجود هبوط دائم في قيم هذه الموجودات فيؤخذ سعر السوق .

(ج) تقييم أرصدة مدينة :

ان أرصدة تمويل صفقات تجارية وتسليفات وقروض وحسابات

أخرى أظهرت بالمبالغ المستحقة على هذه البنود ناقصا أية مخصصات لهبوط قيم هذه الموجودات «ان وجدت» ان التسهيلات الممنوحة بشكل حسابات جارية مدينة وقروض لم تنتج للبنك إirادات بصورة مباشرة غير ان منح مثل هذه التسهيلات قد ساعدت على تنشيط أعمال البنك .

(د) الموجودات الثابتة :

أظهرت الموجودات الثابتة بالتكلفة ناقصا الاستهلاك المتراكم . ثم استهلاك الموجودات الثابتة وفقا لقاعدة القسط الثابت سنويا وعلى أساس العمر الانتاجي المقدر لهذه الموجودات ، وقد تم احتساب الاستهلاك وفقا للمعدلات السنوية الآتية :

- السيارات ٣٠٪
- المكائن والأجهزة ٢٠٪
- الأثاث ١٥٪

بالنسبة للمباني لم يجر عليها أية استهلاكات .

(هـ) النقد والأرصدة بالعملة الأجنبية :

تم تقييم النقد والأرصدة بالعملة الأجنبية إلى درهم دولة الإمارات العربية المتحدة بسعر الشراء السائد بتاريخ الميزانية .

(و) تأجيل مصاريف قسم الدراسات الصناعية :

ان المصاريف الخاصة بقسم الدراسات الصناعية مؤجل لحين القيام بالمشاريع الخاصة بها ثم ترسل هذه المصاريف على حسابات هذه المشاريع . أما في حالة عدم القيام في مشاريع معينة فيتم تحميل المصاريف الخاصة بها على حساب الأرباح والخسائر .

٢ - استثمارات في عمليات مشاركة وإسهام ومشاريع تحت التنفيذ :

إن المبلغ الظاهر في الميزانية العمومية والمبالغ ٢٧٨١٧١٦٣٥ درهم يمثل مبالغ مدفوعة لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ م على البنود التالية :

درهم	
٢٣٤٣٥٦٩٩	أراضي مشتراه لغرض البيع .
٧٧٩٣٣٤٧٠	عمليات مشاركة في الأراضي .
١٣٦٧٢٥٤	عمليات مشاركة في المباني .
٤١٩٩٧٠٨	(مدينة بدر) .
٤٦٩٤١١٧	إدارة الهندسة والانشاءات .
٧٢٦٩٠٩٦	عمليات بيع المراجعة .
١٥٠٠٠٠٠	مصنع الألومنيوم (حصة البنك ٧٥٪) .
١٧٥٨٧٥٠	شركة الجبس (حصة البنك ٣٣٪) .
١٤٣٠٣٢٤	مسايد الأسماك .
١٣٧٧٦	معمل الطابوق .
٦٠٧٥٦	أسهم .
١٤٨٣٢٨	مصاريف قسم الدراسات الصناعية .
<hr/>	
٥٣٦٧١٢٧٨	

من ضمن المبالغ الظاهرة تحت بند الاستثمارات وعمليات مشاركة وأسهم ومشاريع تحت الانشاء مبلغ ٤١٩٩٧٠٨ درهم يمثل المبلغ المدفوع على حساب انشاء (مدينة بدر) ولكنه لا يمثل التكلفة للجزء المنفذ فعلا لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ . وتتولى تنفيذه شركة سعيد وسلطان لوتاه .

أما التكلفة الكلية للمشروع فلا يمكن تحديدها في الوقت الحاضر .

وان المشروع مقام على أرض ممنوحة من قبل صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد الكتوم .

لقد يلفت مجموع المبالغ المقبوضة على حساب تمليك مساكن (مدينة بدر) ٤٣٣٤١٨١ درهم لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ وان إدارة البنك قررت احتساب عائد بنسبة ٦٪ لأصحاب هذه المبالغ على أساس مبدأ العدالة .

٣ - مبنى البنك الرئيسي - تحت الانشاء :

يمثل المبلغ الظاهر بالميزانية العمومية اجمالي المبالغ المدفوعة على

حساب البناء ولكنه لا يمثل التكلفة الكلية للجزء المنفذ فعلا لغاية
٣١ ديسمبر ١٩٧٦ .

ان ادارة الهندسة والانشاءات تتولى انجاز هذا المبنى وأن التكلفة
النهائية للمشروع لا يمكن تحديدها بالوقت الحاضر . هذا وان البناء مقام
على أرض منحت للبنك من قبل صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد
المكتوم .

٤ - مقسوم الأرباح المقترح :

توخيا للعدالة بين المساهمين فقد اقترح مجلس الادارة توزيع
مقسوم أرباح بمعدل ١١٪ على المساهمين المسجلين بتاريخ الميزانية
محتسبة على أساس التفاوت الزمني للفترات المستلم بها الأقساط
المستحقة للأسهم .

رقم الايداع ٧٧/٢٥٧٩
الشركة المصرية للطباعة والنشر

Vol. 3, No. 10 RABI THANI - JAMADA ULA - JAMADA THANIA 1397

APRIL, MAY, JUNE 1977

al-Muslim al-Muwaṣṣir

The Contemporary Muslim